تفسير

سورة الإسراء

بسم الله الرحمن الرحيم

١ . ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ الآيــة . قال النحويون : ﴿سُبْحَٰنَ﴾ اســم موضوع في موضع مصدر ســبَّحتُ الله تســبيحاً وســبحاناً ، فالتســبيح هو المصدر ، وسبحان اسم منه[١] ، كقولك : كَفَّرتُ اليمين تكفيراً وكُفْراناً[٢] ، وتأويله في المعنــى : أنه البراءة والتنزيه لله مما يُنْفَى عنه ، والتســبيح يُذْكر بمعنى الصلاة ، ومنه قوله : ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافــات :١٤٣]؛ أي من المصلين[٣] ، والسُّــبْحةُ : الصلاة

(١) انظر : الكتاب ١/ ٣٢٢ ، والمقتضب ٣/ ٢١٧ ، وتفســير الطبري ١٥/ ١ ، والمخصص ١٧/ ١٦٣ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ١٠٧ ، وشرح المفصل ١/ ٣٧ ، والخزانة ٧/ ٢٤٥ .

(٢) ورد في تفســير الطوسي ٦/ ٤٤٤ بنصه وعــزاه إلى أبي عبيد ، وليس في غريبه ، انظر : تفســير الفخر الرازي ٢٠/ ١٤٥ ، والقرطبي ١٠/ ٢٠٤ .

(٣) ورد في غريــب الحديث ١/ ١٩٨ ، بلفظــه ، والغريب لابن قتيبــة ٢/ ٩٦ ، بلفظه ، أخرجه الطبري ١٥/ ١ ، بلفظه عن ابن عباس وابن جبير والســديِّ ، وورد بلفظه في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٣ ، =

النافلة[١] ، وإنما قيل للمصلي : مُسَبِّح؛ لأنه معظم لله بالصلاة تعظيم المنزه له عما لا يجوز في صفته ، وورد التسبيح بمعنى الاستثناء في قوله عز وجل : ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم :٢٨]؛ أي [لو][٢] لا تستثنون[٣] ، وهو لغة لبعض اليمن ، وتأويله يعود إلى تعظيم الله في الاستثناء بمشيئته[٤] .

وجاء في الحديث : «لولا ذلك لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ ما أَدْرَكَتْ مِنْ شَيء»[٥] فيقال : إنه نور وجهه[٦] .

= وتهذيب اللغة (سبح) ٢/ ١٦١٠ ، والمفردات ٣٩٢ ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٢٤ ، والطوسي ٦/ ٤٤٥ ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٤٦ .

(١) ورد بنحوه في غريب الحديث ١/ ١٩٨ ، وتهذيب اللغة (سبح) ٢/ ١٦١٠ ، عن الليث ، والمحيط في اللغة (سبح) ٢/ ٤٩٥ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٤٤٥ ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٤٦ ، واللسان (سبح) ٤/ ١٩١٦ .

(٢) ما بين المعقوفين إضافة ليتلاءم لفظ التفسير مع لفظ الآية .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ١ ، بنحوه عن مجاهد من طريقين ، وورد في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٠٩ ، بنحوه ، والمحيط في اللغة (سبح) ٢/ ٤٩٥ ، بنحوه ، والمفردات ٣٩٣ ، بنحوه ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٢٤ ، بنصه ، والطوسي ٦/ ٤٤٥ ، بنحوه .
انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٤٦ ، وعمدة الحفاظ ٢/ ١٨٩ .

(٤) قال الزَّجَّاج : فالاستثناء تعظيم الله والإقرار بأنه لا يقدر أحدٌ أن يفعل فعلاً إلا بمشيئة الله عز وجل . انظر : معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٠٩ .

(٥) طرفه : «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام . . . .» . ، عن أبي موسى ، أخرجه أحمد ٤/ ٤٠١ ، ٤٠٥ ، بنحوه ، ومسلم ١٧٩ ، كتاب : الإيمان ، باب : قوله : «إن الله لاينام» بنحوه ، ابن ماجه ١٩٥ ، كتاب : المقدمة في ما أنكرت الجهمية ١/ ٣٩ ، وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٢٧٢ ، بنحوه ، والآجري في الشريعة ٢٩١ ، ٣٠٤ ، والسهمي في تاريخ جرجان ١٣٠ ، بنحوه ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٣٩١ ، بنحوه ، والبغوي في شرح السنة ، كتاب : الإيمان ، باب : الرد على الجهمية ١/ ١٧٣ ، بنحوه ، وورد في غريب الحديث ١/ ٤٥٧ ، بنحوه ، وتفسير الطبري ٨/ ٣ ، بنصه .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (سبح) ٢/ ١٦١٠ ، بنصه ، قاله ابن شميل .

قال أبو عبيد : ولم نَسمع هذه الكلمة ولا نَعرف لها شاهداً في كلامهم إلا في الحديث[١] .

وقال غيره : «سُبُحات وجهه» : نور وجهه الذي إذا رآه الرائي قال : سبحان الله[٢] ، قال سيبويه معنى سبحان الله : براءة الله من السوء[٣] ، وسبحان : اسم لهذا المعنى معرفة ، يدل على ذلك قول الأعشى :

سبحانَ مِنْ عَلْقمَةَ الفَاجِرِ[٤]

أي براءة منه ، وهو ذِكْرٌ بِعِظَمِ اللهِ لا يصلح لغيره ، وإنما ذَكَرَه الشاعرُ نادراً؛ بأن ردَّه إلى الأصل وأجراه كالمثل[٥] .

---

(١) غريب الحديث ٣/ ١٧٣ ، بنحوه .

(٢) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٤٥ ، بنصه ، وعزاه إلى المبرِّد .

(٣) الكتاب ١/ ٣٢٤ ، بنصه ، وورد في تهذيب اللغة (سبح) ٢/ ١٦٠٩ ، بنصه .

(٤) وصدره :

أقولُ لما جاءني فجرُهُ

ديوانه ٩٣ ، وورد في الكتاب ١/ ٣٢٤ ، ومجاز القرآن ١/ ٣٦ ، وجمهرة اللغة ١/ ٢٧٨ ، والخصائص ٢/ ٤٣٥ ، وتهذيب اللغة (سبح) ٢/ ١٦٠٩ ، ومجمل اللغة ١/ ٤٨٢ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ١٠٧ ، ٥٧٨ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ٩٣أ ، والطوسي ٦/ ٤٤٥ ، والأساس ١/ ٤١٨ ، وشرح المفصل ١/ ٣٧ ، واللسان (سبح) ٤/ ١٩١٤ ، والدر المنثور ٤/ ٢٥٨ ، والخزانة ٧/ ٢٣٧ ، وورد بلا نسبة في المقتضب ٣/ ٢١٨ ، والخصائص ٢/ ١٩٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١١٨ ، والمخصص ١٥/ ١٨٧ ، والمفردات ٣٩٣ ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٢٣ ، وعمدة الحفاظ ٢/ ١٨٨ . وفي المصادر جميعها عدا الديوان : فخره ، الفاخر ، فلعلها تصحفت فيه ، فرواية المصادر أصح؛ لأن الكلام في الفخر لا الفجْر ، كما قال أبو عبيدة : قال الأعشى : تبرؤاً وتكذيباً لفخر علقمةَ . مجاز القرآن ١/ ٣٦ .

(٥) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٤٥ بنصه تقريباً ، قال الراغب : تقديره سُبحان علقمة ، على طريق التهكم ، فزاد فيه (منْ) رداً إلى أصله ، وقيل : أراد سبحان الله من أجل علقمة ، وقد اعترض السمين والبغدادي على قوله الأول ، فقال السمين : وفيه نظر ، وقال البغدادي : وهو ضعيف لغةً وصناعة ، انظر : الدر المصون ١/ ٢٥٩ ، والخزانة ٧/ ٢٤٥ .

وقال صاحب النظم : السبح في اللغة : التباعد ، يدل عليه قوله عز وجل : ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ [المزمل :٧]؛ أي متباعداً في المذهب والمدة لما تريد من قضاء حوائجك ، ومعنى سَبَّحَ الله : بعَّده ونزهه عما لا يليق به[١] ، والتنزيه معناه : التبعيد[٢] ، و﴿سُبۡحَٰنَ﴾ اسم بمعنى المصدر ، موضوع موضع الفعل ، وكثيراً ما تضع العربُ المصادرَ مواضع الأفعال ، كقوله عز وجل : ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد :٤]؛ أي اضربوها ، ومثله : ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ [الزخرف :٨٨]؛ أي ويقول ، فعلى هذا معنى ﴿سُبۡحَٰنَ﴾؛ أي سَبِّحوه ونَزِّهوه عن الشريك والولد و[٣]ما لا يجوز في صفته ، ويجوز أن يكون هذا التنزيه راجعاً إلى الله تعالى ، وبذلك فسَّر ابن عباس ، فقال : نزَّه[٤] نفسه[٥] ، وعلى هذا يجوز أن ينتصب ﴿سُبۡحَٰنَ﴾ على النداء بمعنى : يا سبحان الذي أسرى بعبده .

قال الزَّجَّاج : معناه سَيَّر عبدَه[٦] ، يعني محمداً ﷺ ، ومضى الكلام في السُّرَى والإسراء[٧] .

وقوله تعالى : ﴿لَيۡلٗا﴾ قال مقاتل : كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة[٨] ، ﴿مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ اختلفوا فيه ، فقال الحسن وقتادة : يعني نفس المسجد[٩] ،

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٤٥ بنصه .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (سبح) ٢/ ١٦٠٩ ، واللسان ٤/ ١٩١٤ .

(٣) الواو ساقطة من (أ) و(د) .

(٤) في النسخ جميعها : (نزَّهه) ، والصحيح المثبت كما في سورة النحل [آية :١] عن ابن عباس أيضاً .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٢٨٢ ، وورد غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٠أ ، وهود الهواري ٢/ ٣٥٩ ، والسمرقندي ٢/ ٢٢٨ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢١٨ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٥ ، بنصه .

(٧) سورة هود آية [٨١] .

(٨) تفسير مقاتل ١/ ٢١٠ب ، بنصه .

(٩) ورد في تفسير الجصاص ٣/ ١٩٥ بنصه عنهما ، والطوسي ٦/ ٤٤٦ ، بنصه عنهما ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٤ ، عنهما .

يدل عليه ما روى أنس والحسن : أن النبي ﷺ قال : «بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق . . . .»[١] . وذكر حديث المعراج .

وقال عامة المفسرين : أُسري برسول الله ﷺ من دار أمِّ هانئ[٢] ، وعلى هذا أراد بالمسجد الحرام مكة ، ومكة والحرم كله مسجد[٣] ، وهو اختيار الفرَّاء[٤]

---

(١) ثبت حديث الإسراء والمعراج بروايات عدة مختصرة ومطولة ، وفي بعض الروايات زيادات لا تصح ، فرواه أنس بن مالك ومالك بن صعصعة ـ رضي الله عنهما ـ برواية : «بينا أنا في الحطيم ـ الحِجْر ـ مضطجعاً إذ أتاني . . . .» . أخرجه أحمد ٤/ ٢٠٨ ، والبخاري ٣٢٠٧ ، كتاب : بدء الخلق ، باب : ذِكْر الملائكة ٣/ ١١٧٣ ، وفي كتاب : فضائل الصحابة ، باب : المعراج ٣/ ١٤١٠ ، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٣٧٧ ، وابن عبدالبر في التمهيد ٨/ ٣٨ ، والبغوي في شرح السنة الفضائل ، باب : المعراج ١٣/ ٣٣٦ ، ورواه أنس بن مالك وأبو سعيد برواية : «أُتيت بالبراق» ، و«أُتيت بدابة» . أخرجه أحمد ٣/ ١٤٨ ، ومسلم ١٦٢ ، كتاب : الإيمان ، باب : الإسراء ، وعبدالرزاق ٢/ ٣٦٥ ، والطبري ١٥/ ٣ـ ٤ ، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٣٨٢ ، والبغوي في شرح السنة ١٣/ ٣٤٣ ، ورواه أبو ذر برواية : «فُرج سقف بيتي وأنا بمكة» ، وأخرجه مسلم ١٦٣ ، كتاب : الإيمان ، باب : الإسراء ، والبغوي ٥/ ٦٠ ، ورواه مالك بن صعصعة برواية : «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان» . أخرجه مسلم ١٦٤ ، كتاب : الإيمان ، باب : الإسراء ، والطبري ١٥/ ٣ ، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٣٧٣ ، وورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢١١أ ، وسيرة ابن هشام ٢/ ٢ـ ١٠ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٨ ، وهود الهواري ٢/ ٣٩٧ ، والثعلبي ٧/ ٩٣ب ، وتفسير البغوي ٥/ ٥٩ ، والقرطبي ١٠/ ٢٠٥ ، والخازن ٣/ ١٤٥ ، وابن كثير : ٣/ ٣ـ ٢٨ ، ومجمع الزوائد ١/ ٦٤ـ ٧٣ ، والدر المنثور ٤/ ٢٥٨ ، والكنز ١١/ ٣٨٥ـ ٣٩١ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١/ ٣٨٠ .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ٢ ، بنحوه عن الكلبي عن أبي صالح عنها طريق واهية ، وورد بنحوه في تفسير الجصاص ٣/ ١٩٤ ، عنها ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٨ ، عن ابن عباس ، والثعلبي ٧/ ٩٣أ ، عن الكلبي ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٤ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٤٦ . تقدمت ترجمتها .

(٣) ورد في تفسير الجصاص ٣/ ١٩٥ ، بنصه ، والماوردي ٣/ ٢٢٥ ، بنحوه عن أبي صالح عن أم هانئ ، انظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٥٠ ، عن ابن عباس ، وابن الجوزي ٥/ ٥ ، عن أبي يعلى ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٤٦ ، عن ابن عباس .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٥ ، بنحوه .

والزَّجَّاج[١] ، ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ قالوا كلهم : يعني بيت المقدس[٢] ، وقيل له : الأقصى؛ لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ ، الأكثرون قالوا : باركنا حوله بالثمار والأنهار[٤] ، وقيل : بمن جعلنا حوله من الأنبياء والصالحين[٥] ، وهو قول مجاهد ، قال : لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة[٦] .

وقوله : ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ ، يعني ما رأى في تلك الليلة من العجائب والآيات التي تدل على قدرة الله وعظمته ، وأخبر بها الناس من غد تلك الليلة (وهي معروفة مشهورة في الأخبار .

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الذي أسرى بعبده ، ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ، قال العلماء في هذه الآية : أخبر الله تعالى عن إسرائه بعبده)[٧] إلى بيت المقدس ليلاً ، وأصبح بمكة

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٥ ، بنحوه .

(٢) ورد بنصه في تفسير مقاتل ١/ ٢١٠أ ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٨ ، وهود الهواري ٢/ ٣٩٧ ، والثعلبي ٧/ ٩٣أ ، والماوردي ٣/ ٢٢٦ ، والطوسي ٦/ ٤٤٦ ، وانظر : تفسير الخازن ٣/ ١٤٥ .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ٩٣أ بنصه ، والماوردي ٣/ ٢٢٦ بنصه ، والطوسي ٦/ ٤٤٦ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٩/ ٩ ، وابن الجوزي ٥/ ٥ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٤٦ ، والقرطبي ١٠/ ٢١٢ ، والخازن ٣/ ١٤٥ .

(٤) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢١١أ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٥ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٥ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١١٩ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٩ ، والثعلبي ٧/ ٩٣ب ، والماوردي ٣/ ٢٢٦ ، والطوسي ٦/ ٤٤٦ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٩/ ١٠ ، وابن الجوزي ٥/ ٥ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٤٦ ، والقرطبي ١٠/ ٢١٢ ، والخازن ٣/ ١٤٥ ، وابن كثير ٣/ ٣ ، والدر المنثور ٥/ ٢٣٦ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٥) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٤٧ ، بنصه ، انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٢١٢ .

(٦) ليس في تفسيره ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ٩٣ب ، بنصه ، والماوردي ٣/ ٢٢٦ ، بنصه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٥٨ ، وبلا نسبة في تفسير ابن الجوزي ٥/ ٥ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٤٦ ، والخازن ٣/ ١٤٥ .

(٧) ما بين القوسين كتب على الهامش في نسخة (أ) .

وأخبر أهلها بذلك فلم يصدقوه حتى بَيَّنَ لهم العلامات التي رآها في الطريق ، ووصف لهم المسجدَ ، ولم يكن رآه قبل ذلك ، وكان الأمر على ما قال فثبت بذلك صدقه وظهر إعجازه[١] ، ثم أخبر هو ﷺ أنه عرج به تلك الليلة إلى السماء على ما يروى في الحديث[٢] واجتمعت الرواة أصحاب الأخبار على صحته ، فيثبت عروجه إلى السماء بخبر الصادق الذي يجب قبول قوله .

٢. قوله تعالى : ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية . ذكر الله تعالى في الآية الأولى كرامة محمد ﷺ بأن أَسرى به ، ثم ذكر أنه أكرم موسى أيضاً قبله بالكتاب الذي آتاه ، فقال : ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني التوراة[٣] .

﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ . قال قتادة : جعله الله هدى لهم ، يخرجهم من الظلمات إلى النور[٤] .

وقال الزَّجَّاج أي دللناهم به على الهدى[٥] .

---

(١) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢١١أ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٦ ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٤٠٦ ، والثعلبي ٧/ ٩٩ب ، والطوسي ٦/ ٤٤٦ .

(٢) سبق ذكر الحديث وعزوه .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢١٢أ ، بلفظه ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٩ ، والماوردي ٣/ ٢٢٧ ، والطوسي ٦/ ٤٤٧ .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٨ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٢٩٤ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٦ ، بنصه .

وقوله تعالى : ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾ . قرأ أبو عمرو بالياء[١] ؛ لأن المتقدم[٢] ذكرهم على لفظ الغَيبة ، والمعنى : هديناهم ؛ لئلَّا يتخذوا من دوني وكيلاً ، ومن قرأ بالتاء[٣] فهو على الانصراف إلى الخطاب بعد الغَيبة ، مثل : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة :١] ، ثم قال : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[٤] [الفاتحة :٥] .

قال أبو علي الفارسي : يجوز في (أَنْ) في قوله : ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾ [ثلاثة أوجه ؛ أحدها : أن تكون (أَنْ) الناصبة للفعل ، فيكون المعنى : ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾ لئلَّا تتخذوا][٥] .

والآخر : أن تكون معنى (أي) التي للتفسير ، وانصرف الكلام من الغَيبة إلى الخطاب في قراءة العامة ، كما انصرف منها إلى الخطاب والأمر في قوله : ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا﴾ [ص :٦] ، فكذلك انصرف مِن الغَيبة إلى النهي في قوله : ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾ .

والثالث : أن تكون زائدة[٦] ، ويحمل ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾ على القول المُضْمَر ، فيكون التقدير : ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فقلنا : لا تتخذوا من دوني شريكاً[٧] .

---

(١) انظر : السبعة ٣٧٨ ، وعلل القراءات ١/ ٣١٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦٣ ، والحجة للقراء ٥/ ٨٣ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٧ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٤٢ ، والتيسير ١٣٩ .

(٢) في النسخ جميعها : (التقدم) ، والمثبت هو الصحيح والموافق للمصدر .

(٣) وهم الباقون . انظر : المصادر السابقة .

(٤) ورد بنصه تقريباً في الحجة للقراء ٥/ ٨٣ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٦) انظر : التعليق على القول بالزيادة في القرآن ، عند آية [١٠] من سورة إبراهيم .

(٧) الحجة للقراء ٥/ ٨٤ تصرف فيه بالتقديم والتأخير والاختصار .

قال المبرِّد : ولا أعرف لهذا وجهـاً في العربية[١]؛ لأنه لا يكون الوكيل الذي يوكله موكلـه ليخلفه في ما وكله فيه شريكاً ، والوكيـل هو الذي يفعل ما يفعله المـُـوَكِّل ، والله -عز وجل- يتعـالى عن أن يكون دونه مـن يُدْعى كما يُدْعَى ، ويَفْعل كما يفعل ، فنهاهم أن يضعوا أحداً بهذا الموضع؛ إذ لا كافي غيره[٢] .

قال أبو علي : أفرد الوكيل وهـو في معنى الجميع؛ لأن فعيلاً يكون مفرداً في اللفظ والمعنى على الجميع ، كقوله : ﴿وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[٣] [النساء :٦٩] ، وقد مر .

٣. قوله تعالى : ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ ، يجوز في نصب ذرية وجهان؛ أحدهمـا : أن يكون منصوباً على النداء ، يعني : يـا ذُرِّيَّةَ من حملنا مع نوح ، وهذا قول مجاهد ، قال : هذا نداء[٤] ، وإنما يصح هذا على قراءة من قـرأ بالتاء ، كأنه قيل لهم : لا تتخذوا مـن دوني وكيلاً يا ذرية من حملنا مع نوح في السـفينة ، [قال قتادة : النـاس كلهم ذرية نوح ومن أنجى الله في تلك السفينة[٥] .

---

(١) أي تفسـير (وكيلاً) بـ(شريكاً) ، وهو قول مجاهد ، أخرجه الطـبري ١٥/ ١٨١٧ ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٢٠ ، وتفسـير الماوردي ٣/ ٢٢٧ ، والطوسي ٦/ ٤٤٧ ، والدر المنثور ٤/ ٢٩٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم . وقد ورد قول المبرِّد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٤٧ ، بنحوه .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) الحجة للقراء ٥/ ٨٥ ، بنصه .

(٤) انظر : تفسـير البغـوي ٥/ ٦٧ ، وابن الجـوزي ٥/ ٦ ، والفخـر الـرازي ٢٠/ ١٥٤ ، والقرطبي ١٠/ ٢١٣ ، والدر المنثور ٤/ ٢٩٤ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٥) أخرجـه الطـبري ١٥/ ١٩ ، بنصه ، وتضمـن الخبر قول الحسـن اللاحق بنحوه ، انظر : تفسـير ابن الجوزي ٥/ ٦ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٥٤ ، مثل الطبري .

وقال الحسن : وكان معه في السفينة][1] ثلاثة بنين : يافث وسام وحام ، والناس كلهم من ذرية أولئك[2] .

قال الزَّجَّاج : وإنما ذُكِّروا بنعمة الله عندهم؛ إذ أنجى آباءهم[3] من الغرق بأنهم حُمِلُوا مع نوح[4] ، الوجه الثاني في نصب ذرية : أن يكون مفعول الاتخاذ؛ لأنه فعلٌ يتعدى إلى مفعولين ، كقوله : ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾[5] [النساء :١٢٥] ، ويجوز هذا الوجه في القراءتين جميعاً ، والمعنى : لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح من دوني وكيلاً ، ذكر هذا أبو إسحاق وأبو علي[6] .

ثم أثنى على نوح فقال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ، قال المفسرون : كان نوح إذا أكل طعاماً أو لبس ثوباً حمد الله تعالى ، فَسُمِّي عبداً شكوراً[7] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (د) .

(٢) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير هود الهواري ٢/ ٤٠٧ .

(٣) في النسخ جميعها : (آباؤهم) ، وهو خطأ نحوي ظاهر ، وفي المصدر : (أبناءهم) ، وهو خطأ كذلك ، لكن في اللفظ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٦ ، بنصه تقريباً .

(٥) ورد في الحجة للقراء ٥/ ٨٥ ، بنصه .

(٦) انظر : المصدرين السابقين .

(٧) أخرجه الطبري ١٥/ ١٩ ، بنصه وبنحوه من طرق عدة ، ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢١٢أ ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٩ ، وهود الهواري ٢/ ٤٠٧ ، والثعلبي ٧/ ١٠٠أ ، والماوردي ٣/ ٢٢٨ ، والطوسي ٦/ ٤٤٧ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٦٧ ، والزمخشري ٢/ ٢٥١ ، وابن الجوزي ٥/ ٧ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٥٥ ، والقرطبي ١٠/ ٢١٣ .

٤. قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾. قال ابن عباس والمفسرون: أعلمناهم وأخبرناهم[١].

قال أبو إسحاق: معناه أعلمناهم في الكتاب وأوحينا إليهم، ومثل ذلك: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦] معناه أعلمناه وأوحينا إليه[٢]، ومعنى القضاء في اللغة: قطع الأشياء عن إحكام[٣]، ومنه قوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢]. وقول الشاعر[٤]:

وعليهِما مَسْرودَتانِ قضاهُما[٥]

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ٢١، بلفظه عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٢٢، بلفظه عن ابن عباس، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٠ بلفظه، وهود الهواري ٢/ ٤٠٨، بنحوه، والثعلبي ٧/ ١٠٤أ، بلفظه، والماوردي ٣/ ٢٢٨، بنحوه، والطوسي ٦/ ٤٤٨ بنصه، انظر: تفسير البغوي ٥/ ٦٧، وابن عطية ٩/ ١٥، وابن الجوزي ٥/ ٧، عن ابن عباس، والفخر الرازي ٢٠/ ١٥٥، والخازن ٣/ ١٥٢، وأبي حيان ٦/ ٨، عن ابن عباس، والدر المنثور ٤/ ٢٩٥ـ٢٩٦، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٧، بنصه تقريباً.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (قضى) ٣/ ٢٩٨٦، والمحيط في اللغة ٥/ ٤٦٢، ومجمل اللغة ٢/ ٧٥٧، والصحاح ٦/ ٢٤٦٣، واللسان ٦/ ٣٦٦٥.
ذكر أصحاب الوجوه والنظائر أن قضى وردت في القرآن على عشرة أوجه، ونقل ابن حجر في الفتح عن إسماعيل النيسابوري أنها وردت في القرآن على خمسة عشر وجهاً، كما ذكر ضابطاً لمعنى القضاء، نقله عن الأزهري، وهو: كل ما أحكم عمله أو ختم أو أكمل أو وجب أو ألهم أو أنفذ أو مضى فقد قضى. انظر: التصاريف ٣٤٠، وإصلاح الوجوه والنظائر ٣٨٥، وفتح الباري ٨/ ٢٤١.

(٤) هو أبو ذُؤَيب الهذلي، مخضرم، توفي ٢٧هـ.

(٥) وعجزه:
داوُدُ أوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ
ديوان الهذليين ١٩، وورد في تأويل مشكل القرآن ٤٤١، وتهذيب اللغة (قضى) ٣/ ٢٩٨٦، واللسان ٦/ ٣٦٦٥.
وورد برواية: «تعاوَرا مَسْرودَتَيْن قضاهما» في المعاني الكبير ٢/ ١٠٣٩.
وورد غير منسوب في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٧، مسرودتان: درعان، قضاهما: فرغ منهما؛ أي داود عليه السلام، أو صنَعُ السوابغ، الصَّنَعُ: الحاذق بالعمل، والصَّنَع هاهنا: تُبَّع.

قال ابن قتيبة في هذه الآية : أعلمناهم؛ لأنه لما خَبَّرهم أنه[١] سيفسدون في الأرض ، حَتَّمَ بوقوع الخبر[٢] ، و﴿إِلَىٰ﴾ في هذه الآية من صلة الإيحاء؛ لأن معنى ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ : أوحينا ، فالمعنى : إنا أوحينا إليهم ، كذا قال أبو إسحاق[٣] .

وقوله تعالى : ﴿لَنُفْسِدُنَّ﴾ . قال ابن عباس : يريد المعاصي وخلاف أحكام التوراة[٤] .

وقوله تعالى : ﴿فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ . قال الكلبي : يعني أرض مصر[٥] ، ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ . قال الزَّجَّاج : معناه لَتَعْظُمُنَّ ولَتَبْغُنَّ؛ لأنه يقال لكل مُتجبِّرٍ : قَدْ عَلا وتعظَّمَ[٦] .

٥. قوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ ، يعني أُولى[٧] المرتين ، ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ . قال عطية : أفسدوا المرة الأولى فأرسل الله عليهم جالوت ، وعاد ملكهم كما كان ، وهذا قول قتادة

---

(١) الأولى أنهم كما في المصدر .

(٢) تأويل مشكل القرآن ٤٤١ ، بنصه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٧ ، بنصه .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٢٩٦ ، بنحوه ، وتفسير البغوي ٥/ ٧٩ ، بنحوه عن قتادة ، وورد بنصه وبنحوه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٠ ، والثعلبي ٧/ ١٠٤أ ، وابن الجوزي ٥/ ٧ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٥٥ ، والقرطبي ١٠/ ٢١٤ ، والخازن ٣/ ١٥٢ .

(٥) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٧ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٥٥ بلا نسبة فيهما ، وهو تفسير غريب للأرض المعنية بأنها مصر؛ لأن الأحداث كلها تدور في بيت المقدس والشام ، كما نصت عليه الروايات وأشار إليها بعض المفسرين ، كالبغوي ٥/ ٧٩ ، والقرطبي ١٠/ ٢١٤ ، والخازن ٣/ ١٥٢ ، والغريب أن أبا حيان نسب إلى الكلبي خلافه ، فقال : وقال الكلبي : لتعصنَّ في الأرض المقدسة . انظر : تفسير أبي حيان ٦/ ٩ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٧ ، بنصه .

(٧) ساقطة من (ش) و(ع) .

ورواية عطية عن ابن عباس[١] ، وعلى هذا القول : ﴿عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ هم جالوت وجنوده .

ومعنى : ﴿أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ . قال ابن عباس : البأس : القتال[٢] ، ومنه قوله : ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة :١٧٧] .

ومعنى ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾ : أرسلنا عليكم وخَلَّيْنَا بينكم وبينهم خاذلين إياكم[٣] .

وقال مجاهد في قوله : ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾ الآية . قال : جند جاءهم[٤] من فارس ، يتحسسون أخبارهم ويسمعون حديثهم ، معهم بختنصر فوعى[٥] حديثهم من بين أصحابه ، ثم رجعت إلى فارس ولم يكن قتال ، ونُصر عليهم بنو إسرائيل ، فهذه وعد الأولى ، وهذا قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير[٦] .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٣ ، بنحوه عن قتادة ، والطبري ١٥/ ٢٨ ، بنحوه عن ابن عباس من طريق عطية (ضعيفة) وبنحوه من طريقين عن قتادة ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٢٣ ، بنحوه عن قتادة ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٠٤أ ، بنحوه عن ابن عباس ، والطوسي ٦/ ٤٤٨ ، بنحوه عنهما ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٩ ، عنهما ، والقرطبي ١٠/ ٢١٥ ، عن قتادة ، وابن كثير ٣/ ٢٩ ، عنهما ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٩٩ وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن عطية ، وأورده وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، وأورده ٥/ ٢٤٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن قتادة .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٥/ ٤٥ بلفظه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ٢٧ بلفظه من طرق عدة عن ابن مسعود ومجاهد وقتادة والضحاك ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣١٥ وزاد نسبته إلى وكيع وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والحاكم وصححه عن ابن مسعود .

(٣) ورد في تفسير الماوردي ٣/ ٢٢٩ ، بنحوه عن الحسن ، انظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٥٢ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٥٥ .

(٤) هكذا في النسخ جميعها ، والأولى : جاؤوهم؛ لأن جند جمع ، ويتناسب مع قوله : يتحسسون ، وهكذا في المصدر .

(٥) في (د) : (مرفوعاً) .

(٦) تفسير مجاهد ٤٢٨ وعبارته مضطربة ومخالفة للمصادر جميعها ، وأخرجه الطبري ١٥/ ٣٠ ، بنصه عن مجاهد من ثلاثة طرق ، انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٢١٥ ، والدر المنثور ٤/ ٢٩٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد ، ولم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس .

وقوله تعالى : ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ . قال الليث : الجوس والجوسان : التردد خلال الدور والبيوت في الغارة ونحو ذلك[١] ، ومعنى جاسوا : ترددوا وتخللوا[٢] .

وقوله تعالى : ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ يعني ديار بيت المقدس ، والخلال : الانفراج بين الشيئين[٣] واختلفت العبارات في تفسير جاسوا ، فقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يقول : مشوا[٤] .

وقال أبو عبيدة : طلبوا مَنْ فيها[٥] .

وقال الفرَّاء : يقول : قتلوكم بين بيوتكم[٦] .

وقال ابن قتيبة : عاثوا وأفسدوا[٧] .

وقال الزَّجَّاج أي فطافوا خلال الدِّيار هل بقي أحدٌ لم يقتلوه ، والجَوْس : طلب الشيء باستقصاء[٨] ، هذا كلامهم ، والجَوْس يحتمل هذه المعاني التي

---

(١) ورد في تهذيب اللغة (جاس) ١/ ٥٢١ ، بنصه تقريباً .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (جوس) ١/ ٥٢١ ، والمحيط في اللغة ٧/ ١٤٦ ، ومجمل اللغة ١/ ٢٠٣ ، والصحاح ٣/ ٩١٥ ، واللسان (جوس) ٢/ ٧٢٦ .

(٣) انظر : المحيط في اللغة (خل) ٤/ ١٧٥ ، ومجمل اللغة ١/ ٢٧٦ ، والصحاح (خلل) ٤/ ١٦٨٧ ، والمحكم (خلل) ٤/ ٣٧١ ، واللسان ٢/ ١٢٤٩ .

(٤) في النسخ جميعها : (فتشوا) ، والتصويب من المصادر ، فقد أخرجه الطبري ١٥/ ٢٧ـ٢٨ ، بلفظه من الطريق نفسه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٢٣ بلفظه ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٠٤أ ، بلفظه ، والماوردي ٣/ ٢٢٩ ، بلفظه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٩ ، والقرطبي ١٠/ ٢١٦ ، والدر المنثور ٤/ ٢٩٩ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) ليس في مجازه ١/ ٣٧٠ ، والذي فيه قال : قتلوا . وقد ورد بنصه في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٤أ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٦ ، بنصه .

(٧) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٢ ، بنصه تقريباً .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٧ ، بنصه تقريباً .

ذكروها ، إنَّ معنى الجوس هو التردد للطلب ، فيحتمل أنهم جاسوا لطلب الخبر على قول مجاهد[١] ، ويحتمل أنهم جاسوا بالقتل والعبث وطلب من يقتلونه[٢] ، ويشهد لهذا قول حسان :

ومِنَّا الَّذي لاقَى بِسَيْفِ محمـدٍ فَجَاس بِهِ الأعداءَ عَرْضَ العَسَاكرِ[٣]

أي تخللهم قتلاً بسيفه .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ . قال قتادة : قضاء قضاه على القوم كما تسمعون[٤] .

٦. قوله تعالى : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطية : وقتل داود جالوت وعاد ملكهم كما كان[٥] .

وقال مجاهد : نُصِرَ عليهم بنو إسرائيل[٦] .

---

(١) تقدم قوله في الصفحة السابقة حاشية (٢) .

(٢) ورد في تفسير الطبري ١٥/ ٢٨ ، بنحوه .

(٣) لم أجده في ديوانه المطبوع ، وورد في تفسير الطبري ١٥/ ٢٨ ، والماوردي ٣/ ٢٢٩ ، والطوسي ٦/ ٤٤٩ ، والقرطبي ١٠/ ٢١٦ ، والشوكاني ٣/ ٣٠٠ ، والدر المصون ٧/ ٣١٤ .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ٢٨ بنصه .

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ٣٠ ، ٣١ ، مفصلاً من طريق العوفي (ضعيفة) ، انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٢٩ ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير الماوردي ٣/ ٢٣٠ ، والزمخشري ٢/ ٣٥٢ ، وابن الجوزي ٥/ ١٠ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٥٦ ، والقرطبي ١٠/ ٢١٧ ، وأبي حيان ٦/ ١٠ ، والألوسي ١٥/ ١٨ .

(٦) ليس في تفسيره ، أخرجه الطبري ١٥/ ٣٠ ، ٣١ ، جزء من أثر بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٩٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

والكرة معناها : الرجعة والدولة[١] ، وهذه الآية تدل على أنهم هُزِمُوا في المرة الأولى وقُتِلَ منهم .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ ، قال أبو عبيدة : النفير : العدد من الرجال[٢] .

[وقال الزَّجَّاج أي جعلناكم أكثر منهم نُصَّاراً[٣] .

قال ابن قتيبة : أكثر عدداً ، وأصله مَنْ يَنْفِرُ مع الرجل مِنْ عشيرته وأهل بيته ، وهو[٤] النَّفِيرُ والنافر واحد ، كما يقال : قدير وقادر[٥] ، وذكرنا معنى نفر عند قوله : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾[٦] [التوبة :١٢٢] ، وقوله : ﴿انْفِرُوا خِفَافًا﴾][٧] [التوبة :٤١] .

---

(١) ورد بنحوه في غريب القرآن لليزيدي ٢١١ ، والغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٢ ، وتهذيب اللغة (كر) ٩/ ٤٤٢ ، والمحيط في اللغة (كر) ٦/ ١٣٨ ، ومجمل اللغة ٢/ ٧٦٧ ، والصحاح (كرر) ٢/ ٨٠٤ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٠٤ب ، بنصه ، والطوسي ٦/ ٤٤٩ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٧٩ ، وابن الجوزي ٥/ ١٠ ، والقرطبي ١٠/ ٢١٧ .

(٢) ليس في مجازه ١/ ٣٧١ والذي فيه ، قال : مجازه : من الذين نفروا معه ، وورد نحوٌ من هذا القول عن أبي عبيد ، قال : النفر والرَّهط : ما دون العشرة من الرجال . تهذيب اللغة (نفر) ٤/ ٣٦٢٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢ بنصه .

(٤) ضمير الفصل هو غير موجود في المصدر .

(٥) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٢ ، بنصه .

(٦) في كلا الموضعين لم يتكلم على المعنى اللغوي لنفر .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

وقال الزَّجَّاج : ويجوز أن يكـون النفير جمعاً[١] ، كالكليب والعبيد والضَّئين والمَـعِيز[٢] ، و(نفيراً) منصوب على التَّمييز[٣] .

٧. قولـه تعالى : ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ الآيـة . يحتاج هاهنا إلى إضمار القول على تقدير : وقلنا :﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ ، قال ابن عباس : يريد إن أطعتم الله في ما بقي عفا عنكم المسـاوئ ، ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ قال : يريد الفسـاد وعصيان الأنبياء وقتلهم ، ﴿فَلَهَا﴾ . قال : يريد فعلى أنفسكم يقع الوبال .

قال النحويـون : إنما قيل : ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ للتقابـل ، والمعنى : فإليها أو فعليهـا[٤] ، مع أن حروف الإضافة تقع بعضها موقع بعض إذا تقاربت ، كقوله : ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة :٥]؛ أي إليها .

---

(١) قال ابن عطية : وعندي أن النفير اسـم للجمع الذي يَنْفُر ، سُمِّي بالمصدر ، ومنه قول أبي سفيان لبني زهرة : لا في العير ولا في النفير؛ أي ولا في جمع قريش الخارج من مكة إلى بدر . انظر : تفسير ابن عطية ٩/ ٢١ .

(٢) الضَّئينُ : جمع ضأن ، والضَّأْن ذوات الأصواف من الغنـم . انظر : جمهرة اللغة (ضأن) ٢/ ١٠٧٨ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٠٨٣ ، والمحيط في اللغة ٨/ ٤٧ ، والصحاح ٦/ ٢١٥٣ .
والـمَعِيْزُ : جمع مِعْزَى وماعز ، والـمَعْز : ذوات الشعر من الغنم . انظر : جمهرة اللغة (معز) ٢/ ٨١٦ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٤٢٠ ، والمحيط في اللغة ١/ ٣٩٨ ، والصحاح ٣/ ٨٩٦ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٨ ، بنصه .

(٤) ورد بنحوه في تفسـير الطبري ١٥/ ٣١ ، والثعلبي ٧/ ١٠٤ب ، والطوسي ٦/ ٤٥١ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ١٠ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٥٨ ، بنصه ، والدر المصون ٧/ ٣١٦ .
وذهب النحاس إلى أن (لها) عـلى بابها ، وقال : ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾؛ أي يحصل العقاب لها ، ثم قال : و(لها) بمعنى (عليهـا) لا يقوله النحويون الحذاق ، وقد رجحه العكبري والمنتجب ، قال العكبري : وقيـل : هي على بابها ، وهو الصحيح؛ لأن اللام للاختصاص ، والعامل مختص بجزاء عمله حسـنة وسـيئة . انظر : إعراب القرآن للنحـاس ٢/ ٢٣١ ، والإملاء ٢/ ٨٨ ، والفريـد في إعراب القرآن ٣/ ٢٦٠ .

وقوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾؛ أي وعد المرة الآخرة من إفسادكم ، قال المفسرون : فأفسدوا المرة ، فقتلوا يحيى بن زكريا ، فبعث الله عليهم (بخت نصر) البابلي المجوسي[١] -أبغض خلقه إليه- فَسَبَا وقتل وخَرَّب بيت المقدس ، وسامهم سوء العذاب[٢] .

---

(١) هذا القول مشهور ، بل قال الطبري ١٥/ ٢٧ : لا اختلاف بين أهل العلم أن إفسادهم في المرة الآخرة كان قتلهم يحيى بن زكريا ، ومع ذلك فقد رده كثير من العلماء ، قال الثعلبي : ومن روى أن بختنصر هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا ، فغلط عند أهل السير والأخبار؛ لأنهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم شَعْيَاً وفي عهد أرمياء ، قالوا : ومن عهد أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا -عليهما السلام- أربعمائة سنة وإحدى وستون سنة ، وقال السهيلي : وهذا لايصح؛ لأن قتل يحيى كان بعد رفع عيسى ، وبختنصر كان قبل عيسى بن مريم عليهما السلام بزمان طويل ، . .ولكنه أريد بالمرة الأخرى حين قتلوا شَعْيَا؛ فقد كان بختنصر إذ ذاك حياً ، فهو الذي قتلهم وخرَّب بيت المقدس . وقال الفخر الرازي : التواريخ تشهد بأن بختنصر كان قبل وقت عيسى عليه السلام ، ويحيى بن زكريا -عليهما السلام- بسنين متطاولة . انظر : تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٣أ ، وابن الجوزي ٥/ ١١ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٥٨ ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٠ .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ٣٥-٤٣ ، بنحوه عن ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وقتادة وابن جبير ، وورد بنحوه في تفسير هود الهواري ٢/ ٤٠٩ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٠ ، وابن الجوزي ٥/ ١١ .
اختلف في فسادي بني إسرائيل من حيث الوقوع وعدمه على ثلاثة أقوال :
الأول : أن كلا الفسادين وقع قبل بعثة النبي ﷺ ونزول القرآن ، ووقعا في بيت المقدس ، وإليه ذهب القدامى من المفسرين ، واختلفوا في الفساد الأول؛ فذهب علي وابن مسعود وابن عباس وابن زيد -رضي الله عنه- إلى أنه قتلهم زكريا عليه السلام ، وروى ابن إسحاق أنه كان قتلهم شعياء ، وأيَّد قوله بأن بعضَ أهل العلم أخبره أن زكريا مات موتاً ، ولم يُقتل ، أما فسادهم في المرة الآخرة ، فقد ذكر ابن جرير أنه لا خلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام . انظر : تفسير الطبري ١٥/ ٢٧ ، ٢٨ ، والدر المنثور ٤/ ٢٩٦ .
القول الثاني : أن الفساد الأول مضى قبل الإسلام ، والثاني هو فسادهم الحالي ، قاله بعض المعاصرين ، ومنهم الدكتور مصطفى مسلم ، فقد ذكر أن الإفساد الأول كان بعد مملكة سليمان عليه السلام ، وأن الإفساد الثاني لمَّا يأت بعد ، لكنه قال : وبدأت بذوره من بداية مؤتمر اليهود في بال بسويسرا عام ١٨٩٧م وقد وضعوا فيها المخطط المدروس لإفساد العالم ، ويرى أن اللبنة الأولى قيام دولة إسرائيل ، ومنذ ذاك الوقت -إلى الآن- وعلو بني إسرائيل في تزايد مستمر . انظر : معالم قرآنية في الصراع مع اليهود ٢٥٢ .
وأما الشيخ سعيد حوى فقد وضع ضابطاً لترجيح أيِّ قول حول إفسادهم ، فقال : إن النص يحدثنا =

وجواب قوله : ﴿فَإِذَا جَآءَ﴾ محذوف ، تقديره : ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾ بعثنا ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ ، ودل عليه ما تقدم من قوله : ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ فَحُذف لتقدم ذكره ، ولأنه جواب (إذا) وشرطها يقتضيه ، فحُذف للدلالة عليه ، قاله الفرَّاء[١] وأبو علي[٢] وصاحب النظم .

= عن إفسادتين لبني إسرائيل يرافقهما علو كبير ، وهذا مهمٌّ جدّاً في فهم الموضوع ، لقد أفسد بنو إسرائيل إفسادات كثيرة ولكن لم يكن يرافق كل ذلك علوٌّ كبير لهم ودولة ، كما أنهم قد علوا علواً كبيراً في مراحل ـ كما حدث في زمن داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ ولكنه علو لا يرافقه فساد . ثم قال : ويبدو بما لا يقبل الجدل أن الإفسادة الأولى هي التي سلط عليهم بها بختنصر ، فهي الإفسادة التي رافقها بغي وطغيان وعتو ، ثم قال : فهل الإفسادة الثانية هي ما نراه الآن؟ إذ لهم دولة وسلطان ، وإفساد وطغيان . . وبعد مناقشات رجح أن الإفسادة الثانية هي الآن ، فقال : والآن إفسادهم في الأرض كلها معروف ، وسيطرتهم الخفية على بعض بلدان العالم معروفة ، واجتمع لهم سلطان ودولة . انظر : الأساس في التفسير ٦/ ٣٠٣٧ ، وعلى هذا القول يكون مكان الإفسادتين بيت المقدس أيضاً .

القول الثالث : أن الفسادين وقعا بعد بعثة النبي ﷺ ونزول القرآن ، فالأول وقع إبان بعثة النبي ﷺ ، والثاني هو الحالي ، قاله أيضاً بعض المعاصرين . يقول الشيخ سعيد حوى : ويمكن أن نفهم المسألة فهماً آخر ، بأن نعدَّ الإفسادة الأولى هي محاولتهم الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية ، وتسليط الله المسلمين عليهم وعلى ديارهم حول المدينة المنورة ، والإفسادة الثانية هي الإفسادة الحالية ، ويكون المسلمون الذين غلبوهم أول مرة هم الذين سيغلبونهم المرة الثانية ، إذا اجتمع لهم العبودية لله والبأس الشديد . انظر : الأساس في التفسير ٦/ ٣٠٤٠ .

وقد انتصر الدكتور صلاح الخالدي للقول الثالث ، بل لم ير غيره ، وناقش قول القدامى ورد عليه ، وأهم منطلقاته أن قول القدامى اعتمد على الإسرائيليات وعلى روايات تاريخية لم تثبت تاريخيًّا ولا علميًّا ، ودلل على أن إفسادهم الأول المقرون بالعلو الكبير لم يكن في أثناء وجودهم في بيت المقدس ، إنما كان أول إفساد لهم مقروناً بالعلو الكبير بالحجاز قبل بعثة النبي ﷺ وبعدها ، وذكر صوراً من مظاهر إفسادهم الأول ، ثم دلل على أن الإفسادة الثانية هي الحالية بتحليل مفردات الآية السادسة ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ ، والاستدلال بواقعهم المعاصر الذي وصلوا فيه الذروة في العلو الكبير . انظر : حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية (١٥٠ـ١٩٠) ، والشخصية اليهودية من خلال القرآن ٣٢٧ـ٣٤٩ .

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٦ ، بنحوه .

(٢) الحجة للقراء ٥/ ٨٦ ، بنصه تقريباً .

وقوله تعالى : ﴿لِيَسُـٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ . يقال : ساءه يسوؤه؛ أي أحزنه ، وذكرنا ذلك في مواضع[١] ، قال أبو علي : قال : ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ على أنَّ الوجوهَ مفعول ﴿لِيَسُـٓـُٔوا۟﴾ ، وعُدِّيَ إلى الوجوه ، ولأن الوجوه قد يُراد بها ذَوو الوجوه؛ لقوله : ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص :٨٨] ، وكأن الوجوه إنما خُصَّت بذلك؛ لأنها تدل على ما كان من ذوي الوجوه من الناس من حزنٍ ومسرةٍ وبشارةٍ وكآبةٍ[٢] ، والمعنى : بعثناهم ليسوؤوا[٣] ، وهذه قراءة العامة[٤] ، وهي وَفْق المعنى واللفظ؛ أما المعنى : فإن المبعوثين هم[٥] الذين يسوؤونهم في الحقيقة؛ لقتلهم إيَّاهم وأسرهم لهم ، وأما اللفظ : فإنه يوافق قوله : ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾ ، وقرأ حمزة : (لِيَسوءَ) على واحد بالياء[٦] ، وفاعلُ يَسُوء يجوز أن يكون أحدَ شيئين : إما اسم الله سبحانه؛ لأن الذي تقدم بعثنا ورددنا وأمددنا ، وإما أن يكون البعث ، ودل عليه ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ المتقدم[٧] ، والفعل يدل على المصدر ، كقوله تعالى : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [آل عمران :١٨٠] . وقال الزَّجَّاج : ليسوء الوعدُ وجُوهَكم[٨] ، وقرأ الكسائي بالنون[٩] ، وهذا على إسناد الفعل إلى الله تعالى لقوله : بعثنا وأمددنا .

---

(١) منها في سورة البقرة آية [٤٩] .

(٢) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٥٠ ، بنصه تقريباً .

(٣) الحجة للقراء ٥/ ٨٦ بتصرف واختصار .

(٤) وهم : أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم ، قرؤوا بالياء وضم الهمزة وإشباعها ، انظر : السبعة ٣٧٨ ، وعلل القراءات ١/ ٣١٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦٣ ، والحجة للقراء ٥/ ٨٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٧ ، والتبصرة ٥٦٧ ، والنشر ٢/ ٣٠٦ .

(٥) ساقطة من (د) .

(٦) أي (لِيَسُوءَ) ، وقرأ بها كذلك عاصم وابن عامر . انظر : المصادر السابقة .

(٧) ورد في الحجة للقراء ٥/ ٨٦ ، بنصه تقريباً .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٨ ، بنصه .

(٩) أي (لِنَسُوءَ) . انظر : المصادر نفسها ، الصفحة السابقة ، حاشية رقم (٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَاعَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾ يقال : تَبِرَ الشيءُ يَتْبَرُ تَباراً إذا هلك ، وتَبَّرَه : أهلكه[١] .

قال أبو إسحاق : وكل شيء كَسَرْتَه وفَتَتَّهُ فقد تَبَّرْتَهُ[٢] ، ومن هذا تِبْرُ الزَّجَّاج وتِبْرُ الذهب لِمُكَسَّره[٣] ، قال المفسرون أي لِيُدَمِّروا ويُخَرِّبُوا ما غَلبُوا عليه[٤] ، جعلوا (ما) بمنزلة الذي ، وهذا قول قتادة[٥] .

وقال الزَّجَّاج : معناه لِيُدَمِّروا[٦] في حال عُلُوِّهِم[٧] ، (ما فجعل ظرفاً)[٨] . قال أبو علي : ولهذا عبارةٌ أجودُ مما ذكر وأوضح في المعنى ، وهو أن يقول : وليتبروا في وقت علوهم؛ لأن هذه (ما) التي أصلها المصدر ، ثم يتسع فيها وتستعمل ظرفاً من الزمان[٩] .

---

(١) انظر : جمهرة اللغة (تبر) ١/ ٢٥٣ ، والمحيط في اللغة ٩/ ٤٢٩ ، والصحاح ٢/ ٦٠٠ ، واللسان ١/ ٤١٦

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٨ ، بمعناه ، وورد في تهذيب اللغة (تبر) ١/ ٤٢٤ ، بنصه .

(٣) في النسخ جميعها (لتكسره) ، والمثبت هو الصحيح ، ويؤيده ما في التهذيب ، قال : ومن هذا قيل لِمُكَسِّر الزَّجَّاج .

(٤) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢١٢أ ، والطبري ١٥/ ٣٦ بنصه ، والسمرقندي ٢/ ٢٦١ ، وهود الهواري ٢/ ٤٠٩ ، والطوسي ٦/ ٤٥١ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ١١ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٥٩ ، بنصه .

(٥) أخرجه بنحوه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٣ ، والطبري ١٥/ ٣٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٩٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٦) في (ع) زيادة (ما)؛ أي (ليدمروا ما) ، وأغلب الظن أنه خطأ من النساخ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٨ ، بنصه .

(٨) هكذا وردت (العبارة) في النسخ جميعها ، ويبدو أن (ما) تقدمت على (فجعل) ، فتكون العبارة فجعل (ما) ظرفاً .

(٩) الإغفال ٢/ ١٥٣ ، بنصه تقريباً ، ولا فرق كبير بين المعنيين ، مع وصفه لعبارته بأنها أجود وأوضح .

٨. قوله تعالى : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ . هذا مما أخبر الله تعالى أنه قضى به إلى بني إسرائيل في كتابهم ، والمعنى : لعل ربكم أن يرحمكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم يا بني إسرائيل ، قال المفسرون : فعاد الله بعائدته ورحمته عليهم حتى كثروا وانتشروا[١] .

قال الأخفش : في الآية محذوف ، تقديره : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ إن فعلتم ذلك ، يعني أحسنتم وتركتم المعاصي[٢] ، ثم قال : ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ . قال الحسن : وإن عدتم بالمعصية عدنا بالعقوبة[٣] .

قال قتادة وإبراهيم وغيرهم : فعاد[٤] القوم لشر ما يحضر بهم ، فبعث الله عليهم من شاء لنقمته وعقوبته[٥] ، ثم كان آخر ذلك أن بعث عليهم هذا الحي من العرب فهم في عذاب منهم أبداً إلى يوم القيامة ، يُعْطُون الجزية عن يد وهم صاغرون ، وهو معنى قوله : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾[٦] [الأعراف :١٦٧] .

---

(١) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦١ ، بمعناه ، وهود الهواري ٢/ ٤١٠ ، بنحوه مختصراً ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ١٢ ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٣ .

(٢) ليس في معانيه .

(٣) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٢٦ ، بنصه .

(٤) في (أ) و(د) : (فعادو) .

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ٤٣ ، بنصه تقريباً عن قتادة ، وبمعناه عن ابن عباس وقتادة ، ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٤ب ، بمعناه عن قتادة ، والماوردي ٣/ ٢٣١ ، بمعناه عن قتادة ، والطوسي ٦/ ٤٥٢ ، بمعناه عن ابن عباس وقتادة ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٠ ، عن قتادة ، وابن الجوزي ٥/ ١٢ ، عن قتادة ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٤ ، عن قتادة ، وأبي حيان ٦/ ١١ ، وابن كثير ٣/ ٣٠ .

(٦) أورد المؤلف في تفسير هذه الآية قول ابن عباس والحسن وابن جبير وقتادة ، قالوا : هم العرب ومحمد ﷺ وأمته ، بعثهم الله على اليهود يقاتلونهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ . قال ابن عباس والمفسرون كلهم : سجناً ومحبساً[١] ، وذكرنا الكلام في الحصر عند قوله : ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [البقرة :١٩٦] ، قال الأخفش في قوله : ﴿حَصِيرًا﴾؛ أي مَحْبِساً ومَحْصراً[٢] ، وهو قول جميع أهل اللغة ، قال الليث : يُفَسَّر على أنهم يُحْصُرون فيها[٣] ، وقال ابن قتيبة : هو فعيل بمعنى فاعل[٤] .

وقال أبو إسحاق : حصيراً معناه حَبْساً من حصرته؛ أي حَبَسْتُه فهو محصور ، وهذا حَصِيرُهُ؛ أي مَحْبِسُه[٥] ، والحصير الملك لأنه محجوب فكأنه محصور[٦] ، والحصير الجَنْبُ؛ لأن بعض الأضلاع محصور مع بعض[٧] ، ومن هذا يقال للذي يُفْرَش : حصير؛ لحصر بعضه على بعض بالنسج[٨] .

---

(١) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢١٢ب ، بلفظه ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٤ ، بلفظه عن قتادة ، وورد بلفظه في غريب القرآن لليزيدي ٢١٢ ، والغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٢ ، وأخرجه الطبري ١٥/ ٤٥ بلفظه عن ابن عباس ـ من طريق ابن أبي طلحة ـ وأبي عمران وقتادة وابن زيد ، وبمعناه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد ، وورد كذلك في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٢٦ ، بلفظه عن قتادة ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٦١ ، بنصه ، وهود الهواري ٢/ ٤١٠ ، بلفظه ، والثعلبي ٧/ ١٠٤ب ، بلفظه ، والطوسي ٦/ ٤٥٢ ، بلفظه ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٠ ، وابن الجوزي ٥/ ١٢ ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٤ ، والخازن ٣/ ١٥٨ ، وابن كثير ٣/ ٣٠ .

(٢) ليس في معانيه ، وورد في تهذيب اللغة (حصر) ١/ ٨٣٩ ، بنصه .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (حصر) ١/ ٨٣٩ ، بنصه .

(٤) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٢ ، بنصه .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٨ ، بتصرف يسير .

(٦) ورد بنصه تقريباً في تفسير الطبري ١٥/ ٤٥ ، والثعلبي ٧/ ١٠٤ب ، والطوسي ٦/ ٤٥٢ ، وانظر : الصحاح : (حصر) ٢/ ٦٣١ ، ومجمل اللغة ١/ ٢٣٩ ، واللسان : (حصر) ٢/ ٨٩٦ ، وعمدة الحفاظ ١/ ٤٨٢ .

(٧) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٩ بنصه ، الجَنْبُ : شِقُّ الإنسان وغيره . انظر : اللسان (جنب) ١/ ٢٧٥ .

(٨) قاله القُشَيْري ، كما في تفسير القرطبي ١٠/ ٢٢٤ ، وانظر : تهذيب اللغة (حصر) ١/ ٨٣٩ ، واللسان ٢/ ٨٩٧ ، وعمدة الحفاظ ١/ ٤٨١ ، وقال : سمي الحصير حصيراً لكونه يَحصرُ من يجلس عليه .

وإلى هذا ذهب الحسن في تفسير هذه الآية . فقال في قوله : ﴿لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾؛ أي مهاداً وفراشاً[١] ، كما قال تعالى : ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الأعراف :٤١] .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ﴾ إلى آخر الآية . فصلٌ يحتمل أن يكون ابتداءَ إخبارٍ عن الله تعالى في عقاب جميع الكافرين ، ويحتمل أن يكون عطفاً على ما قبله؛ فيتضمن الإخبار عن تمام عقابهم على عودهم ، والمراد بالكافرين اليهود ، كأنه قيل : وإن عدتم للمعاصي والفساد عدنا عليكم بالتسليط ، هذا في الدنيا ، وجعلنا جهنم لكم مَحْبَساً في الآخرة ، وصرف الخطاب إلى المعاينة في قوله : ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾

٩. قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى﴾؛ أي يُرْشد ويدعو للتي؛ أي إلى التي ﴿هِىَ أَقْوَمُ﴾؛ أي أعدل وأرشد[٢] وأصوب ، من قولهم : رمح قويم وقوام؛ أي مستقيم[٣] ، وفلان أقوم كلاماً من فلان؛ أي أعدل ، و﴿لِلَّتِى﴾ نعت لموصوف محذوف على تقدير : يهدي للكلمة التي هي أقوم أو الطريقة والحالة ، وهي كلمة التوحيد على ما قاله المفسرون[٤] ،

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٤ ، بنصه ، والطبري ١٥/ ٤٥ـ٤٦ ، بنصه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٢٦ ، بنصه ، وتصحفت فيه : (مهاداً) إلى (معاداً) ، والمفردات ٢٣٨ ، بلفظه ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٠٤ب ، بنصه ، والماوردي ٣/ ٢٣١ ، بنصه ، والطوسي ٦/ ٤٥٢ ، بلفظه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٠ ، وابن الجوزي ٥/ ١٢ ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٤ ، وعمدة الحفاظ ١/ ٤٨٢ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٠ .

وقد رجح الطبري قول الحسن هذا ، وقال : إن الحصير بمعنى البساط في كلام العرب أشهر منه بمعنى الحبس ، كما أن فعيلاً في الحصر بمعنى وصفه بأنه الحاصر لا وجود له في كلام العرب ، وقال الثعلبي : وهو وجه حسن .

(٢) في (أ) و(ش) و(ع) : (أشد) ، والمثبت من (د) ، وهو المناسب للسياق .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (قام) ٣/ ٢٨٦٤ ، بنصه .

(٤) ورد في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٧ ، بمعناه ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٢٧ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٦١ ، والثعلبي ٧/ ١٠٤ب ، والماوردي ٣/ ٢٣٢ بمعناه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٠ ، وابن عطية ٨/ ٢٦ ، والخازن ٣/ ١٥٨ .

وإن شئت قلت طريقة التوحيد والإسلام[١] ، وقال الزَّجَّاج : للحال التي هي أقوم الحالات ، وهي توحيد الله والإيمانُ بِرُسُلِه والعملُ بطاعته[٢] .

١٠. قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ الآية . فيجب ﴿أَن﴾ للعطف بها على ﴿أَن﴾ الأولى؛ وذلك أنهم بُشِّروا بالنَّعيم الذي لهم والعذاب الذي لأعدائهم ، قال الفرَّاء : أُوقعت[٣] البشارة على قوله : ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا﴾ وعلى قوله : ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية . على أن يكون المؤمنون بُشِّرُوا بهما جميعاً ، كما تقول : بَشَّرت عبدالله أنه سيُعطى وأن عدوَّه سيُمنَع[٤] ، وذلك أن المؤمنين كانوا في أذى من المشركين ، فجعل الله لهم البشرى في الدنيا بعقاب الكافرين .

١١. قوله تعالى : ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ الآية . القياس إثبات الواو في (ويدعو) ، وحُذف في المصحف من الكتابة؛ لأنها لا تظهر في اللفظ ، ولم تحذف في المعنى؛ لأنها في موضع رفع ، فكان [حذفها باستقبالها اللام الساكنة ، ومثلها :][٥] ﴿يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ [ق :٤١] و﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر :٥] ، فلو كان بالياء والواو كان صواباً ، هذا كلام الفرَّاء[٦] ، والمعنى : أن الإنسان ربما دعا عند الضجر والغضب على نفسه وأهله وولده بما لا يحب أن يستجاب له ، كما يدعو لنفسه

(١) ورد نحوه في تفسير الطوسي ٦/ ٤٥٣ ، وهو أعمُّ من الأول ، ورجحه ابن عطية ٩/ ٢٦ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٩ ، بنصه تقريباً .
(٣) في (ش) و(ع) : (وقعت) ، والمثبت موافق للمصدر .
(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٧ بتصرف يسير .
(٥) ما بين المعقوفين إضافة من المصدر ليتضح المراد ، ويبدو أنها سقطت .
(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٧ ، بتصرف .

بالخير[١] ، والمعنى : كدعائه بالخير ، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ ؛ أي في طلب ما هو شَرٌّ له؛ يَعْجل بالدعاء في الشر عجلته بالدعاء في الخير ، هذا قول مجاهد وقتادة وعامة المفسرين[٢] ، والإنسان في هذه الآية اسم الجنس .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني النضر بن الحارث ، قال : ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾[٣][الأنفال :٣٢] ﴿دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ يريد كما يدعو المؤمنون بالمغفرة والرحمة ، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ يعني آدم حين نهض قبل أن يجري الروح فيه؛ وذلك أن آدم لما انتهت النفخة إلى سرته نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى ، فذهب لينهض فلم يقدر ، وهو قوله : ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[٤] .

١٢. قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ . قال المفسرون وأهل المعاني : جعلناهما علامتين تدلان على قدرة خالقهما ووحدانيته[٥] .

---

(١) ورد نحوه في تفسير الطبري ١٥/ ٤٧ ، والثعلبي ٧/ ١٠٥أ ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ١٣ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٦٢ ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٥ ، وأبي حيان ٦/ ١٣ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٤ بمعناه عن قتادة ، والطبري ١٥/ ٤٨ ، بمعناه عن قتادة ومجاهد ، وورد بمعناه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٢٧ ، والثعلبي ٧/ ١٠٥أ ، والماوردي ٣/ ٢٣٢ ، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ، والطوسي ٦/ ٤٥٣ ، بنحوه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٨١ ، وابن عطية ٩/ ٢٧ ، عن ابن عباس وقتادة ومجاهد ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٦٢ ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٦ ، وابن كثير ٣/ ٣٠ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢٩٧ ، وورد غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢١٣أ بنصه ، والسمرقندي ٢/ ٢٦٢ ، بنصه ، وابن عطية ٩/ ٢٨ ، وابن الجوزي ٥/ ١٣ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٦٢ ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٥ ، وأبي حيان ٦/ ١٤ ، والتعميم أولى من التخصيص في مثل هذا .

(٤) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢١٣أ ، بنحوه ، أخرجه الطبري ١٥/ ٤٧ـ٤٨ ، بنحوه عن ابن عباس وسلمان ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٢٨ ، عن سلمان ، والسمرقندي ٢/ ٢٦٢ ، عنهما ، والثعلبي ٧/ ١٠٥أ ، عنهما ، والماوردي ٣/ ٢٣٢ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٩/ ٢٨ ، وابن الجوزي ٥/ ١٣ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٦٣ ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٦ ، وأبي حيان ٦/ ١٣ ، وابن كثير ٣/ ٣٠ ، وأغلب الظن أن هذا الخبر من الإسرائيليات .

(٥) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢١٣أ ، والسمرقندي ٢/ ٢٦٢ ، والثعلبي ٧/ ١٠٥أ ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٨١ ، وابن الجوزي ٥/ ١٤ ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٧ ، والخازن ٣/ ١٥٨ ، وأبي حيان ٦/ ١٤ ، والدر المصون ٧/ ٣٢١ .

وقال آخرون : المعنى جعلناهما ذوي آيتين[١] ، فحذف المضاف ، يدل عليه أنه قال : ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ ، ولم يقل : فمحونا الليل ولا فمحونا أحديهما ، فلما أضاف الآية إلى الليل والنهار دل على أن الآيتين المذكورتين لهما لا هما .

وقوله تعالى : ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السواد ، وهذا قول عامة المفسرين[٢] ، قالوا : السواد الذي يُرى في القمر هو أثر المحو[٣] ، وروي في حديث مرفوع : «إن الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء ، فأرسل الله -عز وجل- جبريل فأمَرَّ جناحه على وجه القمر فطَمس عنه

(١) انظر : الإملاء ٢/ ٨٩ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٦٢ ، وتفسير أبي حيان ٦/ ١٤ ، والدر المصون ٧/ ٣٢١ ، وتفسير الألوسي ١٥/ ٢٦ .

(٢) ذكر الفخر الرازي قول الجمهور وذكر قولاً آخر ورجحه؛ وهو : أن المراد منه ما يظهر في القمر من الزيادة والنقصان في النور؛ يبدأ هلالاً ولا يزال يكبر حتى يصير بدرا كاملاً ، ثم يبدأ في الانتقاص قليلاً قليلاً ، وذلك هو المحو ، ثم ذكر مسوغات ترجيح هذا القول . انظر : الرازي ٢٠/ ١٦٤ ، ويضاف إلى ما ذكره أن الأثر الذي اعتمد عليه عامة المفسرين أثر ضعيف عن علي وابن عباس ، فهو عن ابن عباس من طريق العوفي (ضعيفة) ، وعن علي من طريق ابن الكَوَّاء الخارجي من رؤوس الخوارج ، قال عنه البخاري : لم يصحَّ حديثه . انظر : لسان الميزان ٣/ ٣٢٩ .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢١٣أ ، بنحوه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ٤٩ـ٥٠ ، بنحوه عن علي وابن عباس ومجاهد من طرق عدة ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٢٨ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٢ ، والثعلبي ٧/ ١٠٥أ ، والماوردي ٣/ ٢٣٢ ، والطوسي ٦/ ٤٥٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٨١ ، وابن عطية ٩/ ٣٠ ، وابن الجوزي ٥/ ١٤ ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٨ ، وابن كثير ٣/ ٣١ ، والدر المنثور ٤/ ٣٠٢ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف عن علي رضي الله عنه ، وأورده كذلك وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما .

الضوء»[١] . ومعنى المحو في اللغة : إذهاب الأثر ، يقول : محوته أمحوته وأمحاه ، وامحى الشيء وامتحى : إذا ذهب أثره[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾؛ أي يبصر فيها ، فكأن المعنى أنها مضيئة ، كما قال : ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس :٦٧]؛ أي مضيئاً ، وقد مر ، قال أبو عبيد : هذا قول الفرَّاء[٣] .

وفيه وجه آخر يقال : قد أبصر النهار ، إذا صار الناس يبصرون فيه فهو مبصر ، كقولك : رجلٌ مُخْبِث إذا كان أصحابُه خُبَثاء ، ورجلٌ مُضْعِف إذا كانت دوابُّه ضعافاً ، وكذلك النهار مبصراً؛ أي أهله بُصَرَاء[٤] ، وهذا كقوله : ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء :٥٩] ، وسنذكر ما فيها إن شاء الله .

وقوله تعالى : ﴿لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي لتبصروا كيف تتصرفون في أعمالكم ، ﴿وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ﴾ بمحو آية الليل ، ولولا ذلك ما كان يُعرف الليلُ من النهار ، وكان لا يَتَبَيَّن[٥] العدد ، ونظير هذه الآية قوله : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ الآية [يونس :٥] .

---

(١) ورد بنحوه موقوفاً على ابن عباس في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٢ ، والثعلبي ٧/ ١٠٥أ ، مفصلاً ، والبغوي ٥/ ٨١ ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٧ مرفوعاً وموقوفاً ، والخازن ٣/ ١٥٨ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٠٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ـ وابن مردويه ـ بسند رواه عن ابن عباس مرفوعاً .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (محا) ٤/ ٣٣٤٧ ، والمحيط في اللغة (محو) ٣/ ٢٣١ ، واللسان (محا) ٧/ ٤١٥٠ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٦ ، بلفظه ، وورد في تهذيب اللغة (بصر) ١/ ٣٤٢ ، بلفظه عن الفرَّاء .

(٤) ورد في تفسير الطبري ١٥/ ٥٠ ، بنحوه ، لكنه قال : كقولهم : رجلٌ مجبن ، إذا كان أهله جبناء ، ورجلٌ مضعف ، إذا كانت رواته ضعفاء ، وورد بنصه تقريباً في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٥أ ، والطوسي ٦/ ٤٥٤ ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٦٦ ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٨ ، وأبي حيان ٦/ ١٤ .

(٥) العبارة في النسخ جميعها : (فكان الآيتين) ، وهو تصحيف ، وفي تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٥أ : (ولا يتبين العدد) ، والمثبت من تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٧٧ .

وقوله تعالى : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ﴾ ، أي مما يُحْتَاج إليه ، ﴿فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ : بيناه تبييناً لا يَلْتَبِس معه بغيره[١] ، وهذا معنى قول ابن عباس : يريد فَصَّلنا ما خلقت[٢] للنافع تفصيلاً .

١٣. قوله تعالى : ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ الآية . روى الحكم عن مجاهد قال : مكتوب في ورقة شقي أو سعيد معلقة في عنقه[٣] ، وهذا كما روي عن الحسن في قوله : ﴿طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ . قال : شَقَاوَته وسعادته[٤] .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : عمله من شَقَاوَة أو سعادة[٥] .

وقال السدي : ما كُتبَ له من خير أو شر[٦] .

---

(١) في النسخ جميعها : (لغيره) ، والتصويب من تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٧٧ .

(٢) هكذا في النسخ جميعها : (ما خلقت) ، والأولى : ما خلقنا لينسجم مع فصَّلنا .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ٥١ ، بنحوه ، وورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٢ ، والثعلبي ٧/ ١٠٥ب ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٢ ، وابن الجوزي ٥/ ١٥ ، والدر المنثور ٤/ ٣٠٣ـ٣٠٤ ، وزاد نسبته إلى أبي داود في كتاب القدر [لم أجده في سننه] وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) ورد في تفسير مجاهد ١/ ٣٥٩ ، بنصه عن الحسن ، أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٤ ، بنحوه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٢ ، وابن الجوزي ٥/ ١٥ .

(٥) تفسير مجاهد ٣٥٩ ، بمعناه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ٥١ ، مختصراً من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٣٠ ، مختصراً .

(٦) انظر : تفسير أبي حيان ٦/ ١٥ ، بمعناه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٠٣ـ٣٠٤ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم بمعناه .

وروي عن ابن عباس : أنه قال : عَمَلُه وما قُدِّر عليه فهو ملازمه أينما كان[١] ، هذا قول المفسرين في هذه الآية ، وإنما قيل لما يأتيه الإنسان ويعمله[٢] من خير وشر : طائر ، على مذهب العرب وتعارفهم في ذلك ، نحو قولهم : جرى طائرُه بكذا من الخير ، وجرى له الطائرُ بكذا من الشر ، على طريق الفأل والطِّيرة ، أنشد أبو زيد لحسان بن ثابت :

ذَرِيني وعِلْمِي بالأمورِ وسيرتِي فما طائرِي فيهَا عليكِ بأَخْيَلا[٣]

أي ليس رأيي بمشؤوم ، قال أبو زيد : كلما مرَّ من طائر أو ظبي أو غيره ، وكل ذلك عندهم طائر وطير[٤] ، وأنشد لكثير :

جَرَتْ لي بهجرانِكَ يا عزُّ لا جرَتْ ظباءُ اللوى لو أنَّني أتطيرُ

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ٥١ ، بنصه من طريق عطاء الخرساني (منقطعة) ، وأخرجه مختصراً من طريق العوفي (ضعيفة) ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٣٠ ، بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٢ ، بمعناه ، والثعلبي ٧/ ١٠٥ب ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٢ ، وابن عطية ٩/ ٣١ ، والخازن ٣/ ١٥٩ ، وأبي حيان ٦/ ١٥ ، والدر المنثور ٤/ ٣٠٣ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) في (أ) و(د) تصحفت إلى : «يعلمه» .

(٣) ديوانه ٢٠٦ برواية : (وشيمتي) بدل (وسيرتي) ، (ويوماً) بدل (فيها)س ، وورد في الحجة للقراء ٥/ ٨٩ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٤٥٦ برواية : (وشيمتي) ، وشرح شواهد الإيضاح ٣٩٢ عجزه ، واللسان (خيل) ٣/ ١٣٠٦ ، وشرح التصريح ٢١٤ ، وورد بلا نسبة في الاشتقاق ٣٠٠ عجزه ، وأوضح المسالك ٤/ ١٢٠ عجزه ، وشرح الأشموني ٣/ ٤٣٦ . الأخيل : طائر يُتشاءَم به ، وهو ما يسمونه الشِّقرَّاق ، تقول العرب : أشأَم من أَخْيَل .

(٤) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٥٦ ، بنصه تقريباً .

ذكر في هذا البيت الظباء ثم جعلهن طيراً ، فقال :

فقُلْتُ لأصحابي ازجرُوا لا أبَا لكُمْ

لـعلَّـكُـمُ للـطَّـيرِ مـنِّي أزجـرُ

فقالوا نراها طيرَ صدقٍ وقدْ جَرَى لي الطَّيرُ منها بالَّذي كنتُ أحذرُ[١]

ومذهبهم في العِيَافة والزجر[٢] معروفٌ ، وأشـعارهم في ذلك كثيرة ، وهو باطل مـن أهل الجاهلية ، إلا أنهم لما كانوا يتفاءلـون[٣] في الخير والشر في الطائر والطير ، سموا ما تفاءلوا[٤] به طائراً وطيراً ، وإن لم يكن من ذوات الأجنحة .

ثم سـموا الخير والشر أيضاً طائراً وطيراً على مذهبهم في تسـمية الشيء بما كان له سـبباً ، فخاطبهم الله بما يسـتعملون ، وهذا كلام ابـن قتيبة[٥] وأبي علي

(١) لم أجده في ديوانه ، ولم أقف عليه .

(٢) العيافة : زَجْر الطير ، وهو أن يرى طائراً أو غراباً فيتطيَّر ، قاله الأزهري ، وفي اللسان ، العيافة : زجْرُ الطير والتفاؤل بأسـمائها وأصواتهـا وسَمَرِّها ، وهو من عادة العرب كثيراً ، وهو كثير في أشـعارهم ، يقال : عافَ يعيف عيفاً إذا زجَرَ وحدَس وظن ، والعائف : الذي يَعيفُ الطير فيَزْجُرُها .
انظر : تهذيب اللغـة (عاف) ٣/ ٢٢٨٥ ، والمحيـط في اللغة (عيف) ٢/ ١٧٢ ، واللسـان (عيف) ٥/ ٣١٩٣ . الزَّجْرُ للطير وغيرها : التَّيَمُّنُ بسُـنوحها ، أو التَّشـاؤم ببُرُوحها ، وإنما سُـمِّي الكاهنُ زاجراً؛ لأنه إذا رأى ما يظن أنه يُتَشاءمُ به زَجَرَ بالنَّهي عن الـمُضيِّ في تلك الحاجة برفع صوت وشدَّة ، قاله الزَّجَّاج ، وقال الليث : الزَّجرُ : أن يَزْجُرَ طائراً أو ظَبْياً سانحاً أو بارحاً فيتطيَّر منه . [والسانحُ : ما وَلَّاك مَيَامِنَـه ، والبارح : ضِدُّه] . انظر : تهذيب اللغة (زجر) ٢/ ١٥١٣ ، والمحيط في اللغة ٧/ ٢٠ ، واللسان ٣/ ١٨١٣ .

(٣) في النسخ جميعها : (يتألفون) ، والصحيح المثبت؛ لأن الكلام في التفاؤل لا التألف ، فهو تصحيف .

(٤) في النسخ جميعها : (ما تعالوا) ، ولا معنى لذلك ، والصواب المثبت ، فلعلها تصحفت عنها .

(٥) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٢ ، باختصار .

الفارسي[١] ، ويدل على صحة هذا الذي ذكرناه قراءة الحسن ومجاهد : (أَلْزَمنَاهُ طَيره فِي عُنُقِهِ)[٢] ، وعلى هذا معنى طائره؛ أي عمله من خير وشر .

قال الفرَّاء : الطائر معناه عندهم العمل[٣] .

وقال أبو عبيدة : الطائر عند العرب الحظ[٤] ، وهو الذي تسميه الفرس البخت ، وعلى هذا يجوز أن يكون معنى الطائر : ما طار له من خير أو شر؛ أي صار له عند القسمة ، من قولهم : أَطَرْتُ المالَ وطَيَّرته بين القوم فطار لكل منهم سهمه؛ أي صار له[٥] ، وقد بيَّنا هذا المعنى في سورة الأعراف عند قوله : ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف :١٣١] .

قال الأزهري : والأصل في هذا أن الله تعالى لما خلق آدم عَلِمَ المطيعَ من ذريته والعاصي ، فكتب ما علمه[٦] منهم أجمعين ، وقضى سعادة مَنْ عَلِمَه مطيعاً وشقاوة مَنْ عَلِمَه عاصياً ، فصار لكلٍّ ما هو صائرٌ إليه عند خلقه وإنشائه ، فذلك قوله تعالى : ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾؛ أي ما طار له في علم الله بدءاً[٧] من الخير والشر[٨] .

---

(١) الحجة للقراء ٥/ ٨٨ ، باختصار .

(٢) وهي قراءة شاذة وردت عن الحسن ومجاهد وأبي رجاء . انظر : القراءات الشاذة لابن خالويه ٧٩ ، وإعراب القراءات الشاذة ١/ ٧٧٨ ، وتفسير الرازي ٢٠/ ١٦٧ ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٩ ، وأبي حيان ٦/ ١٥ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٨ ، بنحوه .

(٤) مجاز القرآن ١/ ٣٧٢ ، بنحوه .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (طار) ٣/ ٢١٤٩ ، بنصه .

(٦) في النسخ جميعها : (ما عمله) ، وهو تصحيف .

(٧) في (أ) و(د) : (بريا) ، وفي (ش) و(ع) : (بمريا) ، ولم أجد لذلك معنى في هذا السياق ، والمثبت من المصدر .

(٨) تهذيب اللغة (طار) ٣/ ٢١٥٠ بتصرف ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ١٥ ، بنصه .

وقولــه تعالى : ﴿فِي عُنُقِهِۦ﴾ عبارة عن اللزوم ، قال أبو إســحاق : وإنما يقال للشيء اللازم : هذا في عنق فلان؛ أي لُزُومه له كلزوم القلادة من بين ما يُلْبَس في العنق[١] .

وقــال أبو علي : وهذا مِثْــلُ قولهم : طَوَّقتُك كــذا وقَلَّدتك كذا؛ أي صرفته نحوك ، وألزمته[٢] إياك ، ومنه : قَلَّده السلطانُ كذا؛ أي صارت الوِلَاية في لزومها له في موضع القلادة [و][٣] مكان الطوق[٤] ، قال الأعشى :

قَلَّدتُكَ الشِّعرَ يا سَلَامةُ ذا الـ

تِّفْضَالِ والشيءُ[٥] حيثُ ما جُعِلَا[٦][٧]

هذا قول الجمهــور[٨] ، وقال بعض أهل المعاني : إنما خص العنق؛ لأن عمله لا يخلو إما أن يكون خيراً يَزِينُه أو شرّاً يَشِينُه ، وما يُزَيِّنُ كالطوق والحُلِي ، أو يَشِينُ

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٠ ، بنصه .

(٢) في النسخ جميعها : (ألزمت) من دون الضمير ، والسياق يقتضيه ، وهو كذلك في المصدر .

(٣) إضافة يقتضيها السياق ، وهي مثبتة في المصدر .

(٤) في النسخ جميعها : (الطرق) ، والتصويب من المصدر .

(٥) في النسخ جميعها : (الشعر) ، والصواب ما أثبته من الديوان وتفسير ابن عطية .

(٦) ديوانه ١٣٨ ، وورد في تفسير ابن عطية ٩/ ٣٣ ، التفضال : الإحسان .

(٧) الحجة للقراء ٥/ ٨٩ ، بنصه .

(٨) انظر : تفســير مقاتل ١/ ٢١٣أ ، والطــبري ١٥/ ٥١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٣٠ ، وتفســير الســمرقندي ٢/ ٢٦٢ ، والثعلبي ٧/ ١٠٥ب ، والماوردي ٣/ ٢٣٣ ، والطوسي ٦/ ٤٥٥ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٦٨ .

كالغل ، فإضافته إلى الأعناق[١] ، وعلى ما ذكر مجاهد[٢] : ما قُسِمَ له أُثبت في ورقة وعُلِّقت من عنقه ، غير أنَّا لا نشاهد ذلك مرئيًّا[٣] ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾ . قال الحسن : يا ابن آدم ، بُسِطت لك صحيفة ، ووُكِلَ بك ملكان ، فهما عن يمينك وعن شمالك ، فأما الذي[٤] عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك ، حتى إذا مِت طُويت صحيفتُك وجُعلت معك في قبرك حتى تُخْرَج لك يوم القيامة[٥] ، فعلى هذا معنى : ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ﴾؛ أي من قبره معه ، ويجوز أن يكون معنى : ﴿نُخْرِجُ﴾ نظهر له ذلك؛ لأنه لم ير كتابه في الدنيا ، فإذا بُعث أُظهر له ذلك وليبرز من الستر .

وقرأ يعقوب : (ويَخرُجُ لَه يَومَ القِيَامَةِ كِتَاباً)[٦] على معنى ويَخْرُجُ له طائرُه؛ أي عملُه ، ﴿كِتَٰبًا﴾؛ أي ذا كتاب ، ومعنى (ذا كتاب) أنه مثبت في الكتاب الذي قيل فيه : ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف :٤٩] ، وعلى هذا المعنى قرأ

---

(١) ورد بنحوه في تفسير الطبري ١٥/ ٥١ ، والثعلبي ٧/ ١٠٥ب ، والطوسي ٦/ ٤٥٧ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٢ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٦٨ ، والخازن ٣/ ١٥٩ ، وأبي حيان ٦/ ١٥ .

(٢) تقدم قريباً .

(٣) في (ش) و(ع) : (بمريا) .

(٤) في النسخ جميعها : (الذين) ، والمثبت هو الصحيح .

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ٥٢ـ٥٣ ، بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٥ب ، بنحوه ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٦٨ ، وابن كثير ٣/ ٣٢ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٠٤ ، وتفسير الألوسي ١٥/ ٣٢ .

(٦) قرأ يعقوب : (وَيَخْرُجُ) بالياء مفتوحةً والراء مضمومةً ، قال الطبري : وكأن من قرأ هذه القراءة وجَّه تأويل الكلام إلى : ويخرج له الطائرُ الذي ألزمناه عنق الإنسان يوم القيامة ، فيصير كتاباً يقرؤه منشوراً ، وقال الزمخشري : والضمير للطائر؛ أي يَخْرُجُ الطائرُ كتاباً ، وانتصاب (كتاباً) على الحال . انظر : تفسير الطبري ١٥/ ٥٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٧ ، وتفسير الزمخشري ٢/ ٣٥٤ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٥٠ ، والنشر ٢/ ٣٠٦ ، والإتحاف ٢٨٢ .

أبو جعفر[١] : (ويَخرَجُ لَهُ يومَ القِيَامَةِ كِتَاباً)[٢]؛ أي يُخْرَجُ له الطائر؛ أي عمله ، ﴿كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ كقوله : ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير :١٠] ، وقرأ ابن عامر : (يُلَقَّاهُ)[٣] من قولهم : لَقَّيْتُ فلاناً الشيءَ؛ أي استقبلته به ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الدهر :١١] ، وهو منقول بالتشديد؛ من لَقِيْتُ الشيءَ ولَقَّانِيهِ زيدٌ[٤] .

١٤. قوله تعالى : ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ . قال الفرَّاء والكسائي : (يُقَال) هاهنا مضمرة كقوله : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ﴾ [غافر :٤٦] ، وقوله : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾[٥] [آل عمران :١٠٦] ، وقد مر .

قال الحسن : يقرأه أُمِّيًّا كان[٦] أو غير أمِّيٍّ[٧] .

---

(١) أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، أحد القراء العشرة ، تابعي مشهور ، انتهت إليه القراءة بالمدينة ، قرأ على زيد بن ثابت وسمع ابن عمر ، توفي سنة ١٣٠هـ . انظر : وفيات الأعيان ٦/ ٢٧٤ ، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٧٢ ، وغاية النهاية ٢/ ٣٨٢ ، والنشر ١/ ١٧٨ .

(٢) قرأ أبو جعفر : (وَيَخْرُجُ) بضم الياء وفتح الراء ، على ما لم يُسَمَّ فاعله ، ونائب الفاعل : ضمير الطائر . قال الطبري : وكأنه وجَّه معنى الكلام إلى : ويُخْرَج له الطائر يوم القيامة كتاباً ، يريد : ويخرج الله ذلك الطائر قد صيَّره كتاباً . انظر : تفسير الطبري ١٥/ ٥٣ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٧ ، والنشر ٢/ ٣٠٦ ، والإتحاف ٢٨٢ .

(٣) قرأ ابن عامر : (يُلَقَّاهُ) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف ، جعل الفعلَ لغير الإنسان؛ أي الملائكة تلقاه بالكتاب الذي فيه نسخة عمله وشاهده؛ أي يستقبل به . انظر : السبعة ٣٧٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦٤ ، وعلل القراءات ١/ ٣١٦ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٧ ، والنشر ٢/ ٣٠٦ .

(٤) ورد في الحجة للقراء ٥/ ٩٠ ، بنحوه .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٩ ، بنصه ، ولم أقف عليه منسوباً إلى الكسائي .

(٦) ساقطة من (د) .

(٧) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٦أ ، بنحوه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ١٦ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٦٩ ، والقرطبي ١٠/ ١٥٠ .

وقال قتادة : سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئاً[١] .

وقال بكر بن عبدالله[٢] : يؤتى المؤمن يوم القيامة صحيفة حسناته في ظهره يغبطه الناس عليها ، وسيئاته [في][٣] جوف صحيفته وهو يقرؤها ، حتى إذا ظن أنها قد أوبقته ، قال الله له : اذهب فقد غفرتها لك في ما بيني وبينك ، فَيُسَرُّ وَيُشْرِقُ لونُه ويقول : ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾[٤] [الحاقة :١٩] .

وقوله تعالى : ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ، الحَسِيْبُ بمعنى الحاسب ، كالشريك والنديم ، وقوله : ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب :٣٩]؛ أي محاسباً .

قال الحسن : عدلٌ واللهِ عليك ، مَنْ جعلك حَسِيبَ نَفْسِك[٥] .

وقال السدي : يقول الكافر يومئذ : إنك قضيتَ أنك لست بظلام للعبيد ، فاجعلني أُحاسبُ نفسي ، فيقال : ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٦] .

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ٥٣ ، بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٦أ ، بنصه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٢ ، والزمخشري ٢/ ٣٥٤ ، وابن عطية ٩/ ٣٥ ، وأبي حيان ٦/ ١٥ ، والدر المنثور ٤/ ٣٠٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم ، وتفسير الشوكاني ٣/ ٣٠٦ ، والألوسي ١٥/ ٣٣ .

(٢) بكر بن عبدالله المزني البصري ، أبو عبدالله ، ثقة ثبت جليل ، روى عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما ، وروى عنه قتادة وحبيب بن الشهيد ، مات سنة ١٠٨هـ . انظر : الجرح والتعديل ٢/ ٣٨٨ ، والكاشف ١/ ٢٧٤ ، ٦٢٨ ، وتقريب التهذيب ١٢٨ ، ٧٤٣ ، وتفسير الطبري ، شاكر ١/ ٢٧٤ ، ٦٢٨ .

(٣) إضافة يقتضيها السياق ، كما في تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٦٩ .

(٤) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٦٩ ، بنصه تقريباً ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٢ ، بنحوه عن ابن عباس .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٦أ ، بنصه تقريباً ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٢ ، والزمخشري ٢/ ٣٥٤ ، وابن الجوزي ٥/ ١٦ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٦٩ ، والخازن ٣/ ١٥٩ ، وأبي حيان ٦/ ١٦ ، والألوسي ١٥/ ٣٣ .

(٦) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٦٩ ، والدر المنثور ٤/ ٣٠٤ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، ومثل هذه الأخبار لا تثبت إلا بخبر صحيح عن المعصوم .

١٥. قوله تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾؛ أي ثواب اهتدائه له ولنفسه، يعني الخير باهتدائه، ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾؛ أي على نفسه عقوبة ضلاله؛ فهُداه له كما أن ضلاله عليه، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾. قال عطاء عن ابن عباس: يريد أن الوليد بن المغيرة قال: اتبعوني وأنا أحمل أوزاركم[١].

قال قتادة: لا والله، ما يحمل اللهُ على عبدٍ ذَنْبَ غيره، ولا يُؤاخَذ إلا بعمله[٢]. قال أبو إسحاق: يقال: وَزَرَ يَزِرُ فهو وَازِرٌ وَزْراً وَوِزْراً، [و][٣] وِزْرَةً، معناه: أثِمَ يَأْثَمُ إثماً، قال: وفي تأويل هذه الآية وجهان؛ أحدهما: أن الآثِمَ والمُذْنِبَ لا يؤاخذ بذنب غيره، ولا يؤاخذ بذنبه غيرُهُ، والوجه الثاني: أنه لا ينبغي أن يعمل الإنسانُ بالإثم لأن غيرَه عَمِلَه، كما قالت الكفار: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[٤] [الزخرف: ٢٣]، ومضى الكلام في معنى الوِزْر والأوْزَار في سورة الأنعام[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾. قال ابن عباس: يريد اتخاذ الحجة على خلقه.

---

(١) ورد في تفسيره الوسيط، تحقيق سيسي ٢/ ٤٨١، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٥/ ١٧، والقرطبي ١٠/ ١٥١، والألوسي ١٥/ ٣٥، وورد بلا نسبة في تفسير ابن عطية ٩/ ٣٦، وتفسير أبي حيان ٦/ ١٦، وحمل الآية على العموم أولى من التخصيص.

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ٥٤، بنصه.

(٣) هذه الواو إضافة يقتضيها المقام، كما في تفسير ابن الجوزي ٥/ ١٧.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣١، بنصه، إلا أنه أورد الآية [٢٢] التي قبلها وهي: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾.

(٥) آية [٣١].

وقال قتادة : إن الله ليس معذباً أحداً حتى يسبق من الله إليه خبرٌ[١] ويأتيه من الله بَيِّنَة[٢] .

وقال أبو إسحاق أي حتى[٣] نبين ما به نُعَذِّبُ وما من أَجْله نُدْخِلُ الجَنَّةَ[٤] ، وهذا يدل على أن الواجبات إنما تجب بالشرع لا بالعقل؛ لأن الواجبَ ما لا يؤمن العقاب في تركه ، وقد أخبر أنه لا يعذب قبل بعثته الرسول ، فدل أنه إنما يُعرفُ الواجبُ بقول الرسولِ ، ولا يجبُ شيءٌ على أحدٍ قبل بَعْثِ الرسولِ[٥] ، ولذا وجبتْ الدعوةُ قبلَ القتالِ ، حتى لو أن المسلمين أناخوا بساحةِ قومٍ لم تبلغهم الدعوةُ ، لم يجز لهم أن يهجموا عليهم بالقتال والثُّباتِ[٦] قبل تقديم الدعوة ، ولو فعلوا ذلك ضَمِنوا دماءهم ، كذلك قال الشافعي رضي الله عنه[٧] .

١٦. قوله تعالى : ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ . هذا يُتَأول على وجهين :

---

(١) في النسخ جميعها : (خير) ، والصحيح المثبت ، كما في المصادر .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ٥٤ ، بنصه تقريباً .

(٣) في النسخ جميعها : (حين) ، والمثبت هو الصحيح ، وموافق للمصدر .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣١ ، بنصه .

(٥) وهو بهذا يرد على المعتزلة القائلين بأن الواجبات تجب بالعقل أولاً ثم بالشرع . . . . ، انظر : فضل الاعتزال ١٣٩ نقلاً عن كتاب الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ١/ ١٦٦ .

(٦) جمعُ ثُبَة ، وهي الفرقة ، والمقصود النفير بفرق وسرايا . انظر : عمدة الحفاظ ١/ ٣١٧ .

(٧) كتاب الأم ٤/ ١٥٧ ، بنحوه ، وقد نص على ذلك الماوردي ، وقال : فإن بدأ بقتالهم قبل دعائهم إلى الإسلام وإنذارهم بالحجة ، وقتلهم غرة وبياتاً ضمن ديات نفوسهم ، وكانت ـ على الأصح من مذهب الشافعي ـ كديات المسلمين ، وقيل : بل كديات الكفار على اختلافها اختلاف معتقدهم . الأحكام السلطانية للماوردي ٤٦ ، انظر : حواشي تحفة المحتاج على المنهاج ٩/ ٢٤٢ ، الجهاد في سبيل الله ، حقيقته وغايته ١/ ٢٠٦ .

أحدهما : أنهم أُمروا بالطاعة فعصوا ، وهذا قول سعيد بن جبير[١] ، والمعنى على هذا : أَمَرْناهم على لسان رسولٍ بالطاعة ففسقوا ، هذا نحو قولك : أمرتُك فعَصَيْتني ، فقد عُلِمَ أن المعصية مخالفة للأمر[٢] ، ولذلك؛ الفسق مخالفة أمر الله[٣] ، فقوله : ﴿أَمَرْنَا﴾ يدل على أنه أمر بالطاعة وإن لم يُذْكر ، كما تقول : أمرتك فعصيتني ، معناه : أمرتك بطاعتي ، فإن قيل : لِمَ خص المترفين بالأمر بالطاعة ، وأمره بالطاعة لا يكون مقصوراً على المترفين ، وقَد أمر الله بطاعته جميع خلقه من مترف وغيره؟ قيل : لأنهم الرؤساء الذين من عداهم تبع لهم ، كما أن موسى بُعث إلى فرعون ليأمره بطاعة الله ، وكان من عداه من القبط تبعاً له[٤] ، هذا إذا قلنا : إن قوله : ﴿أَمَرْنَا﴾ من الأمر الذي هو ضد النهي .

الوجه الثاني : أن معنى قوله : ﴿أَمَرْنَا﴾ أكثرنا ، وهو قول مجاهد في رواية عبدالكريم[٥] ، قال : ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ : أكثرنا فساقها[٦] ، ونحوه روى سِمَاك[٧] عن

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ٥٥ ، بنحوه ، وورد في تفسير الجصاص ٣/ ١٩٥ ، بنصه ، والطوسي ٦/ ٤٦١ ، بنحوه .

(٢) في المصدر : (الأمر) .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (أمر) ١/ ١٩٧ ، بنصه تقريباً .

(٤) في النسخ جميعها : (لها) ، والصواب ما أثبته؛ لأن الضمير يرجع إلى فرعون ، وورد هذا التعليل في تفسير الجصاص ٣/ ١٩٥ ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٤٦٠ بنصه تقريباً .

(٥) ذكر محقق تفسير مجاهد ٣/ ٣٥٩ : أن راويين اسمهما عبدالكريم رويا عن مجاهد؛ أحدهما : عبدالكريم بن مالك الجَزَري ، وقد تقدمت ترجمته . والآخر : عبدالكريم بن أبي المُخارق : هو أبو أميَّة المعلِّم البصري ، نزيل مكة ، وهو ضعيف ، قال يحيى : ليس بشيء ، روى عن سعيد بن جبير ، وروى عنه مالك والسفيانان ، قال ابن حجر : وقد شارك الجَزَري في بعض المشايخ ، فربما التبس به على من لا فهم له ، مات سنة ١٢٦هـ . انظر : الجرح والتعديل ٦/ ٥٨ـ٥٩ ، وميزان الاعتدال ٣/ ٣٦٠ ، ٣٦١ ، والكاشف ١/ ٦٦١ ، (٣٤٣٢) ، وتقريب التهذيب ٣٦١ ، (٤١٥٦) .

(٦) تفسير مجاهد ١/ ٣٥٩ ، بنصه ، أخرجه الطبري ١٥/ ٥٥ـ٥٦ ، بنحوه عن عكرمة وسعيد ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٣٤ ، بنحوه عن مجاهد ، وتفسير الجصاص ٣/ ١٩٥ ، بنحوه عن مجاهد وعكرمة ، والدر المنثور ٣٥٩ ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .

(٧) سِمَاك بن حرب بن أوس الهُذلي الكوفي ، أبو المغيرة ، تابعي ، أدرك ثمانين رجلاً من أصحاب =

عكرمة وعمر بن ثابت[١] عن أبيه عن سعيد بن جبير ، والعرب : تقول أَمِر القومُ إذا كثروا ، وأمرهم اللهُ؛ أي كَثَّرَهم ، وآمَرَهم أيضاً بالمد[٢] .

روى الجَرْمـيُّ[٣] عن أبي زيد : أمِرَ اللهُ القومَ وآمرهم؛ أي كَثَّرَهم ، قال : مِثلُ نَضَّرَ اللهُ وجهه وأنضره ، ومثـل أَمِرَ القوم وأَمَرَهم غيرُهـم ، ورَجَعَ ورَجَعْتُه ، وسَلَكَ وسَلَكْتُه ، قال الله تعالى : ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر :٤٢] ، وشَتِرتْ[٤] عَيْنُه وشَتَرْتُهَا[٥] .

قال أبو عبيـدة[٦] : وقد وجدنا تثبيتـاً لهذه اللغة ، وهو قوله ﷺ : «سِـكَّة مَأْبُورة ، ومُهْرة مَأْمورة»[٧] .

= النبي ﷺ ، صدوق صالح من أوعية العلم ، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة ، وقد تغيَّر بأَخرَة ، مات سنة ١٢٣هـ . انظر : الجرح والتعديل ٤/ ٢٧٩ ، وميزان الاعتدال ٢/ ٤٢٢ ، والكاشف ١/ ٤٦٥ ، ٢١٤١ ، وتقريب التهذيب ٢٥٥ ، (٢٦٢٤) .

(١) عمر بن ثابت الأنصاري الخزرجي ، ثقة ، سمع أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، وروى عنه الزهري ومالك بن أنس . انظر : الجرح والتعديل ٦/ ١٠١ ، والكاشف ٢/ ٥٦ ، وتقريب التهذيب ٤١٠ ، (٤٨٧٠) .

(٢) ورد بنحوه في غريب الحديث ١/ ٢٠٨ ، وتهذيب اللغة (أمر) ١/ ١٩٦ ، والحجة للقراء ٥/ ٩٢ .

(٣) أبو عمر ، صالح بن إسحاق الجَرْميِّ البصري ، مولى جَرْم بن زَبَّان؛ من قبائل اليمن ، إمام في النحو ، ناظر الفرَّاء في بغداد ، أخذ عن الأخفش وغيره ، ولقي يونس وأخذ عن أبي زيد اللغة ، وعن أبي عبيدة والأصمعي . انظر : أخبار النحويين البصريين ٨٤ ، ونزهة الألباء ١١٤ ، والبلغة ١١٣ ، والبغية ٢/ ٨ .

(٤) الشَّتَرُ : انقلاب في جفن العين قلَّما يكون خلقةً . انظر : اللسان (شتر) ٤/ ٢١٩٣ .

(٥) ورد في الحجة للقراء ٥/ ٩٢ ، عن الجرمي مختصراً ، والمحتسب ٢/ ١٧ ، عن أبي زيد مختصراً ، والمقصود بهذه الأمثلة ، التدليل على أن بعض الأفعال يعدى بالهمزة ، وبعضها ـ الذي من باب فَعِل بكسر العين ـ يتعدى بفتح العين والمعنى واحد . انظر : المُوضح في القراءات ٢/ ٧٥٢ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٤٦١ .

(٦) في النسخ جميعها : (أبو عبيد) ، والتصويب من الحجة للقراء ٥/ ٩٢ .
وهو في مجاز القرآن ١/ ٣٧٣ ، بمعناه ، وورد في الحجة للقراء ٥/ ٩٢ ، بنصه ، وواضح أنه نقله من الحجة ، لا من المجاز .

(٧) وطرفه : «خيرُ المال سِكة . . . .» . أخرجه أحمد ٣/ ٤٦٨ ، بنصه عن سويد بن هبيرة عن النبي ﷺ ، =

قال أبو زيد : هي التي قد كَثُر نَسْلُها ، يقولون : أمَر اللهُ المُهْرةَ؛ أي كَثَّر ولَدَها[١] ، وأبى قوم أن يكون (أَمَر) بمعنى أكْثَر ، وقالوا : أمِرَ القوم إذا كَثُروا ، وآمرهم اللهُ بالمد؛ أي أكثرهم ، وتأولوا في قوله : (مهرة مأمورة) أنها على الإتْبَاع لمأبورة؛ نحو الغدايا والعشايا[٢] .

وروى أبو العباس[٣] -ختن ليث- عن أبي عمرو أنه قرأ : (أَمَّرْنا) بالتشديد[٤] ، وهو يوافق تفسير ابن عباس في ما روى عنه الوالبي ، يقول : سَلَّطنا شرارها فعَصوا[٥] .

= والطبري ٨/ ٥١ ، بنصه ، والطبراني في الكبير ٧/ ٩١ ، بنحوه من طريقين عن سويد بن هبيرة ، وورد بنصه في غريب الحديث ١/ ٢٠٨ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٣٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦٥ ، وعلل القراءات ١/ ٣١٧ ، وتهذيب اللغة (أمر) ١/ ١٩٧ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٠٦أ ، والماوردي ٣/ ٢٣٦ ، وأورده الهيثمي في المجمع ٥/ ٢٥٨ وقال : ورجال أحمد ثقات ، والسيوطي في الجامع ، فيض القدير ٣/ ٤٩١ ورمز له بالصحة ، وفي بعض هذه المصادر تقديم مهرة على سكة ، السِّكة : السَّطر من النَّخل ، المأبورة : المُصلَحةُ المُلقحةُ ، يقال : أبَرت النخل آبُرُه أبْراً إذا لَقَّحته وأصلحته ، المُهْرَة : قال الليث : المُهْر : ولد الرَّمَكَة -البرذون- والفرس ، والأنثى مُهرة ، والجميع مِهار ، وقيل : أول ما نُتِجَ من الخيل والحُمُر الأهلية ، قال ابن خالويه : يعني بالمُهرة : الكثيرة النِّتاج . انظر : أمالي القالي ١/ ١٠٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦٥ ، وتهذيب اللغة (مهر) ٤/ ٣٤٦٢ ، ومتن اللغة ٤/ ٣٣٣٩ .

(١) ورد في تهذيب اللغة (أمر) ١/ ١٩٧ ، بنصه .

(٢) ورد بنحوه في إعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦٦ ، وتهذيب اللغة (أمر) ١/ ١٩٧ ، والطوسي ٦/ ٤٦١ .

(٣) أحمد بن محمد بن عبدالله أبو العباس الليثي المعروف بختن ليث ، روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء ، وروى عنه هارون بن حاتم التيمي . غاية النهاية ١/ ١٢١ .

(٤) انظر : السبعة ٣٧٩ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦٦ ، وعلل القراءات ١/ ٣١٧ ، والحجة للقراء ٥/ ٩١ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٥٢ .

(٥) ورد في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٩ ، بمعناه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ٥٥ ، بنصه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٣٦ ، مختصراً ، وتهذيب اللغة (أمر) ١/ ١٩٧ ، بمعناه ، والدر المنثور ٤/ ٣٠٧ ، بنصه وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس .

وقال أبو إسحاق أي جعلنا لهم إمْرةً وسلطاناً[١] ، وقال في رواية عطاء : يريد سَلَّطنا مُلُوكَها[٢] .

قال أبو علي الفارسي : حَمْلُ أَمَّرْنا على أنه مثل : آمَرْنا ، نحو : كَثَّرَهُ اللهُ وأَكْثَرَه ، ولا يُحْمَل أَمَّرْنا على أن المعنى : جعلناهم أُمراءَ؛ لأنه لا يكاد يكون في قرية واحدة عدَّةُ أُمراءَ[٣] .

وهذا الذي قاله أبو علي لا يقدح في قول ابن عباس؛ لأن القريةَ الواحدة قد يكون فيها أمراء كثير تبعاً لواحد هو أكبرهم ، فهم يُسَمَّون أمراء ويكونون مُسَلَّطين ، وإن كان فوقهم غيرُهم هو الأعظم ، فهؤلاء لا يخرجون عن سِمة الإمارة ، ويُقَوِّي ما قاله أبو علي : أن يونس روى عن أبي عمرو أنه قال : لا يكون أَمَرْنا مخففة بمعنى كثرنا[٤] ، ولمَّا أراد معنى الكثرة شَدَّد الميم ولم يقرأ بمد الألف لمَّا لم يكن بالمصحف إلا ألف[٥] واحدة .

وروى حماد بن سلمة عن ابن كثير : آمَرْنا بالمد[٦] ، وهي اللغة العالية[٧] ، يقال : أمِرَ القوم وآمرهم الله؛ أي أكثرهم ، فهم مؤمَّرُون[٨] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٢ ، بنصه .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٢٩٨ ، بنحوه .

(٣) الحجة للقراء ٥/ ٩٣ ، بنصه .

(٤) الحجة للقراء ٥/ ٩٢ ، بنحوه .

(٥) في (أ) و(د) : (الألف) .

(٦) انظر : السبعة ٣٧٩ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦٦ ، وعلل القراءات ١/ ٣١٦ ، والحجة للقراء ٥/ ٩١ .

(٧) قاله ابن قتيبة في غريبه ١/ ٢٥٣ .

(٨) ورد بنحوه في إعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦٥ .

ونحو هذا روى خارجة[١] عن نافع[٢] ، قال أبو إسحاق : ويكون لقوله[٣] : ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ معنى آخر غير كثرة العدد ، وهو أن تكثر[٤] جِدَتُهم ويَسَارُهُم[٥] .

قال أبو عبيد : الوجه قراءة العامة؛ لاحتماله معنى الأمر والكثرة[٦] ، فإنه يقال : أمير غير مأمور؛ أي غير مؤمَّر[٧] .

وأما المترف فمعناه في اللغة : المُنَعَّم الذي قد أبطرته النعمة وسِعةُ العيش[٨] .

والمفسرون يقولون في تفسيرها : الجبارين والمسلطين والملوك[٩] .

---

(١) خارجة بن عبدالله بن سليمان بن زيد بن ثابت ، أبو زيد ، وينسب إلى جده ، ضعيف الحديث ، روى عن أبيه ونافع ، وروى عنه مَعْن والقَعْنبي ، مات سنة ١٦٥هـ . انظر : الجرح والتعديل ٣/ ٣٧٤ ، والكاشف ١/ ٣٦١ (١٣٠٢) ، وميزان الاعتدال ١/ ٦٢٥ ، وتقريب التهذيب ١٨٦ ، (١/ ١٦) .

(٢) انظر : السبعة ٣٧٩ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦٦ ، وعلل القراءات ١/ ٣١٦ ، والحجة للقراء ٥/ ٩١ .

(٣) في النسخ جميعها : (كقوله) ، والصواب المثبت ، كما يدل عليه السياق .

(٤) في النسخ جميعها : (أن يكون) ، وهو تصحيف ظاهر ، والتصويب من المصدر .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٢ ، بنصه تقريباً .

(٦) لم أجده في كتابه غريب الحديث ، وأخرجه ابن خالويه عنه في إعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦٦ ، بنحوه ، والثعلبي ٧/ ١٠٦أ ، بنحوه ، وقد رجَّح الطبري القول الأول ، وعلله : بأن الأغلب من معنى أمرنا ، الأمر الذي هو خلاف النهي دون غيره ، ثم قال : وتوجيه معاني كلام الله جلَّ ثناؤه إلى الأشهر الأعرف من معانيه أولى ـما وجد إليه سبيل ـ من غيره . انظر : تفسير الطبري ١٥/ ٥٤ ، ٥٧ .

(٧) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٦أ ، بنصه .

(٨) انظر : المحيط في اللغة (ترف) ٩/ ٤٢٦ ، والصحاح ٤/ ١٣٣٣ ، والعباب الزاخر : [ف/ ٤٢] ، واللسان ١/ ٤٢٩ وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ١٩ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٧٥ .

(٩) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٣ ، بنحوه ، وتهذيب اللغة (ترف) ١/ ٤٣٦ ، بلفظه عن قتادة ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٠٦أ ، بمعناه ، والماوردي ٣/ ٢٣٦ ، بلفظه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ١٩ .

وقولــه تعــالى : ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾؛ أي تمردوا في كفرهم ، إذ الفســق في الكفر : الخروج إلى أفحشه[١] .

﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ . قال ابن عباس : يريد اســتوجبت العــذاب[٢] ، يعني قوله : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء :١٥] ، وقوله : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ﴾ [القصص :٥٩] ، وقوله : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ [هــود :١١٧] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، فقد قال عز وجل وحكم بأنه لا يُهلك قرية حتى يخالفوا أمره[٣] في الطاعة ، فإذا خالفوا الأمر حق عليهم قوله بالعذاب .

وقوله تعالى : ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾؛ أي أهلكناها إهلاكَ الاستئصال ، والدمارُ هلاكٌ بالاســتئصال . وهذه الآية تأكيد لما سبق في الآية الأولى؛ لأن الله تعالى ذَكَرَ وبَيَّنَ أن العقاب إنما يحق على الناس بعد مخالفتهم أمر الله .

١٧. ثم ذكر سُــنته في إهلاكِ القــرون الماضية تخويفاً لكفــار مكة ، فقال : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾ . وهــذه الآية كقوله[٤] : ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ [الأنعام :٦] ، وقد مر .

وقوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ . ذَكَرنا الكلام في هذه الباء في مواضع[٥] .

---

(١) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٦١ بنصه تقريباً ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ١٩ .

(٢) انظر : تفســير القرطبي ١٠/ ٢٣٤ ، بنحوه ، وورد غير منسوب في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٦أ ، بنحوه ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٧٥ ، بنصه .

(٣) في (أ) و(د) : (أمر) .

(٤) في النسخ جميعها : (لقوله) ، وهو تصحيف ظاهر .

(٥) وقد ذكر الواحدي عند قوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النســاء :٦] أن استقصاء الحديث عن الباء في السورة نفسها عند قوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [آية :٤٥] ، لكن الجزء المتضمن لهذه الآية مفقود ، كما ذكر محقق هذا الجزء .

وقال الفرَّاء : لو ألقيت الباء كان الحرف مرفوعاً ، وإنما يجوز دخول الباء في المرفوع إذا كان يُمدح به صَاحبُه أو يذم ،كقولك : كفاكَ به ، ونهاكَ به ، وأكرِم به رجلاً ، وبِئس به[1] رجلاً ، ونِعْمَ به رجلاً ، وطاب بطعامك طعاماً ، وجاد بثوبك ثَوباً ، ولو لم يكن مدحاً أو ذمَّاً لم يجز دخولها ، ألا ترى أنه لا يجوز : قام بأخيك ، وأنت تريد : قام أخوك ، ولا قعد به ، وأنت تريد : قعد هو[2] .

١٨ . قوله تعالى : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ . قال المفسرون أي الدنيا[3] ، والعاجلة نقيض الآجلة ، وهي الدنيا عُجِّلَت وكانت قَبْل الآخرة ، ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ ، هذا ذم لمن أراد بعمله وطاعته وإسلامه الدنيا ومنفعتها وعروضها ، وقد بين الله تعالى أن من أرادها[4] لم يدرك منها إلا ما قَدَّره اللهُ له إذا أراد أن يُقَدِّر له؛ لأنه قال : ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾؛ أي القَدْر الذي نشاء ، نُعَجِّل له في الدنيا لا الذي يشاء هو .

ثم بَيَّن أن ما يُعَجَّل ليس عامَّاً لكل أحد ، فقال : ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾؛ أي لمن نريد أن نعجل له شيئاً قدرناه له ، فإذاً قد يخيب كثير ممن يتعب للدنيا ويطلبها بسعيه[5] ، والذي يدركها لا يدرك إلا ما قُدِّر له ، ثم يدخل النار في الآخرةِ ﴿مَذْمُومًا﴾ ، قال ابن عباس : ملوماً[6] ، ﴿مَّدْحُورًا﴾ : منفياً مطروداً ، وذكرنا معنى ﴿مَّدْحُورًا﴾ في

---

(١) (به) ساقطة من (د) .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٩ ، بتصرف يسير ، انظر : تفسير الطبري ١٥/ ٥٨ .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢١٣ب ، بلفظه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ٥٩ ، بلفظه عن ابن زيد ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٣٨ ، بلفظه ، وتفسير الجصاص ٣/ ١٩٦ ، والثعلبي ٧/ ١٠٦ب ، والدر المنثور ٤/ ٣٠٨ وعزاه نسبته إلى ابن أبي حاتم عن الضحاك .

(٤) في النسخ جميعها : (أراد بها) ، والصواب ما أثبته بإسقاط الباء؛ لأنها تجعل المعنى مضطرباً .

(٥) مطموسة في (ع) ، وفي (أ) و(د) : (بسعته) ، والمثبت من (ش) ، وهو الصواب .

(٦) أخرجه الطبري ١٥/ ٥٩ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، والدر المنثور ٤/ ٣٠٩ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

سورة الأعراف [١٨] ، ومعنى هذه الآية كقوله : ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [آل عمران :١٤٥] ، وقد مر ، قال أبو إسحاق : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾؛ لأنه لم يرد الله بعمله[١] ، ﴿مَّدْحُورًا﴾ : مباعداً من رحمة الله .

١٩. قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ﴾ . قال ابن عباس : يعني الجنة[٢] . وقال أهل المعاني : يريد ثواب الآخرة أو خير الآخرة ، كما قال : ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ﴾ [آل عمران :١٤٥] .

﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ . قال ابن عباس : يريد العمل بفرائض الله والقيام بحقوقه[٣] ، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فإن الله لا يقبل حسنة إلا من مُصدِّق ، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ . قال : يريد : يُضَعِّف لهم الحسنات ، ويمحي عنهم السيئات ، ويرفع لهم الدرجات .

٢٠. قوله تعالى : ﴿كُلًّا نُّمِدُّ﴾ ، يعني من أراد العاجلة ، ومن أراد الآخرة ، ثم فصل الفريقين ، فقال : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ ، قال الحسن : كلاً نعطي من الدنيا البَرَّ والفاجر[٤] .

وقال قتادة : إن الله قَسَّم الدنيا بين البَرِّ والفاجر ، والآخرة خصوصاً عند ربك للمتقين[٥] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٣ ، بنصه .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٢٩٨ ، بلفظه .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢٩٨ ، بنحوه .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٠ ، بنصه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٤ ، بنصه ، والدر المنثور ٤/ ٣٠٨ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وأبي نُعيم في الحلية ،لم أقف عليه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٢١ .

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٠ ، بنصه ، والدر المنثور ٤/ ٣٠٨ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

وقال أبو إسحاق : أعلم الله أنه يعطي المسلم والكافر ، وأنه يرزقهما ، فقال : ﴿كُلًّا نُّمِدُّ﴾؛ أي نُمِدُّ المؤمنين والكافرين من عطاء ربك[١] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾؛ أي ممنوعاً[٢] ، يقال : حَظَرَه يَحْظُره حَظْراً وحِظارة وحِظاراً ، وكل من حال بينك وبين شيء فقد حظره عليك[٣] .

٢١. قوله تعالى : ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني : في الرزق؛ فمن مُقِلٍّ ومِنْ مكثرٍ ، ومن مُوَسَّع عليه ومُقَتَّر ، ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ يحتمل معنيين :

أحدهما : أن هذا خاص في المؤمنين الذين يدخلون الجنة ، فتتفاوت درجاتهم في الآخرة أكبر مما تتفاوت درجات المرزوقين في الدنيا في الرزق ، وهذا التفضيل بين المؤمنين خاصة .

والثاني : أن هذا التفضيل بين المؤمنين والكافرين ، ويكون المعنى : أن المؤمنين يدخلون الجنة ، والكافرين يدخلون النار ، فتبين درجاتهم ، ويَفضل[٤] أحد الفريقين على الآخر ، وعلى هذا لا تدل الآية على تفاوت درجات المؤمنين بينهم ، وإنما تدل على تفضيلهم على الكفار بدرجات الجنة ، والمفسرون على القول الأول :

قال ابن عباس : إذا دخلوا الجنان اقتسموا المنازل والدرجات على قَدْر أعمالهم ، ألا تسمع قوله : ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا﴾ الآية .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٣ ، بنصه .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ٦١ ، بلفظه عن ابن جريج وابن زيد ، وورد في تفسير الماوردي ٣/ ٢٣٧ ، عن ابن عباس .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (حظر) ١/ ٨٥٦ ، والمحيط في اللغة ٣/ ٥٩ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٨٠ ، واللسان ٢/ ٩١٨ .

(٤) في النسخ جميعها : (وتفضيل) ، والمثبت أصوب .

٢٢. قوله تعالى : ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ . المفسرون على أن هذا خطاب للنبي ﷺ ، والمعنى عام لجميع المكلفين[١] ، على نحو : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق :١] ، ويحتمل أن يكون الخطاب للإنسان ، كأنه قيل : ﴿لَّا تَجْعَلْ﴾ أيها الإنسان مع الله إلهاً آخر .

وقوله تعالى : ﴿فَتَقْعُدَ﴾ انتصب؛ لأنه وقع بعد الفاء جواباً للنهي ، وانتصابه بإضمار (أن) ، كقولك : لا تنقطع عنا فنجفوك ، وتقديره : لا يكن منك انقطاع ، فإن جوابه[٢] فإن تنقطع نجفوك؛ أي فجفاء[٣] ، فما بعد الفاء متعلق بالجملة المتقدمة بالفاء التي هي حرف العطف ، وإنما سماه النحويون جواباً -وإن كانت جملة واحدة ولم تكن كالجزاء- لمشابهته له في أن الثاني سببه[٤] الأول؛ ألا ترى أن المعنى : إن انقطعت جفوتك ، كذلك المعنى في الآية : إن جعلت مع الله إلها آخر قعدت ﴿مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ ، والمخذول : الذي لا عاصم له ولا ناصر ، يقال : خذله يخذله خِذْلاناً[٥] وخذلاً ، وقد مر .

٢٣. قوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد وأَمَرَ ربك ، ليس هو قضاء حكم ، ونحو هذا روى عنه الوالبي[٦] ، وهو قول مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وعامة

---

(١) ورد بنحوه في الطبري ١٥/ ٦٢ ، والثعلبي ٧/ ١٠٦ب ، والطوسي ٦/ ٤٦٤ .

(٢) في النسخ جميعها : (صوابه) ، والصواب ما أثبته ، ويدل عليه سياق الكلام بعده .

(٣) في (أ) و(د) : (نجفا) ، والمثبت من (ش) و(ع) .

(٤) في (أ) : (سنه) ، وفي (د) : (سننه) ، وفي (ش) و(ع) : (شبيه) ، والصواب ما أثبته ، وهو الأنسب للسياق .

(٥) ساقطة من (د) .

(٦) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٢ ، بلفظه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، وورد بلفظه في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٦ب ، والماوردي ٣/ ٢٣٧ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٠٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

المفسرين[١] وأهل اللغة[٢] . قال الفـَّراء : العرب تقول : تركته يقضي أمور الناس؛ أي يأمر فيها فينفُذ أمرُه[٣] .

وقال أبو إسحاق : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ معناه أمَر[٤]؛ لأنه أمرٌ قاطعٌ حَتْمٌ ، وذكرنا أن قضى في اللغة على وجوه ، كلها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه[٥] .

وروى ميمون بن مِهران عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : إنما هو (ووصى ربك) فالتصقت إحدى الواوين[٦] ، فقرئت : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ ولو كان على القضاء ما عصى الله أحـَدٌ[٧] ، ونحو هذا روى عنه الضحاك وسعيد بن جبير[٨] ، وهو قراءة علي وعبدالله : (ووصى ربك)[٩] .

---

(١) تفسير مجاهد ١/ ٣٦٠ ، بلفظه ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٦ ، بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٥/ ٦٢ـ٦٣ ، بلفظه عنهم ما عدا مجاهد ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٣٩ ، عن الحسن ، وتفسير الجصاص ٣/ ١٩٦ ، والسمرقندي ٢/ ٢٦٤ ، وهود الهواري ٢/ ٤١٤ ، والثعلبي ٧/ ١٠٦ب ، عن الحسن وقتادة ، والماوردي ٣/ ٢٣٧ ، عن الحسن وقتادة .

(٢) انظر : مجاز القرآن ١/ ٣٧٤ ، وتهذيب اللغة (قضى) ٣/ ٢٩٨٦ ، والإملاء ٢/ ٩٠ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٦٦ ، واللسان (قضى) ٦/ ٣٦٦٥

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٠ ، بنصه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٣ ، بلفظه .

(٥) انظر : ما تقدم في تفسير سورة البقرة [آية :١١٧] .

(٦) أي التصقت بالصاد .

(٧) ورد في القراءات الشاذة لابن خالويه ٧٩ ، مختصراً ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٠٩ ، بنحوه ، وعزاه إلى أبي عبيد وابن منيع وابن المنذر وابن مردويه من طريق ميمون عن ابن عباس .

(٨) أخرجه الطبري ٨/ ٥٨ ، عن الضحاك ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٦ب ، عن الضحاك ، والماوردي ٣/ ٢٣٧ عن الضحاك ، وانظر : غرائب التفسير ١/ ٦٢٤ ، عن ابن عباس والضحاك واستغربه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٢٥٧ وعزاه إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وأورده ـكذلكـ وعزاه إلى ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس ، وأورده ، وزاد نسبته إلى أبي عبيد وابن المنذر عن الضحاك .

(٩) أخرجها عن ابن مسعود مقاتل ١/ ٢١٣ب ، وعبدالرزاق ٢/ ٣٧٦ ، والطبري ١٥/ ٦٣ ، والطبراني =

وقولــه تعــالى : ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ . قال الزَّجَّــاج أي وأَمَــرَ بالوالدين إحســاناً[١] ، والعرب تقول : أوصيك به خيراً ، وآمرك بــه خيراً ، وكأن معناه : آمرك أن تفعل به ، ثم تحذف (أن) فينصب الخبر بالوصية وبالأمر ، وأنشد :

عَجِبْــتُ مِــنْ دَهْمــاءَ أنْ تَشْــكُونا

ومِــنْ (أبي) دَهْمــاءَ أنْ يُوصِينــا

خَــيْراً (بهــا كأننــا)[٢] جافُونــا[٣]

فعلى هذا ينصب إحساناً بمضمر دلَّ عليه الكلام ، و(الباء) في : ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ من صلة الإحســان ، وقُدِّمت عليه كما تقول : بزيد فامــرر[٤] ، ويجوز أن يكون العامل فيه ما أُضمر من الإيصاء؛ كأنه : وأوصى بالوالدين إحساناً .

= في الكبير ٩/ ١٤٩ ، ووردت عن ابن مسعود في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٣٩ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٤ ، والثعلبــي ٧/ ١٠٦ب ، عنهــما ، وهذه القراءة شــاذة ، وقد اســتنكرت وضعفت ، قال الكرمــاني : وهذه القراءة عند القراء مقبولة في جملة الشــواذ ، والحكاية مــردودة على الراوي ، وقال ابن عطية : وهذا ضعيف ، وإنما القراءة مروية بســند ، ونقل تضعيف ابن أبي حاتم لها ، وقال : لو قلنا هذا لطعــن الزنادقة في مصحفنا ، وقال ابن الجوزي : وهذا على خــلاف ما انعقد عليه الإجماع ، فلا يلتفت إليه .

انظر : غرائب التفســير ١/ ٦٢٤ ، وتفســير ابن عطية ٩/ ٥٢ ، وابن الجوزي ٥/ ٢٢ ، وفتح الباري ٨/ ٢٤١ ، وتفســير الألوسي ١٥/ ٥٤ ، وهي أشبه بالتفســير من القراءة ، وبذلك فسرها مجاهد ،كما أخرجه الطبري ١٥/ ٦٢_٦٣ .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٤ ، بنحوه .

(٢) في النسخ جميعها : (أين) بدل (أبي) ، و(بهل كأنها) بدل (بها كأننا) ، والتصويب من المصادر .

(٣) ورد ما بــين التنصيص بنصه تقريباً في معــاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٠ ، وتفســير الطبري ١٥/ ٦٣ ، وبنحوه في تفسير الطوسي ٦/ ٤٦٧ ، وفي المصادر جميعها : (إذ) بدل (إن) ، والشاهد كما ذكره الطبري والطوسي : أعمل يوصينا في الخير ، كما أعمل في الإحسان .

(٤) أورد الفخــر الرازي هذا الوجه وعزاه إلى الواحدي ، وتعقبه قائلاً : وهذا المثال الذي ذكره الواحدي غير مطابق؛ لأن المطلوب تقديم صلة المصدر عليه ، والمثال المذكور ليس كذلك ، وقد أورد الســمين =

وقوله تعالى : ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ ، يرفع ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ بـ ﴿يَبْلُغَنَّ﴾ ، و﴿كِلَاهُمَا﴾ عطف عليه ، وقرأ حمزة والكسائي : (يبلغان)[1] قال الفرَّاء : ثَنَّى؛ لأن الوالدين قد ذُكِرا قبله ، فصار الفعل على عددهما ، ثم قال : ﴿أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ على الائتناف ، كقوله : ﴿فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾ [المائدة :٧١] ، ثم استأنف فقال : ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ ، وكذلك قوله : ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾ ، ثم استأنف فقال : ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾[2] [الأنبياء :٣] ، وقال أبو علي : من قرأ : (يَبْلُغَانِّ) جعل قوله : ﴿أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ معاداً على التأكيد ، وعلى ذكر إفراد كل واحد منهما ، ولا يكون الرفع فيهما بمعنى الفعل كما يكون في قراءة الباقين[3] .

وقال أبو إسحاق : من قرأ : (يَبْلُغانِّ) [يكون ﴿أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ بدلاً من الألف ، وموضع ﴿يَبْلُغَنَّ﴾ و(يَبْلُغَانِّ)][4] جزمٌ بإمَّا؛ لأن أصله (إن) التي للشرط ، فأكدت بـ (ما) التي للشرط؛ نحو : ﴿مَا نَنسَخْ﴾ [البقرة :١٠٦] ليكون حرف الشرط مؤكِّداً مِثل توكيد الفعل بالنون ، وعلامةُ الجزم لا تبين مع نون التأكيد[5]؛ لأن الفعل يُثَنَّى معها ، ألا ترى أنك تقول ليفعلَنَّ بفتح[6] اللام وبترك

= القولين ، وبين أن كلا منهما صحيح من وجه . انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٨٦ ، والدر المصون ٧/ ٣٣٤ .

(١) انظر : السبعة ٣٧٩ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦٨ ، وعلل القراءات ١/ ٣١٩ ، والحجة للقراء ٥/ ٩٦ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٨ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٠ ، بنصه .

(٣) الحجة للقراء ٥/ ٩٦ ، بتصرف .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٥) أي المباشرة .

(٦) في النسخ جميعها : (ففتح) ، والصواب المثبت؛ لأن به يستقيم الكلام .

الضمة ، وبـترك النون التي تُلْحَق[١] في التثنية والجمـع والواحدة المؤنث علامةً للرفع[٢] ، كما تُركت الضمةُ في الواحدة .

ذكرنا هذا [عنـد][٣] قولـه : ﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ﴾ [البقرة :٩٦] وعنـد قوله : ﴿وَلَا نَتَّبِعَآنِّ﴾ [يونس :٨٩] .

وأَمَّا قوله : ﴿كِلَاهُمَا﴾ فإن كلا اسـم مفرد يفيد[٤] معنـى التثنية[٥] ، ووزنه فِعَل ، ولامُه بمنزلة لام حِجَى ورِضَى ، وهي كلمة وضعت على هذه الحلقة يُؤَكّدُ بها الاثنان خاصةً ، ولا تكون إلا مضافة ، والدليل على أنها ليسـت تثنية : أنها لا تُفردُ فتقومَ بنفسها ، ولو كانت تثنيةً لوجب أن تقال بالنصب والخفض ، والخفض مررت بـكلي الرجلين بكسر الياء ، كما تقول بين يـدي الرجل ، و﴿مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ﴾ [المزمل :٢٠] و﴿يَصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ [يوسف :٣٩] و﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود :١١٤] ، فدل هذا على أنها ليست بحلقة تثنية ، وأنها وضعت دلالة على التثنية لا أنها تثنية ، كما تقول في (كل) فإنه اسـم واحد موضوع للجماعة ، فإذا أخبرت عنه بلفظه ، أخبرت كما تخبر عن الواحد ، كقوله : ﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ [مريم :٩٥] وكذلك إذا أخبرت عن كلا ، أخـبرت عن الواحد ، فقلـت : كلا أَخَوَيْك كان قائماً ، وكلا عَمَّيْكَ كان فقيهاً ، وقال الله تعـالى : ﴿كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا﴾ [الكهف :٣٣] ، ولم يقل : آتتا ، وقال :

كلا الرَّجُلَيْنِ أَفَّاكٌ أَثِيمُ[٦]

---

(١) في (ش) و(ع) : (لحق) .

(٢) بسبب توالي النونات والثقل .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) في (أ) و(د) : (بعيد) .

(٥) في النسخ جميعها : (للتثنية) ، والصحيح المثبت ، والتصقت الألف باللام .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (كلا) ٤/ ٣١٦٩ ، بنصه بلا نسـبة ، والشـاهد : أنه أفرد أفَّاك ، وهي تعود على مثنى . وانظر أيضاً : لسان العرب (كلا) ، وتاج العروس ، باب : الواو الهاء ، فصل : الكاف .

وقال لبيد :

فَغَدَتْ كلا الفَرْجَينِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَـولى المخافةِ خلفُهـا وأمامُها[١]

يريد كلا فرجيها ، فأقام الألـف واللام مقام الكناية ، وقال : أنه ، ولم يقل : أنهما ، ثـم ترجم عن كلا ، فقال : خلفُهـا وأمامُها ، يجـوز أن يذهب إلى المعنى فيقول : كلا الرجلـين كانا قائمين ، كما يقـول في كل ، كقوله تعالى : ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمـل :٨٧] ؛ وهذا الـذي ذكرنا في كِلا كلام أبي الهيثـم الرازي[٢] وأبي الفتح الموصلي[٣] وأبي علي الجرجاني ، وأمَّا كلتا فالكلام فيه يأتي عند قوله : ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف :٣٣] إن شاء الله .

قال مجاهد في قوله : ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾ . قال : يخريان ويبولان[٤] ، و﴿ٱلْكِبَرَ﴾ هاهنا مصدر الكبير في السن .

---

(١) شرح ديـوان لبيد ٣١١ ، وورد في الكتاب ١/ ٤٠٧ ، والمقتضب ٤/ ٣٤١ ، وشرح القصائد السـبع الطوال ٥٦٥ ، وأمالي ابن الشجري ١/ ١٦٦ ، ٢/ ٥٨٢ ، والبسيط في شرح جمل الزَّجَّاجي ١/ ٥٠٢ ، والإيضاح للعضدي ٢١١ ، بلا نسـبة . (فغدت) : من الغدوِّ ، وتروى : (فعدت) : من العدو ، (كلا الفرجين) : في كلا الفرجين؛ والفرج : الواسـع من الأرض أو الثَّغر؛ وهو موضع المخافة ، والفروج هـي الثُّغور ، (مولى)؛ قال ثعلب : المولى في هذا البيت معناه : الأَوْلى؛ كأنها تحسـب أن كلَّ فرج أولى بالمخافة من الثاني؛ لحيرتها ، والضمير يعود على بقرة وحشـية ، أضلت ولدها أو حُبسـت خيفة من صائـد ، فهي حذرة في خوف ، تخال كلا طريقيهـا ، من خلفها وأمامها ثغرة له يسـلك منها إليها . وخلفُهـا وأمامُها رفعٌ على البدل من كلا؛ لأن كلا الفرجين همـا خلفُها وأمامُها ، والتقدير : وخلفُها وأمامُها تحَسَب أنه يلي المخافة ، وجائز رفعه بتقدير : هو خلفُها وأمامُها .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (كلى) ٤/ ٣١٦٩ ، بتصرف .

(٣) المنصف ٢/ ١٠٧ ، مختصراً .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٤ ، بنحوه .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ . قال أبو إسحاق : فيه سبع لغات؛ الكسر بغير تنوين وبتنوين ، والضم بغير تنوين وتنوين ، وكذلك الفتح بهما[١] ، فأما الكسر فلالتقاء الساكنين ، و(أُف) غير متمكن[٢] بمنزلة الأصوات ، فإذا لم يُنَوَّن فهو مَعْرفة ، وإذا نُوِّن فهو نكرة بمنزلة غاقٍ وغاقٍ[٣] في الصوت ، والفتح لالتقاء الساكنين أيضاً ، والفتح مع التضعيف حَسَنٌ؛ لخفةِ الفتحة وثِقَلِ التضعيفِ والضَّمِّ؛ لأن قبله مضمُوماً -حسنٌ[٤] أيضاً- والتنوين فيه على جهة النكرة[٥] .

واللغة الشائعة (أُفٍّ) بالياء ، قال الأخفش : كأنه أضاف هذا القول إلى نفسه[٦]؛ فقال : قَوْلي هذا .

وزاد ابنُ الأنباري لغات ثلاثاً ، فقال : و(إفَّ لك) بكسر الألف وفتح الفاء ، و(أُفَّة لك) بضم الألف وإدخال الهاء ، و(أُفْ لك) بضم الألف[٧] وتسكين الفاء ، وأنشد لحسان :

فأُفًّا لِجِبَانٍ على كلِّ حالة ... على ذكرِهِم في الذِّكْرِ كلُّ عَفاءِ[٨]

---

(١) ذكر الواحدي عن الزَّجَّاج أن في (أف) سبع لغات ، ولم يورد إلا ستة ، مع أن الزَّجَّاج ذكر اللغة السابعة ، فقال : وفيها لغة أخرى سابعة لا يجوز أن يقرأ بها ، وهي (أُفٍّ) بالياء . معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٤ ، لكن الواحدي أشار إلى هذه اللغة بعد ذكر كلام الزَّجَّاج بقوله : واللغة الشائعة (أُفٍّ) بالياء .

(٢) أي غير منصرف . انظر : المعجم المفصل في النحو العربي ٩٤٦ .

(٣) غاقِ : حكاية صوت الغراب ، فإن نكَّرته نوَّنته ، ويقال : سمعت غاقَ غاقَ وغاقٍ غاقٍ ، ثم سمي الغراب غاقاً ، فيقال : سمعت صوت الغاقِ . اللسان (غوق) ٦/ ٣٣١٧ .

(٤) في (أ) و(د) : (ما حسن) بزيادة ما .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٤ ، بنصه تقريباً .

(٦) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٠ ، بنصه .

(٧) ما بين التنصيص من (ش) و(ع) .

(٨) ديوانه ٢٥٩ ، وروايته :

فأفٍّ للحيانٍ على كلِّ حالةٍ ... فذكرُهُم في الذكرِ شرٌّ ثناءِ

وورد في الزاهر ١/ ١٨١ ، وصدره :

فأُفٌّ لِلحْيانٍ على كلِّ آلَةٍ

وأنشد لأبي حية :

حَيَاءً وبُقْيَا أَنْ تَشِيـــعَ نَمِيمَـــةٌ بِنَـــا وبِكُـــمْ أُفٍّ لأهْـــلِ النَّمَائِمِ[١]

ثم ذكر وجهَ كلِّ لغة ، فقال : من قال : (أُفَّ) جعله بمنزلة قولهم : مُدَّ يدك ، ومن قال : (أُفٍّ) جعله بمنزلة مُدِّ ، ومن قال : (أُفٌّ) جعله بمنزلة مُدٌّ ، وأنشد[٢] :

إِذَا أَنْتَ لَـمْ تَنْفَعْ فَضُـــرَّ فَإِنَّمَـا يُرَجَّى الـــفتى كَيْمَا يَضُرَّ ويَنْفَعَا[٣]

قال : كذا رواه يونس بضم الراء[٤] ، وأنشد :

قـــالَ أبـــو ليـــلى لحبـــلِي مُـــدِّهْ
حـــــتَّى إذا مـــــددْتُهُ فشُـــــدِّهْ
إنَّ أبـــــا ليـــلى نســـيجُ وحـــدِهْ[٥]

ومـــن قال : (أُفَّاً) ، نصبه على مذهب الدعاء ، كما يقال : ويلاً له ، ومن قال : (أُفٌّ لـــك) رفعه باللام ، كما قال الله تعـــالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين :١] ، ومن قال [(أُفٍّ) خفضه على التشبيه بالأصوات كما يقال : صَهٍ ومَهٍ][٦] ومن قال : (أُفَةً

(١) شعر أبي حَيَّة النُّمَيْري ٨٧ ، وورد في الكامل ١/ ١٠٠ ، والزاهر ١/ ١٨١ .

(٢) اختلف في نسـبة البيت ، فنسـب إلى النابغة الجعدي ، وهو في شـعر النابغة الجعدي ٢٤٦ ، ونسب إلى قيس بن الخَطيم ، وهو في ديوانه ١٧٠ ، ونسـب في شـواهد المغنـي ١/ ٥٠٧ إلى النابغة الذبياني ـ وليـس في ديوانه ـ أو النابغة الجعدي ، ونسـب في الخزانة ٨/ ٤٩٩ إليهـما وإلى قيس بن الخَطيم ، ورجح البغـدادي الأخير ، وكذلك نُسـب في الصناعتين ٣١٥ ، وإعجاز القـرآن للباقلاني ٨٣ إلى قيس بن الخَطيم .

(٣) وورد بلا نسبة في الزاهر ١/ ١٨١ ، والبغداديات ٢٩١ ، ٣٥٢ ، والجنى الداني ٢٦٢ ، ومغني اللبيب ٢٤١ .

(٤) أي في كلمة : فَضُرُّ ، ووردت بالفتح ، وكذلك وردت يُضُرُّ وينفعُ بالرفع . انظر : المصادر السابقة .

(٥) ورد في الزاهر ١/ ١٨٢ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

لك) نصبه أيضاً على مذهب الدعاء ، ومن قال (أُفٍّ لك) إضافة إلى نفسه ، ومن قال : (أُفْ لك) شبَّهه بالأدوات ، نحو : (مَنْ) و(كم) و(بل) و(هل)[١] .

وقال الفرَّاء : العرب تقول : جَعَل فلان يتأَفَّف من ريح وجدها ، معناه : يقول : أُفٍّ أُفٍّ[٢] .

وقال الأصمعي : الأُفُّ : وسخ الأُذن ، والتُّفُّ : وسخ الأظفار ، يقال ذلك عند استقذار الشيء ، ثم كثر حتى استعملوه عند كل ما يتأذون به .

وقال غيره : أُف معناه : قلَّة ، وتُف إتْباع ، مأخوذ من الأفف ، وهو الشيء القليل[٣] .

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي : الأُفُفُ : الضجر .

وقال القتيبي في قوله : ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ ؛ [أي لا تستثقل شيئاً من أمرهما ، قال : والناس يقولون لما يكرهون ويستثقلون : أُفٍّ][٤] له .

وأصل هذا نَفْخك للشيء يَسْقط عليك من تراب أو رماد ، وللمكان تريد إماطة أذى عنه ، فقيل لكل مُسْتَثقل[٥] .

---

(١) الزاهر ١/ ١٨١ ، ١٨٢ وهو نقل طويل من قوله : وزاد ابن الأنباري . . . . نقله بنصه تقريباً .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢١ ، بنصه .

(٣) ورد في الزاهر ١/ ١٨٠ بتصرف ، وتهذيب اللغة (أف) ١/ ١٧٢ ، بنصه .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٥) تأويل مشكل القرآن ١٤٧ ، بتصرف يسير .

وقال الزَّجَّاج : معنى (أُفٍّ) النَّتن ، ومعنى الآية : ولا تَقُل لهما ما فيه أدنى تَبَرُّم إذا كَبُرا وأسَنَّا؛ أُفْ ، بل تَوَلَّ خدمتهما[١] ، هذا قول أهل اللغة في معنى هذه الكلمة ووجوهها[٢] .

قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد بالأُف الرديء من الكلام؛ أن يقول لهما : أماتكما الله ، أراحني الله منكما[٣] ، فهذا الرديء من الكلام ، كقول إبراهيم لقومه : ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ﴾ [الأنبياء :٦٧] .

وروى ليث عن مجاهد : لا تتقذرهما كما كنت تخرأ وتبول فلا يتقذرانك[٤] .

وروى أبو يحيى عنه قال : إذا وجدت منهما رائحة تؤذيك فلا تقل لهما : (أُف)[٥] .

وقوله تعالى :﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ ، يقال : نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزجره[٦] ، قال عطاء عن ابن عباس : يريد الجواب والغلظة[٧] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٤ ، بنحوه ، وورد في تهذيب اللغة ١/ ١٧٢ ، وظاهرٌ أنه نقله من التهذيب لا المعاني .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (أف) ١/ ١٧٢ ، بنصه تقريباً ، من قوله : وقال الأصمعي .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٨٨ ، بنصه ، انظر : تنوير المقباس ٢٩٨ ، مختصراً ، وورد بلا نسبة في تفسير مقاتل ١/ ٢١٤أ ، مختصراً .

(٤) ورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٤٠ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٠٧أ ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٦ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٨٩ .

(٥) انظر : تفسير ابن عطية ٩/ ٥٦ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٨٩ ، بنصه ، والقرطبي ١٠/ ٢٤٢ ، وأبي حيان ٦/ ٢٧ .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (نهر) ٤/ ٣٦٧٤ بنصه ، وانظر : المحيط في اللغة (نهر) ٣/ ٤٧٦ ، ومجمل اللغة ٢/ ٨٤٥ ، واللسان ٨/ ٤٥٥٧ .

(٧) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٨٩ بنصه ، انظر : تنوير المقباس ٢٩٨ ، بنحوه .

وقال أبو إسحاق : لا يكلمهما ضَجِراً صائحاً في أوجُهِهما[١] .

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ . قال ابن عباس : يريد ليناً لطيفاً[٢] .

وقال ابن جريج : أحسن ما تجد من القول[٣] .

وقال عمر رضي الله عنه : أي لا تمتنع من شيء يريدانه[٤] .

وقال عطاء : لا تُسَمِّهما ولا تُكَنِّهما ، وقل لهما : يا أبتاه ويا أماه[٥] .

وقال أبو الهدَّاج التُّجيبي[٦] : سألت سعيد بن المسيب ، فقلت : أصلحك الله ، كل ما ذَكر الله في القرآن من برِّ الوالدين قد عرفته إلَّا قوله : ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ فما هو؟ قال[٧] : قول العبدالمذنب للسيد الفظ الغليظ[٨] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٤ ، بنصه .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٢٩٨ .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٥ ، بنصه .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٥ ، بنصه .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٧أ ، بنصه ، انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٢٤٣ .

(٦) في النسخ جميعها : (الهداد) ، والصحيح كما في تفسير الطبري ، والدر المنثور ، والجرح والتعديل : أبو الهداج التجيبي ، سمع سعيد بن المسيب قوله ، روى عنه حرملة بن عمران . الجرح والتعديل ٩/ ٤٥٥ .

(٧) ساقط من (أ) و(د) .

(٨) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٥ ، بنصه تقريباً ، وورد في تفسير الجصاص ٣/ ١٩٧ ، بنصه ، والثعلبي ٧/ ١٠٧أ ، بنصه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٦ ، وابن عطية ٤/ ٣١٠ ، وابن الجوزي ٥/ ٢٥ ، والقرطبي ١٠/ ٢٤٣ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣١٠ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

٢٤. قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾. قال عروة بن الزبير في هذه الآية: يكون لهما ذلولاً، لا يمتنع من شيء أحبَّاه[١].

وقال عطاء عن ابن عباس: لا يريدان منك أمراً إلا أجبتهما إليه.

وقال مقاتل: أَلِنْ لهما جانبك واخضع لهما، ولا تستصعب عليهما[٢]، هذا قول المفسرين.

والخفض في اللغة ضد الرفع، والجناح هاهنا استعارة، وخفض الجناح: عبارة عن السكون، ويريد هاهنا تَرْكَ التعصب والإباء عليهم، والانقياد لهما، وأضاف الجناح إلى الذُّل؛ لأنه أراد تذَلَّلْ لهما، كما قال أبو إسحاق: أَلِنْ لهما جانبك مُتَذَلِّلاً لهما[٣].

وقال عطاء بن أبي رباح في هذه الآية: لا ترفع يدك عليهما[٤]، وهذا ظاهر؛ لأن الجناح يُستعار كثيراً في اليد، كقوله تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ﴾ [القصص: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ قال الزَّجَّاج أي من مبالغتك في الرحمة لهما[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، الأدب المفرد: باب: لين الكلام لوالديه، بنحوه، وابن أبي شيبة ٥/ ٢٢٠، بنحوه، والطبري ١٥/ ٦٦، بنحوه من طرق عدة، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٤١، بنحوه، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٥، بنصه، والثعلبي ٧/ ١٠٧أ، بنحوه، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣١٠ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، وذكره الألباني في صحيح الأدب المفرد: رقم (٨)، الصفحة ١٥.

(٢) تفسير مقاتل ١/ ٢١٤أ، بمعناه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٥، بنصه.

(٤) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٤١ بنصه، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٥، بنحوه، والدر المنثور ٤/ ٣١٠، ونسبته إلى ابن جرير ـ لم أجده ـ وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٥، بنصه.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ الآية. قال قتادة: هكذا علمتم وبهذا أمرتم فخذوا بتعليم الله وأدبه[١]، والمعنى: ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ مثل تربيتهما إياي صغيراً؛ أي مثل رحمتهما [إياي في صغري حتى ربياني، ولكنْ ذكرت التربية لأنها[٢] تدل على رحمتهما][٣]، وتُذَكِّرُ الولدَ شفقة الأبوين وما أصابهما من النصب في تربيته، فكأنه قيل: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ لرحمتهما[٤] إياي في صغري، والكاف في موضع نصب؛ لأنه نعت مصدر محذوف[٥].

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ثم أنزل الله بعد هذا قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[٦] الآية [التوبة: ١١٣]، وقال قتادة: قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ [منسوخ؛ لا ينبغي للمسلم أن يستغفر لوالديه إذا كانا مشركين[٧]، ولا يقول: رب ارحمهما][٨].

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٧، بنصه.

(٢) في (أ) و(د): (أنها)، والصحيح المثبت؛ لأنها تعليل.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (ش) و(ع).

(٤) في (ش): (كرحمتها)، ومطموسة في (ع).

(٥) أي الكاف في قوله: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي﴾، وقد قدَّر المحذوف الحوفي بقوله: ارحمهما رحمةً مثلَ تربيتهما لي، ووردت أقوال أخرى في الكاف وفي تقدير المحذوف. انظر: الفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٦٩، والدر المصون ٧/ ٣٤٤.

(٦) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٧ بنصه، أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣١١ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٧) ورد في الناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٤٩٠، بنحوه، انظر: غرائب التفسير ١/ ٦٢٥ ذكره واستغربه ورده ورجح عدم النسخ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٤٤، وتفسير أبي حيان ٦/ ٢٨، والدر المنثور ٤/ ٣١١ وعزاه إلى ابن المنذر والنحاس وابن الأنباري في المصاحف، وروي النسخ عن ابن عباس كذلك، انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٣٣٧، وتفسير البغوي ٥/ ٨٦، وابن عطية ٩/ ٥٨، وابن الجوزي ٥/ ٢٦، والقرطبي ١٠/ ٢٤٤.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د).

وذهب قوم إلى تخصيص قوله : ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾؛ يعنون أن هذا في الوالدين المسلمين[١] ، فالآية عامة ، ومعناها خاص في المسلمين ، ونحو هذا روى عطاء الخرساني عن ابن عباس في قوله : ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ . قال : ثم استثنى ، فقال :﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ . فجعل النهي عن استغفار المشركين –وإن كانوا أقارب– استثناءً عن قوله : ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾ في المعنى[٢] ، وهذا أحسن من أن يحكم بالنسخ على الدعاء للوالدين بالرحمة[٣] .

وقال سفيان ، وسئل كم يدعو لوالديه : في اليوم مرةً أو في الشهر أو في السنة؟ قال : نرجو أن يجزيه إذا دعا لهما في دبر الصلوات ، كما أن الله تعالى قال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ الآية [الأحزاب :٥٦] ، كانوا يرون أن التشهد يجزي من الصلاة على النبي ﷺ ، وكما أن الله قال : ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ [البقرة :٢٠٣] ، فهم يكبرون في دبر الصلوات[٤] .

٢٥. قوله تعالى : ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡ﴾ الأعلم من قولك : فلانٌ أعلمُ ، له معنيان؛ أحدهما : أكثر معلوماً ، والثاني : أثبت علماً ، وهذان يجوز في صفة الله تعالى؛ فإنه أكثر معلوماً وأثبت علماً .

---

(١) ورد بنحوه في تفسير الطبري ١٥/ ٦٨ ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٤٩٠ ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٣٣٧ .

(٢) ورد في الناسخ والمنسوخ للهروي ٢٨٣ ، بنحوه .

(٣) وهذا القول هو الراجح ، وأولى من دعوى النسخ؛ لإمكان الجمع بين الدليلين ، ومتى أمكن الجمع فهو أولى من القول بالنسخ؛ لأن في النسخ إبطال أحد الدليلين ، وفي القول بالتخصيص جمع بينهما ، وعليه فالآية محكمة غير منسوخة . انظر : الإيضاح لمكي ٣٣٨ .

(٤) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٩٢ ، بنصه .

قال سعيد بن جبير في قوله : ﴿بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ هو البادرة تكون من الرجل إلى أبويه ، لا يريد بذلك بأساً[١] ، فقال الله تعالى : ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾؛ أي النِّية صادقة ببرِّه ، ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ : البادرة التي بدرت منه .

والمعنى : ربكم أعلم بما تضمرون من البِرِّ والعقوق؛ فمن بدرت منه بادرة وهو لا يضمر عقوقاً فأغفر له ذلك ، وهو معنى قوله : ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد طائعين لله ، ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ قال : يريد الراجعين عن معاصي الله عز وجل ، التاركين لسخط الله ، النادمين على الزلات[٢] .

وقال سعيد بن المسيب : هو الذي يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب[٣] .

وقال الحسن : هو الذي يريد الله بقلبه وعمله[٤] .

وقال سعيد بن جبير : يعني الراجعين إلى الخير[٥] .

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٨ ، بنصه تقريباً من طريقين ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٧أ ، بنصه تقريباً ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٨ ، والزمخشري ٢/ ٣٥٨ ، والدر المنثور ٤/ ٣١١ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٠ ، بلا نسبة .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٦ ، بنصه ، والطبري ١٥/ ٦٩ـ٧٠ ، بنصه من طرق عدة ، وورد في تفسير الجصاص ٣/ ١٩٧ ، بنحوه ، والثعلبي ٧/ ١٠٧أ ، بنصه ، والماوردي ٣/ ٢٣٩ ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٤٦٨ ، بنحوه .

(٤) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٥ ، بنحوه .

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ٧٠ بنصه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٤٢ ، بنصه ، وتفسير الجصاص ٣/ ١٩٧ ، بمعناه ، والثعلبي ٧/ ١٠٧أ بنصه ، والماوردي ٣/ ٢٣٩ ، بنحوه ، وأخرجه البيهقي في الشعب ٥/ ٤٣٨ بنصه ، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٦٨ ، بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣١٠ وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا .

وقال عبيد بن عمير : الذين يذكرون لأبويهم ويستغفرون[١] .

ورُوي أنه قال : الأوَّابُ : هو الذي يقول : اللهم اغفر لي [ما][٢] أصبت في مجلسي هذا[٣] .

وقال أبو إسحاق : الأوَّاب : هو الراجع إلى الله سبحانه في كل ما أمر به ، المُقْلع عن جميع ما نهى عنه ، يقال : آب يؤوب أوباً : إذا رجع[٤] .

٢٦. قوله تعالى : ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ . قال ابن زيد : بدأ الله تعالى بالوالدين ، فلما فرغ من الوالدين وحقهما ذكر هؤلاء[٥] .

وقال ابن عباس : هذه الآية حضٌّ على صلة القرابة ، بدأ بحق القرابة لِمَا جعل في الأرحام من الصلة[٦] ، ونحو هذا قال الحسن : إن هذه الآية في بر الأقارب وصلة رحمهم بالإحسان إليهم[٧] .

وقد فسَّر النبي ﷺ هذه الآية في ما روى عنه أنس أن رجلاً قال : يا رسول الله : إني ذو مال كثير ، وذو أهل وولد ، فكيف تحب لي أن أصنع أو أنفق؟ قال : «أدِّ

---

(١) لم أقف على هذا القول ، والذي ورد عنه في المصادر ، أنه قال : الذين يذكرون ذنوبهم في الخلاء فيستغفرون الله . انظر : تفسير الطبري ١٥/ ٧٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٤٣ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٠٧أ ، وابن الجوزي ٥/ ٢٦ ، والقرطبي ١٠/ ٢٤٧ ، والدر المنثور ٤/ ٣١٨ وعزاه إلى هناد .

(٢) زيادة يقتضيها السياق ، كما في المصادر جميعها ، وفي النسخ جميعها : أصبت من دون (ما) .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٧ ، بنصه ، والطبري ١٥/ ٧١ ، بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٧أ ، بنصه ، انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٤١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٥ ، بنصه ، وهذا القول ـ وهو قول ابن عباس وابن المسيب ـ هو الذي رجحه الطبري ، قال : لأن الأواب إنما هو فعَّال ، من قول القائل : آب فلان من كذا؛ إما من سفره إلى منزله ، أو من حال إلى حال .

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ٧٤ ، بنصه .

(٦) انظر : تفسير ابن عطية ٩/ ٦٠ ، بنحوه .

(٧) انظر : تفسير ابن عطية ٩/ ٦٠ ، بنحوه .

الزكاة طُهرةً يطهرك ، وآت صلة الرحم ، واعرف حق السائل والجار والمسكين وابن السبيل ، ولا تبذر تبذيراً»[١] .

ومعنى التبذير في اللغة : إفساد المال وإنفاقه في السرف[٢] .

وقال ابن مسعود : التبذير : النفقة في غير حق[٣] .

قال عثمان بن الأسود[٤] : كنت أطوف مع مجاهد حول الكعبة ، فرفع رأسه إلى أبي قُبَيْس[٥] فقال : لو أن رجلاً أنفق مثلَ هذا في طاعة الله لم يكن من المسرفين[٦] .

---

(١) أخرجه الحاكم ٢/ ٣٦٠ ، بنحوه عن أنس ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي ، وأورده ابن كثير في تفسيره ٣/ ٤٢ ، بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٢٠ ، بنحوه وزاد نسبته إلى أحمد ، ولم أجده ، وأورده في الكنز ٦/ ٢٩٤ ، بنحوه وعزاه إلى البيهقي ، ولم أجده .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (بذر) ١/ ٢٩٧ ، والمحيط في اللغة ١٠/ ٧٤ ، واللسان ١/ ٢٣٧ .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ٧٣ ، بنصه من طرق عدة ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٤٤ ، بنحوه ، وتفسير الجصاص ٣/ ١٩٨ ، بنصه ، والثعلبي ٧/ ١٠٧ب ، بنصه ، والطوسي ٦/ ٤٦٩ ، بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٢٠ .

(٤) عثمان بن موسى بن باذان المكي ، مولى بني جُمَح ، ثقة ثبت ، روى عن مجاهد وعطاء ، وروى عنه الثوري وابن المبارك ، مات سنة ١٥٠هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٦/ ١٤٤ ، والكاشف ٢/ ٥ ، (٣٦٨٠) ، وتقريب التهذيب ٣٨٢ ، (٤٤٥١) .

(٥) بالتصغير ، هو الجبل المشرف على الصفا ، قال الأزرقي : وسمي أبا قبيس؛ لأن أول من بنى فيه رجلٌ يقال له : أبو قبيس ، هذا هو المشهور ، وقيل غير ذلك ، وهو أحد الأخشبين ، وكان يسمى في الجاهلية (الأمين) ، ويقال : إنما سمي الأمين؛ لأن الحجر الأسود كان فيه مستودعاً عام الطوفان .
انظر : أخبار مكة للأزرقي ٢/ ٢٦٦ ، ومعجم البلدان ١/ ٨٠ .

(٦) ورد في تفسير الطبري ١٥/ ٧٤ بمعناه ، والسمرقندي ٢/ ٢٦٦ ، بنحوه ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٩٣

٢٧. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ﴾؛ أي المنفقين في غير طاعة الله، قاله ابن عباس[١]، ﴿كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ قال: يريد أولياءهم، قال أبو إسحاق: أي يفعلون ما يُسَوِّل لهم الشيطان[٢].

وقال أهل المعاني: مؤاخاة الشيطان: موافقته في ما دعا إليه، وكل من أجاب الشيطان إلى ما سَوَّلَ له، فهو من إخوان الشياطين؛ [لأنه يتبع أثره ويجري على سنته[٣].

وقيل: معنى إخوان الشياطين][٤]: الذين يُقْرَنون به في النار[٥].

ثم ذم الشيطان بقوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾؛ ليرتدع المؤمن عن اتباعه في ما يدعو إليه، وفيه أيضاً إشارة إلى ذم المبذِّر؛ حيث أخبر أنه أخو الشيطان، ثم ذم الشيطان؛ فإنه كفور لربه، فهو يتضمن أن المنفق في السرف كفور لربه في ما أنعم عليه.

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ يريد جاحداً لأنعمه.

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ٧٣ـ٧٤، بنصه من طريق العوفي [ضعيفة]، ومن طريق عكرمة [جيدة]، وورد في تفسير الجصاص ٣/ ١٩٨، بنصه، انظر: تفسير أبي حيان ٦/ ٣٠.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٥، بنصه.

(٣) ورد بنحوه في تفسير الجصاص ٣/ ١٩٨، والطوسي ٦/ ٤٦٩.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د).

(٥) ورد بنصه في تفسير الجصاص ٣/ ١٩٨، والطوسي ٦/ ٤٦٩.

٢٨. قوله تعالى : ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ . قال [ابن][١] زيد : أي عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم[٢] ، ونحو هذا قال الزَّجَّاج ، فقال : هذه الهاء والميم ترجعان على القُربى والمساكين وابن السبيل[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ . قال الحسن وعكرمة : انتظار رزق من الله يأتيك[٤] .

قال الزَّجَّاج : وهو نصب؛ لأنه مفعول له ، المعنى : وإن أعرضت عنهم لابتغاء رحمة من ربك[٥] ، لا يحتمل أن يكون سبباً لإعراضه على ظاهر اللفظ إلا أنْ يُرَدَّ إلى معناه الباطن ، ومعناه الباطن أن يكون قوله : ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ ، قد أومئ به إلى الإضاقة والإعسار؛ لأن معناه : رجاء صنيع الله وكفايته ، وفيه إشارة إلى الإضاقة ، فيكون المعنى أن تُعرض عن السائل إضاقة وإعساراً .

وذكر الكلبي وغيره : «أن النبي ﷺ كان إذا سأله فقراء أصحابه فلا يجد ما يعطيهم ، أعرض عنهم حياءً منهم ويسكت ، فعلمه الله كيف يصنع ، فقال : ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾»[٦] .

وقال الزَّجَّاج : يُروى أن النبي ﷺ كان إذا سُئل وليس عنده ما يعطي أمسك انتظار الرزق يأتي من الله ؛ كأنه يكره الرَّدَّ ، فلما نزلت هذه الآية : كان إذا سئل

---

(١) التصويب من الطبري ، وفي النسخ جميعها : (زيد) .
(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ٧٥ ، بنصه .
(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٥ ، بنصه .
(٤) أخرجه الطبري ٨/ ٧٠ ، بنصه عن عكرمة .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٥ ، بنصه .
(٦) وورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢١٤أ .

ولم يكن عنده ما يعطي قال : «يرزقنا الله وإياكم من فضله»[١][٢] ، فذلك قوله : ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ ، قال ابن زيد : قولاً جميلاً؛ رزقك الله وبارك الله فيك[٣] .

وقال الكلبي : عِدْهم عِدَةً حسنة[٤] ، وهو قول الفرَّاء ومجاهد[٥] .

وأما الميسور فقال الكسائي : يَسَرْتُ أَيْسِرُ له القول؛ أي لَيَّنْتُه[٦] .

وقال أبو الدُّقيش[٧] : يَسَّرَ فلانٌ فرسه فهو مَيْسُور؛ مصنوعٌ سمين[٨] ، فالقول الميسور : هو القول المصنوع اللين السهل .

٢٩. قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ الآية . روى المنهال بن عمرو قال : بعثت امرأة إلى رسول الله ﷺ ابنها فقالت : قل له : اكسني ثوباً ، فقال رسول الله ﷺ «ما عندي شيء» ، قالت : فارجع إليه ، وقل له : اكسني قميصك ، قال : فأتاه فقال : إنها تقول : اكسني قميصك ، قال : فنزع قميصه فأعطاه إياه ، فنزلت هذه الآية .[٩] .

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ، مجمع البحرين ٦/ ١٩٧ ، بنحوه عن علي ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٧ب بنصه ، والقرطبي ١٠/ ٢٤٩ ، وابن عطية ٩/ ٦٢ ، وأورده الهيثمي في المجمع ٩/ ١٣ ، وقال : وفيه محمد بن كثير الكوفي ، وهو ضعيف . فالحديث ضعيف .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٥ ، بنصه .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ٧٥ـ٧٦ ، بنصه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٢٩ ، والدر المنثور ٤/ ٣٢١ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٤) ورد عن ابن عباس والحسن ، كما في تفسير ابن الجوزي ٥/ ٢٩ ، وتنوير المقباس ٢٩٩ ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٦ بنصه ، والطوسي ٦/ ٤٧٠ ، بنحوه .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٢ ، بنصه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٢٩ ، عن مجاهد .

(٦) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٩٤ .

(٧) أبو الدُّقيش القنانيِّ الغنويِّ ، لم أجد له ترجمة ، وذكره القفطي في إنباه الرواة ٤/ ١٢١ ، ولم يترجم له .

(٨) ورد في تهذيب اللغة (يسر) ٤/ ٣٩٨٠ بنصه ، ويعني بالصناعة هنا الاجتهاد في تغذيته وتربيته ، وفي المحيط في اللغة (صنع) ١/ ٣٣٧ : يقال : صنعت الفرس : أحسنت القيام عليه .

(٩) وردبنحوه في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٦ ، والثعلبي ٧/ ١٠٧ب ، وأورده المؤلف في أسباب النزول ٢٨٧ ، =

قال أهل اللغة : معنى الغل : الإدخال[١] ، قال امرؤ القيس :

لهـــا مُقْلـــةٌ حَـــدْرَةٌ بَـــدْرَةٌ إلى حـــاجبٍ غُلَّ فـــيه الـشُّفُرْ[٢]

أي عورٌ وأدخل فيه الشُّـفُر[٣] ، ومنه قولهم : غَلَّ في الغنيمة إذا خان؛ لأن ما خان شيئاً أو سرقه أدخله في كُمِّه ، ومعنى غُلَّتْ يدُ فلان؛ أي أدخلت في الحديد ، ولعل هذا مما سبق ذكره[٤] .

قـــال ابن عباس والمفسرون في قولـــه : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ يريد البخل ومنع حق الله في الزكاة والصلة[٥] .

= بنحوه من طريق ابن مسـعود ، وأورده السـيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٢٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وأورده بنحوه كذلك ، وعزاه إلى ابن جرير من طريق ابن مسعود ، ولم أجده ، وأورده في لباب النقول ١٣٦ ، بنحوه من طريق ابن مسعود وعزاه إلى ابن مردويه . وهذه الرواية مقطوعة؛ لأن المنهال لم يحفظ له سـماع عن الصحابة ، إنما روايته عن كبار التابعين ، كما في الميزان ، كما أن إسـناد هذا الحديث ـ من طريق ابن مسعود ـ ضعيف ، بسبب ضعف سـليمان بن سفيان الجهني ، وقيس بن الربيع الأسدي . انظر : الضعفاء للبخاري ، رقم (٣٠١) ، وللنسـائي رقـم (٢٤٦) ، (٤٩٩) ، والضعفاء والمتروكين للدارقطني ، رقم ٢٥٤ ، وميزان الاعتدال ٢/ ٢٠٩ ، ٣/ ٣٩٣ .

(١) انظر : تهذيب اللغة (غلل) ٣/ ٢٦٩٠ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٣٧٦ ، والصحاح ٥/ ١٧٨٤ ، واللسـان ٦/ ٣٢٨٨ .

(٢) ورد في الديوان ٧٢ برواية أخرى ليس فيها الشاهد ، وهي :

وعَـينٌ لهـــا حَـــدْرَةٌ بَـــدْرَةٌ شُـــقَّـــت مـآقـيـهـا مـــنْ أُخُـــرْ

وورد ـ بلا نسبة ـ في مقاييس اللغة ٤/ ٣٧٦ ، برواية :

وعـينٌ لهـــا حَـــدْرةٌ بَـــدْرَةٌ إلى حـاجـبٍ غُـــلَّ فـيـهِ الـشُّـفُـرُ

وورد عجزه ـ بلا نسبة ـ في مجمل اللغة ٢/ ٦٧٩ ، (حدْرة) : واسعة ، (بدْرة) : تامَّة ، ومنه قيل : ليلة البدر لتمام قمرها ، المأقي : مؤخر العينين ، (أُخر) : آخرهما ، (الشُّـفُر) بالضم : شُفْر العين ، وهو ما نبت عليه الشعر .

(٣) في النسخ جميعها : (الشعر) ، والصواب ما أثبته ، ويبدو أنها تصحفت على النساخ .

(٤) عند قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران :١٦١] .

(٥) أخرجـه الطبري ١٥/ ٧٧ مختصراً ، من طريق ابن أبي طلحـة صحيح ، والدر المنثور ٤/ ٣٢٢ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

والمعنى : لا تمسك يدك عن البذل كل الإمساك ، حتى كأنها مقبوضة إلى عنقك بالغل لا تُبْسَط لخير .

قال صاحب النظم : لا تكاد العرب تقول : جعلت يدي مغلولة ، ولا جعلت رجلي مقيدة ، ولا جعلت رأسي معمَّماً ، إنما يقولون : غَلَلتُ يدي ، وقَيَّدتُ رجلي ، وعَمَّمتُ رأسي ، والعلة في هذا النظم؛ أن الفعل أقل من النعت ، والنعت ألزم وأكثر من الفعل ، كما قلنا في قوله : ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه :١٢١]؛ لأنه قد كان منه ، ولا يجوز أن يقال : آدم عاصٍ غاوٍ؛ لأن هذا نعت لازم ، وكانوا يقولون : يد فلان مغلولة؛ أي إن المنع عادةٌ له ، ولا يكادون يقولون : غُلَّت يده؛ لأن هذا فعل غير لازم ، والأول لازم ، وقد يمنع الإنسان في مواضع المنع ولا يُرْجَع عليه بلوم ، فلذلك قال عز وجل : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾؛ أي لا تكن ممسكاً عن البذل عادة ، ولم يُرِدْ ألَّا يمسك عند وقت الإمساك ، يدل على ذلك قوله : ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ ، ومما يشبه هذا النظم ، قوله تعالى : ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [إبراهيم :٤٠] وقد مر ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان :٣٠] ، وسنذكره في موضعه إن شاء الله[١] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ . قال ابن عباس : يريد في النفقة والعطية[٢] .

---

(١) قال الواحدي عند تفسير هذه الآية : وذكر صاحب النظم وجهاً آخر من الهجر ، فقال : ويجوز أن يكون المهجور مصدراً ، كالهجر والهجير ، ويكون المعنى : اتخذوا هذا القرآن هُجراً؛ أي إذا سمعوه قالوا فيه الهجير ، وقالوا : إنه هجر ، كما يقال : اتخذنا فلاناً ضحكة أو سُخرة؛ أي إذا رأيناه ضحكنا منه وسخرنا منه ، وهذا النظم أبلغ من أن لو قيل : هجروا القرآن ، أو هجروا فيه؛ لأنه يدل على أنهم جعلوا عادتهم هجر القرآن .

(٢) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٦ ، بمعناه ، وتفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٣ ، بنصه ، انظر : تنوير المقباس ٢٩٩ ، بنصه .

وقال مجاهد وقتادة : يعني التبذير والإنفاق في معصية الله تعالى ، وفي ما لا يصلح[١] ، فحصل في قوله : ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ وجهان من التفسير؛ أحدهما : أنه نهي عن بذل جميع ما يملك ، حتى لا يبقى له شيء ، وإن كان في طاعة الله ، على ما ذكر من سبب النزول ، وفي معنى قول ابن عباس . والثاني : أنه نهي عن التبذير على قول مجاهد وقتادة .

وقوله تعالى : ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ . قال السدي : تلوم نفسك وتُلام[٢] ، ﴿مَّحْسُورًا﴾ . قال ابن عباس : ليس عندك شيء[٣] ، وقال مجاهد : مقطوعاً بك[٤] .

قال الفرَّاء : والعرب تقول للبعير : هو محسور إذا انقطع سَيْرُه ، وحَسرتُ الدَّابة إذا سَيَّرتَها حتى ينقطعَ سَيْرُها[٥] .

وقال ابن قتيبة أي تَحْسِرُكَ العطيةُ وتَقْطعك ، كما يَحْسِرُ السفرُ البعيرَ ، فيبقى منقطعاً[٦] ، هذا هو الأصل ، ثم يُقال : حَسَرْتُ الرجلَ بالمسألة حَسْرَةً : إذا أفنيتَ جميعَ ما عنده ، وحُسِرَ فهو يُحْسَرُ : إذا لم يبق عنده شيء ، من قولهم : حَسَرَتِ الدابةُ والعينُ[٧] ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك : ٤] .

---

(١) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٣ ، بنصه عن مجاهد ، انظر : تفسير ابن عطية ٩/ ٦٤ ، عن قتادة .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٣ ، بنصه .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ٧٧ بمعناه ، من طريق العوفي ضعيفة ، ورد في تفسيره الوسيط ، سيسي ٢/ ٤٩٣ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٢٢ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٤) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٤٦ ، بنحوه .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٢ ، بنصه .

(٦) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٥ ، بنصه .

(٧) ساقطة من (ع) .

وقال قتادة في قوله : ﴿مَّحْسُورًا﴾؛ [أي نادماً على ما سلف منك[١] ، فجعله من الحَسْرَة ، والفاعل من الحسرة يكون حَسْرَاً ، وحُسْرَان ، ولا يقال في الفاعل منه : محسور][٢] .

٣٠. قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ . قال المفسرون : يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء[٣] ، والقَدْرُ في اللغة : التضيق[٤] ، ومنه قوله : ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق :٧] ، وقوله : ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر :١٦]؛ أي ضَيَّقَ ، فمعنى الآية : أنه يُوَسِّعُ في الرزق ويُضَيِّقُ بحسب مصالح العباد ، كما قال : ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى :٢٧] ، وهو معنى قوله : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ ، حيث أجرى رزقهم على ما علم فيه صلاحهم .

وقال عطاء عن ابن عباس في هذه الآية : يريد لو أردت أن أبسط[٥] عليك الرزق وأجعل جبال الدنيا لك ذهباً وفضة لفعلت ، ولم أجعل لك الدنيا لكرامتك علي جعلت لك الآخرة .

٣١. وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ . سبق تفسير هذه الآية في أواخر سورة الأنعام[٦] .

---

(١) أخرجه بنحوه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٧ ، والطبري ١٥/ ٧٧ ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٤٦ مختصراً ، والثعلبي ٧/ ١٠٨أ ، بنحوه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٩ ، والقرطبي ١٠/ ٢٥١ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٣) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢١٤ب ، والطبري ١٥/ ٧٨ ، والسمرقندي ٢/ ٢٦٧ ، والثعلبي ٧/ ١٠٨أ ، والطوسي ٦/ ٤٧١ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (قدر) ٣/ ٢٨٩٧ ، واللسان ٦/ ٣٥٤٧ ، والتاج ١٧/ ٣٧٣ .

(٥) في (أ) : (أسبط) .

(٦) آية [١٥١] .

وقولـه تعالى : ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ . قال أبو إسـحاق : معناه : إثماً كبيراً[١] ، يقال : خَطِئ يُخْطِـئ خِطْئاً ، مثل : أَثِمَ يَأْثَمُ إثماً ، قال الله تعالى[٢] : ﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف :٩٧]؛ أي آثمين ، وقال : ﴿لَا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة :٣٧] .

وقرأ ابن عامر : (خَطَأً) بالفتح[٣] ، وهو اسم من أخطأ ، يقال : أخطأ يُخْطِئُ ، إِخْطَاءً وخِطَاءً ، إذا لم يصب عن غير تعمد[٤] ، وقد يكون الخطأ الاسم من هذا لا المصـدر ، ويكون المعنى على هذه القراءة : إن قتلهم كان على غير الصواب ، هذا قول أبي إسحاق في معنى هذه القراءة[٥] .

وقال أبو علي : قد جاء أخطأ بمعنـى خَطِئ؛ أي أثم ، كما جاء خَطِئ بمعنى أخطـأ ، إذا لم يصب الصـواب؛ فمـن الأول قولـه : ﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة :٢٨٦] بمعنى خَطِئْنَا؛ لأن المؤاخذة عن المخطئ موضوع ، وأنشد[٦] :

عبـادُك يُخْطِئُـونَ وأنتَ ربٌّ كـريمٌ لا تَـليقُ بـك الـذمـومُ[٧]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٦ بلفظه .

(٢) لعل الأولى أن يقول : قال الله تعالى ، عن إخوة يوسف؛ حتى لا يوهم معنى غير مقصود .

(٣) أي بفتح الخاء والطاء وبالهمز من غير مدٍّ : (خَطَأً) . انظر : السـبعة ٣٧٩ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٧٠ ، وعلل القراءات ١/ ٣٢٠ ، والحجة للقراء ٥/ ٩٦ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٨ .

(٤) يقول ابن دريد : الخطأ مقصور مهموز : يقال : خَطِئَ الشيءَ يخطَأ خَطاءً وخطاءً : إذا أراده فلم يُصبْه ، ويكـون أيضاً خَطِئ الرجلُ ، إذا تعمَّد الخَطَأ ، وأخطأ يُخطـئ إخطاءً : إذا لم يتعمَّد الخَطَأ فهو مخطئ ، والأول خاطـئ ، ومنه قتل الخَطَـأ؛ لأنه لم يُرِدْ قتله . جمهرة اللغـة ٢/ ١٠٥٤ ، وانظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١١ ، ومعـاني القرآن للنحاس ٤/ ١٤٧ ، وتهذيب اللغة (خطئ) ١/ ١٠٦٠ ، وشرح الهداية ٢/ ٣٨٦ ، والعباب الزاخر : أ/ ٥٠ ، واللسـان (خطـأ) ٢/ ١٢٠٥ ، وتاج العروس (خطأ) ١/ ١٤٥ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٦ بتصرف يسير .

(٦) لأمية بن أبي الصلت ، جاهلي من أهل الطائف ، قدم على النبي ﷺ وسمع منه ، ولم يسلم .

(٧) ديوانه ٤٨١ ، برواية :

بِكَفَّيْكَ الـمَنَايَا والحُتُومُ =

ومن الثاني قول امرئ القيس :

يا ويحَ هِنْدٍ إذْ خَطِئنَ كاهِلاً[١]

وإذا كان أخطأ بمعنى خَطِئ كان خَطَــأً بمعنى خِطْأً[٢] ، فيكون معنى قراءة ابن عامر كمعنى قراءة العامة ، وقرأ ابن كثير : (خِطاءً) مكسور الخاء ممدوداً[٣] ، وهو مصدر خاطأ وإن لم يسمع خَاطَأ ، ولكن قد جاء ما يدل عليه ، وهو ما أنشده أبو عبيدة[٤] :

تَخَاطأتِ النَّبْلُ أحشاءَه[٥]

= وورد برواية الديوان في تهذيب إصلاح المنطق ٦٣٢ ، والمحتسَــب ٢/ ٢٠ ، وورد برواية المؤلف بلا نسـبة في تهذيب اللغة (خطئ) ١/ ١٠٦٠ ، وعلل القراءات ١/ ٣٢١ ، وتفسـير الطوسي ٦/ ٤٧٢ ، وتفسير ابن عطية ٩/ ٦٨ ، واللسان (خطأ) ٢/ ١٢٠٥ . وبرواية : «لا تَمُوتُ» ، بدل «الحتوم» في أدب الكاتب ٤٤٤ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٧٠ .

(١) وعجزه :

تاللهِ لا يذهبُ شيْخي باطلاً

ديوانــه ١٣٦ ، وفيه وفي المصادر جميعها : (لهــف) بدل (ويح) ، وورد في : معــاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١١ ، وإصــلاح المنطق ٢٩٤ ، وتهذيــب اللغة (خطئ) ١/ ١٠٦٠ ، وتهذيــب إصلاح المنطق ٦٣٢ ، والأســاس ١/ ٢٣٨ ، والعبــاب الزاخــر : أ/ ٥٠ ، والتاج : (خطــأ) ١/ ١٤٥ ، وورد غير منســوب في تفســير الطبري ١٥/ ٧٩ ، والحجة للقراء ٢/ ١١٥ ،٥/ ٩٨ ، (ياهف) : ياحسرة هند ، وهي أخته وقيل : امرأة أبيه ، (خطئن) : أخطأن ولم يصبن؛ يعني : أن خيله التي أغار بها لم تصب بني كاهل ، وهم حي من بني أســد ، كان في من اشترك في قتلِ حُجْر والد امرئ القيس ، (شيخه) : أبوه ، (باطل) : هدر .

(٢) الحجة للقراء ٥/ ٩٧ ، بتصرف .

(٣) انظر : السبعة ٣٧٩ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٧٠ ، وعلل القراءات ١/ ٣٢٠ ، والحجة للقراء ٥/ ٩٦ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٨ .

(٤) البيت لأوْفَى بن مَطَر المازنيِّ ، جاهلي .

(٥) وعجزه :

وأُخرِّ يَومِي فلم يَعْجَلِ =

فتخاطأ يدلُّ على خَاطَأ؛ لأن تفاعل مطاوعُ فَاعَل ، كما أن تَفَعَّلَ مطاوع فَعَّل ، وهذا وجه بعيد ذكره أبو علي[١] ، والقراءة هي الأولى .

٣٣. قوله تعالى : [﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ . قال المفسرون[٢] : حقها الذي تُقْتل به : كفر بعد إسلام ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بتعمد ، ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾][٣]؛ أي بغير أحد هذه الخصال ، ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ يعني وارثه الذي بينه وبينه قرابة توجب له المطالبة بدمه ، فإن لم يكن له ولي فالسلطان وليه .

وقوله تعالى : ﴿سُلْطَٰنًا﴾ . قال ابن عباس : يريد حجة[٤] ، قال مجاهد : سلطانه : حجته التي جُعلت له أن يقتل قاتله[٥] .

= الدِّيباج لأبي عبيدة ٣٩ ، وورد في ذيل الأمالي للقالي ٣/ ٩١ ، والعباب الزاخر : أ/ ٥١ ، واللسان (خطأ) ٢/ ١٢٠٥ ، وورد غير منسوب في الحجة للقراء ٥/ ٩٧ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٤٧٢ ، وابن عطية ٩/ ٦٩ ، والقرطبي ١٠/ ٢٥٣ ، وأبي حيان ٦/ ٣٢ ، والدر المصون ٧/ ٣٤٧ .

(١) الحجة للقراء ٥/ ٩٧ ، بنصه تقريباً .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٥/ ٨٠ ، والسمرقندي ٢/ ٢٦٧ ، والثعلبي ٧/ ١٠٨أ . وقد أخذوا هذه الخصال الثلاث ـ الموجبة للقتل ـ من الحديث الصحيح : «لا يحل دمُ امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيبُ الزاني ، والنفسُ بالنفس ، والتاركُ لدينه المفارقُ للجماعة» . أخرجه البخاري (٦٤٨٤) ، كتاب : الديات ، باب قوله تعالى : ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ ، ومسلم (١٦٧٦) ، كتاب : القسامة ، باب : ما يباح به دم المسلم ، وأخرجه الطبري ١٥/ ٨٠ من طرق عدة .

(٣) ما بين المعقوفين معظمه مطموس في (ع) .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ٨١ ، بمعناه من طريق العوفي (ضعيفة) ، ورد في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٠ ، بلفظه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٣٢ .

(٥) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٤٩ ، بنصه ، ورد في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٠ ، بنحوه .

وقال الضحاك في قوله : ﴿سُلْطَٰنًا﴾ إن شاء قتل ، وإن شاء عفا ، وإن شاء أخذ الدِّية[١] .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ ، اختلفوا في معنى الإسراف هاهنا ، فقال ابن عباس : هو أن يقتل غير القاتل[٢] .

وقال مجاهد وسعيد بن جبير : هو أن يقتل بالواحد الاثنين والثلاثة[٣] .

قال طَلْقُ بن حَبِيب[٤] : هو أن يمثل بالقاتل[٥] .

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ٨١ ، بنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٤٩ ، بنصه ، وورد بنحوه في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٠ ، والماوردي ٣/ ٢٤٠ ، والطوسي ٦/ ٤٧٥ ، وورد بنصه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢١٤ب ، والسمرقندي ٢/ ٢٦٧ ، والثعلبي ٧/ ١٠٨أ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ٥/ ٩١ ، وابن الجوزي ٥/ ٣٣ ، والخازن ٣/ ١٦٣ ، وأبي حيان ٦/ ٣٣ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٢٧ وعزاه إلى ابن المنذر من طريق أبي صالح (ضعيفة) .

(٣) أخرجه عن سعيد عبدالرزاق ٢/ ٣٧٧ ، بمعناه ، وابن أبي شيبة ٥/ ٤٥٤ ، بنحوه ، والطبري ١٥/ ٨٢ ، بنحوه ، والبيهقي في السنن ، كتاب : الجنايات ، باب : إيجاب القصاص على القاتل دون غيره ٨/ ٢٥ ، بنحوه ، وورد بنحوه عن سعيد بن جبير في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٥٠ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٠٨ب ، والماوردي ٣/ ٢٤١ ، والدر المنثور ٤/ ٣٢٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) طلق بن حبيب العَنَزي ، الزاهد البصري من صلحاء التابعين ، ثقة لكنه كان يرى الإرجاء ، روى عن ابن عباس وجندب بن سفيان ، وروى عنه عمرو بن دينار وسليمان التيمي ، مات بعد التسعين . انظر : الجرح والتعديل ٤/ ٤٩٠ ، وميزان الاعتدال ٣/ ٥٩ ، والكاشف ١/ ٥١٥ ، وتقريب التهذيب ٢٨٣ ، (٣٠٤٠) .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ٥/ ٤٥٤ ، بنحوه ، والطبري ١٥/ ٨٢ ، بنحوه من طريقين ، والبيهقي في السنن ، كتاب : الجنايات ، باب : إيجاب القصاص على القاتل دون غيره ٨/ ٢٥ ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٥٠ ، وتفسير الجصاص ٣/ ٢٠١ ، والثعلبي ٧/ ١٠٨ب ، انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٢٥٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٢٦_٣٢٨ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

وقال الحسن وابن زيد : هو ألَّا يرضى بالقاتل إذا كان خسيساً فيعمد إلى أشرف قبيلة القاتل فيقتله ، كفعل أهل الجاهلية[١] ، وهذا معنى قول ابن عباس : هو أن يقتل غير القاتل ، والمعنى : فلا يسرف الوليُّ في القتل؛ أي لا يتجاوز ما حُدَّ له .

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾؛ أي إن الولي كان منصوراً بقتل قاتل وليه والاقتصاص منه ، وقد حكم الله تعالى بالسلطان والنصرة لولي المقتول ظلماً ، وقد روي عن زَهْدَم الجَرْمي[٢] عن ابن عباس : أنه قال : قلت لعلي بن أبي طالب : وأيم الله لَيَظْهَرنَّ عليكم ابنُ أبي سفيان؛ لأن الله يقول : ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾[٣] .

[وقال الحسن : والله ما نُصِرَ معاويةُ على علي إلا بقول الله : ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾][٤][٥] .

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ٨٣ ، بنحوه عنهما ، والبيهقي في السنن ، كتاب : الجنايات ، باب : إيجاب القصاص على القاتل دون غيره ٨/ ٢٥ ، بنحوه عن ابن زيد ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٨أ ، بنحوه عنهما ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٣٣ ، عن ابن زيد .

(٢) زَهْدَم بن مضرب أو مُضَرِّس ـ كما في التقريب ـ الجَرْمي ، أبو مسلم البصري ، ثقة ، روى عن ابن عباس وعمران بن حصين ، وروى عنه قتادة وأبو التياح .
انظر : الجرح والتعديل ٣/ ٦١٧ ، والكاشف ١/ ٤٠٦ ، وتقريب التهذيب (٢٠٣٩) .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢٠٣ ، بنصه ، وابن كثير ٣/ ٤٤ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٢٨ وعزاه إلى الطبراني وابن عساكر ، لم أقف عليه .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢٠٤ ، بنصه .

وروى العلاء[١] عن مجاهد في قوله : ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ . قال : المسرف : الذي قتل القتيل الأول[٢] ، فهو الذي أسرف في القتل ، وعلى هذا المنهي عن الإسراف القاتل الأول[٣] ، ويكون التقدير : فلا يُسرف القاتل في القتل ، وجاز أن يضمر وإن لم يجر له ذكر؛ لأن الحال تدل عليه ، ومعنى نهيه عن الإسراف : نهيه عن القتل؛ لأنه يكون بقتله مسرفاً ، ويكون الضمير على هذا في قوله : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ للمقتول المذكور في قوله : ﴿وَمَن قُتِلَ﴾ ، ويكون التقدير : فلا يُسرف القاتل -الذي يبتدئ- بالقتل؛ لأن من قُتل مظلوماً كان منصوراً؛ بأن يقتصَّ له وليُّه ، أو[٤] السلطان إن لم يكن له ولي ، وهذا الاقتصاص إنما هو للمقتول انتقل إلى الولي ، بدلالة أن المقتول لو أبرأ من السبب[٥] المؤدي إلى الهلاك؛ وهو الجراحة لم يكن للولي أن يقتص ، وتكون الآية على هذا ردعاً للقاتل عن القتل[٦] .

وقرأ حمزة والكسائي : (فَلا تُسْرِف) بالتاء[٧] ، وهذه القراءة تحتمل أيضاً وجهين؛ أحدهما : أن يكون الخطاب للمبتدئ؛ القاتل ظلماً ، قيل له : فلا تسرف

---

(١) العلاء بن عبدالكريم اليَامي ، أبو عَوْن الكوفي ، ثقة عابد ، سمع مجاهد ومرة الهمداني ، وروى عنه الثوري ووكيع ، توفي في حدود سنة ١٥٠هـ . انظر : التاريخ الكبير ٦/ ٥١٤ ، والجرح والتعديل ٦/ ٣٥٨ ، وتقريب التهذيب (٥٢٤٨) .

(٢) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٥١ ، بنحوه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٣٣ ، والقرطبي ١٠/ ٢٥٥ .

(٣) في هذا القول تكلُّف وبعد عن الظاهر؛ فالخطاب -حسب الظاهر- موجه إلى ولي المقتول وليس إلى القاتل ، وكيف يخاطب القاتل الأول ويقال له : لا تسرف في القتل؟! لذلك قال الألوسي : إن هذا الوجه غير وجيه فلا ينبغي التعويل عليه . انظر : تفسير الألوسي ١٥/ ٧٠ .

(٤) في (ب) و(ع) : (و) .

(٥) في النسخ جميعها : (النسب) ، وبالمثبت يستقيم الكلام .

(٦) ورد في الحجة للقراء ٥/ ٩٩ ، ١٠٠ ، بتصرف .

(٧) انظر : السبعة ٣٨٠ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٧٢ ، وعلل القراءات ١/ ٣٢٢ ، والحجة للقراء ٥/ ٩٩ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٨ .

أيها الإنسان ، فتقتل ظلماً [من ليس][١] لك قتله؛ إن من قتل مظلوماً كان منصوراً بأخذ القصاص له .

والآخر : أن يكون الخطاب للولي ، فيكون التقدير : لا تسرف في القتل أيها الولي فتتعدى قاتل وَلِيِّك إلى من لم يقتله ، إن المقتول ظلماً كان منصوراً ، وكل واحد من المقتول ظلماً ومن ولي المقتول قد تقدم ذكره في قوله : ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾[٢] .

وقال أبو إسحاق في قوله : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾؛ أي إن المقتول إذا قتل بغير حق فهو منصور في الدنيا والآخرة؛ فأما نصرته في الدنيا فقتل قاتله ، وأما في الآخرة فإجزال الثواب له وتعذيب قاتله في النار[٣] .

٣٤. قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ . قال الكلبي : يعني بالقيام عليه وأن يُثَمِّر مالَ اليتيم بالأرباح[٤] .

وقال ابن زيد : يعني الأكل بالمعروف؛ أن تأكل معه إذا احتجت إليه ، كان أُبَيٌّ يقول ذلك[٥] .

وروى مجاهد عن ابن عباس قال : إن احتاج أكل بالمعروف ، [فإذا أَيْسَر قضاه ، فإن لم يوسر فلا شيء عليه[٦] .

---

(١) هذه إضافة يقتضيها السياق ليستقيم الكلام ، وهي ثابتة في المصدر .

(٢) ورد الوجهان في الحجة للقراء ٥/ ١٠٠ ، بنصه تقريباً .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٨ ، بتصرف يسير لكنه مهم؛ إذ غير عبارة الزَّجَّاج : «ويخلَّد قاتله النار» إلى : «وتعذيب قاتله في النار» ، هرباً من قول الوعيدية .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٢٩٩ ، بنحوه ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٨ .

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ٨٤ ، بنصه .

(٦) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢٠٤ ، بنصه .

وروى الحكم عن إبراهيم قال : يأكل بالمعروف][1] وإن أتى على آخره[2] .

وقال قتادة : هذه الآية كانت جَهْداً عليهم؛ لا يخالطوهم ، ثم أنزل الله : ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [البقرة :٢٢٠] ، فرُخِّص لهم أن يخالطوهم[3] .

فمعنى ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ : الحالة التي هي أحسن؛ وهو الكف عنه ، وتثميره في قول بعضهم ، وفي قول آخرين : الأكل بالمعروف عند الحاجة إليه ، على ما ذكرنا ، وهذه الآية ذكرنا تفسيرها في أواخر سورة الأنعام[4] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ . قال أهل المعاني : كل عقد يُقَدَّم للتوثق من الأمر فهو عهد[5] ، فدخل في قوله : ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ كُلُّ عقد من العقود بين المسلمين ، كعقد النكاح وعقد الشركة وعقد البيع وعقد اليمين وعقد الصلح بين المسلمين والمشركين ، وكل هذا مما يجب حفظه والوفاء به وترك الخيانة فيه .

وقال أبو إسحاق : كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد[6] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ ذكر صاحب النظم وغيره في هذا وجهين[7]؛ أحدهما : أن المعنى : كان مسؤولاً عنه بالجزاء ، فحذف الصلة ، كقوله : ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل :٥٠]؛ أي يؤمرون به ، وكقوله : ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل :٦٠]؛ أي يعدلون بالله .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ٨٤ ، بنحوه من طريقين .

(٤) آية [١٥٢] .

(٥) ورد نحوه في تفسير الطوسي ٦/ ٤٧٦ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٨ ، بمعناه .

(٧) ورد بنحوه في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٣ ، والماوردي ٣/ ٢٤٢ ، والطوسي ٦/ ٤٧٧ ، وانظر : الفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٧٤ ، وتفسير الألوسي ١٥/ ٧١ .

والثاني : أن العهد يُســأل ، فيقال : لم[١] نُقِضت ، تبكيتاً للناقض ، كما تُسأل الموؤودة تبكيتاً لوائدها وإنكاراً عليه ، كما جاء قوله : ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي﴾ الآية [المائدة :١١٦] والمخاطبة لعيسى[٢] والإنكار على غيره .

٣٥. وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾؛ أي أتموه ولا تبخسوا منه ، ﴿وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ قال الحسن : هو القَبَّان[٣] ، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء[٤] .

وقال مجاهد : هو العدل ، بالرومية[٥] .

وقال الليث : هو أقوم الموازين[٦] .

---

(١) في (أ) و(د) : (لهم) ، والمثبت من (ش) و(ع) . وهو الصحيح المنسجم مع السياق .

(٢) في (أ) و(د) : (بعيسى) ، والمثبت من (ش) و(ع) . وهو الصحيح .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ٨٥ ، بلفظه ، وورد في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٣ ، بلفظه ، والثعلبي ٧/ ١٠٨ب ، بلفظه ، والماوردي ٣/ ٢٤٢ ، والطوسي ٦/ ٤٧٦ ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٨ . القَبَّان : الذي يوزن به ، وهو عربيٌّ أو معرب . انظر : تهذيب اللغة (قبن) ٣/ ٢٨٨٠ ، واللسان ٦/ ٣٥٢٣ .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٧ ، بلفظه .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ٦/ ١٢٢ ، بنصه ، والطبري ١٥/ ٨٥ ، بنصه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٥٤ ، بنحوه ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٠٨ب ، بنصه ، والماوردي ٣/ ٢٤٢ ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٤٧٦ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٢٨ وزاد نسبته إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم . واختُلف في أصل كلمة القسطاس : فقال الفخر الرازي ٢٠/ ٢٠٦ : وقيل إنه بلسان الروم أو السرياني ، والأصح أنه لغة العرب ، وهو مأخوذ من القسط ، وهو الذي يحصل فيه الاستقامة والاعتدال ، وبالجملة فمعناه المعتدل الذي لا يميل إلى أحد الجانبين ، وقال الألوسي ١٥/ ٧٢ : وعلى القول بأنه رومي معرب وهو الصحيح ، لا يقدح استعماله في القرآن في عربيته المذكورة في قوله : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف :٢]؛ لأنه بعد التعريب والسماع في فصيح الكلام يصير عربيًّا ، فلا حاجة إلى إنكار تعريبه أو ادعاء التغليب أو أن المراد عربي الأسلوب .

(٦) انظر : تفسير الألوسي ١٥/ ٧٢ .

وقال أبو إسحاق : هو ميزان العدل؛ أيُّ ميزان كان من موازين الدراهم وغيرها[١] .

[ذكر أبو[٢] علي جواز[٣] اللغتين فيه؛ ضم القاف[٤] وكسرها[٥] ، وهذا كقوله : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن :٩] ، وكقوله : ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ﴾ [هود :٨٥] ، وقوله : ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [هود :٨٤] ، وقوله : ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ﴾ الآية[٦] [المطففين :٢] .

وقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ . قال عطاء : يريد أقرب إلى الله[٧] ، وقال قتادة : يقول : خيرٌ ثواباً ، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ قال : وأحسن عاقبة في الخير[٨] ، المعنى : أحسن ما يؤول إليه أمر صاحب الوفاء .

٣٦. قوله تعالى :﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ الآية . تقف من قوله : قفوت أثر فلان ، أَقْفُو قَفْواً[٩] وقُفُوّاً ، إذا اتَّبَعْتَ أثره ، وسُمِّيت قافية الشِّعْر قافية؛ لأنها تَقْفو البَيْت ، ثم يُثَقَّل قَفَّاً بالتشديد ، فيصير واقعاً

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٨ ، بنصه .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق .

(٣) في (ش) و(ع) : (جواب) .

(٤) أي (القُسْطاس) قرأ بها : ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر . انظر : السبعة ٣٨٠ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٨ ، وحجة القراءات ٤٠٢ ، والتيسير ١٤٠ ، والنشر ٢/ ٣٠٧ .

(٥) أي (القِسْطاس) قرأ بها : حمزة والكسائي وحفص عن عاصم . انظر : المصادر السابقة .

(٦) الحجة للقراء ٥/ ١٠١ ، بنحوه .

(٧) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٧ .

(٨) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٨ ، بنحوه ، والطبري ١٥/ ٨٥ ، بنحوه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٥٥ ، بنحوه ، انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٤٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٢٩ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٩) ساقطة من (أ) و(د) .

كقولـــه : ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ [الحديد :٢٧] ، هذا معنى القفو في اللغة[١] .

قال الكلبـــي عن أبي صالح عن ابن عباس في هذه الآية : لا تقل ما ليس لك به علم[٢] ، وقال مجاهد : لا تَرْمِ[٣] .

وقال قتادة : لا تقل : ســـمعت ، ولم تسمع ، ورأيت ، ولم تَرَ ، وعلمت ، ولم تعلمْ[٤] .

وقال الحســـن : لا تكذب على فؤادك ، تقول : علمـــت ما لم تعلم ، ولا على ســـمعك ، تقول : ســـمعت ما لم تســـمع ، ولا على بصرك ، تقول : أبصرت ما لم تبصر[٥] .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : لا تشـــهد إلا بما رأته عيناك وسمعته أذناك ووعاه قلبـــك ، ونحو هذا القـــول روي عن ابن الحنفية أنه قـــال : هذه الآية في شهادة الزور[٦] ، هذا جملة ما ذكره المفسرون في هذه الآية ، وحقيقة تأويله ما قاله

---

(١) انظر : تهذيب اللغـــة (قفو) و(قفا) ٣/ ٣٠١٣ ، والمحيط في اللغـــة ٦/ ٣٨ ، والصحاح ٦/ ٢٤٦٦ ، واللسان ٦/ ٣٧٠٨ .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ٨٦ ، مختصراً من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٥٥ ، بنصه ، انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٤٥ ، والدر المنثور ٤/ ٣٢٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ٨٦ بلفظه من طريقين ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٥٥ ، وتهذيب اللغة (قفا) ٣/ ٣٠١٥ ، وتفســـير الثعلبي ٧/ ١٠٨ب ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٩٢ ، واللسان (قفا) ٦/ ٣٧٠٨ .

(٤) أخرجـــه بنصه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٨ ، والطبري ١٥/ ٨٦ من طريقين ، وورد بنصه في تفســـير الثعلبي ٧/ ١٠٨ب ، والمـــاوردي ٣/ ٢٤٣ ، والطوسي ٦/ ٤٧٧ ، وأورده الســـيوطي في الدر ٤/ ٣٢٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) أخرجه الطـــبري ١٥/ ٨٦ ، بنصه ، وورد بنصه في معاني القـــرآن للنحاس ٤/ ١٥٥ ، وتهذيب اللغة =

الزَّجَّاج : لا تقولنَّ في شيء بما لا تعلم ، والتأويل لا تُتْبِعَنْ لسانَك من القول ما ليس لك به علم[١] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ﴾ إلى آخرها . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يسأل الله العباد في ما استعملوها[٢] ، وفي هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل ، والاستماع إلى ما يحرم ، وإرادة ما لا يجوز .

قال صاحب النظم : هذه أحساس هذه الأعضاء التي هي : أذن وعين وقلب؛ فالسمع حس الأذن ، والبصر حس العين ، والفؤاد حس القلب .

وقوله تعالى : ﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ . قال أبو إسحاق : كل جمع أَشَرْتَ إليه من الناس وغيرهم من الموات ، فلفظه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾[٣] ، ونحو هذا قال الأخفش[٤] ، وأنشد لجرير :

ذُمَّ المنازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللِّوَى والْعَيْشَ بَعْدَ أُولئِكَ الأَيامِ[٥]

أشار بأولئك إلى الأيام ، وكذلك أُشير في هذه الآية بأولئك إلى البصر والسمع والفؤاد .

= (قفا) ٣/ ٣٠١٥ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٠٨ب ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٣٥ ، والدر المنثور ٤/ ٣٢٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٩ ، باختصار .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٧ ، بنصه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٩ ، بنصه .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٢ ، بنحوه .

(٥) ديوانه ٤٥٢ وفيه : (الأقوام) بدل (الأيام) ، ولا شاهد في هذه الرواية ، وورد بهذه الرواية في معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٠ ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٤٤ ، وابن الجوزي ٥/ ٣٥ ، وورد بلا نسبة في تفسير الطبري ١٥/ ٨٧ ، والثعلبي ٧/ ١٠٨ب ، والطوسي ٦/ ٤٧٨ ، وابن عطية ٩/ ٨٦ ، اللِّوى : اسم وادٍ من أودية بني سُلَيْم . المحيط في اللغة (لوى) ١٠/ ٣٧١ .

وقوله تعالى : ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ عادت الكناية إلى لفظ (كان) لا إلى معناه .

٣٧. وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ ، المَرَحُ : شدة الفَرَحِ ، يقال : مَرِحَ يَمْرَحُ مَرَحاً ، وهو مَرِحٌ مَرُوحٌ[١] ، قال ابن عباس : يريد بالكبرياء والعظمة .

وقال عبدالله بن مسلم أي بالكبر والفخر[٢] .

وقال الزَّجَّاج : تأويل الآية : لا تَمْشِ في الأرض مختالاً ولا فخوراً[٣] ، قال الأخفش : ولو قُرئ مرِحاً بالكسر كان أحسن في القراءة[٤] .

قال أبو إسحاق : مَرِحاً اسمُ الفاعل ، ومَرَحاً مصدر ، وكلاهما في الجودة سواء ، غير أن المصدر أَوْكَدُ في الاستعمال ، تقول : جاء زيد رَكْضاً وراكضاً ، فركضاً أَوْكَدُ؛ لأنه يدل على توكيد الفعل[٥] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (مرح) ٤/ ٣٣٧١ ، والمحيط في اللغة ٣/ ٩٦ ، ومجمل اللغة ٢/ ٨٢٩ ، واللسان ٧/ ٤١٧٠ .

(٢) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٦ ، بنصه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٠ ، بنصه .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٢ ، بنحوه ، وخالفه الطبري ، فقال : وقيل : ولا تمش مرَحاً ، ولم يقل : مرِحاً؛ لأنه لم يُرِدْ بالكلام : لا تكن مرحاً ، فيجعله من نعت الماشي ، وإنما أريد لا تمرح في الأرض مرَحاً ، ففسَّر المعنى المراد من قوله : ﴿وَلَا تَمْشِ﴾ تفسير الطبري ١٥/ ٨٨ ، وانظر : كلام الزَّجَّاج بعده ، فقد تضمن الردَّ عليه أيضاً .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٠ ، بتصرف يسير .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ﴾ . الخرق معناه في اللغة كالشق ، يقال : خرق الثوب إذا شَقَّه ، وخرق الأرض إذا قطعها حتى بلغ أقصاها[١] .

قال ابن عباس : يريد ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ : بِكِبْرِك ومشيك عليها ، ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ : بعظمتك ، وإنما أنت مخلوق عبد ذليل[٢] .

قال الزَّجَّاج : والتأويل : إن قدرتك لن تبلغ هذا المبلغ فيكون لك[٣] وُصْلَة إلى الاختيال[٤] ، وهذا[٥] الذي ذكره موافق لتفسير ابن عباس ، والمعنى : إنك عبد لا تقدر أن تنقص الأرض حتى تبلغ آخرها ، ولا أن تُطَاول الجبال ، فمن أين تستحق الكبر والفخر؟!

قال ابن قتيبة : يريد أنه ليس ينبغي للعاجز[٦] أن يَبْذَخَ[٧] ويستكبر[٨] ، ومعنى خَرْق الأرض في هذه الآية : نَقْبُها لا قطعها بالمسافة ، وذُكِرَ في هذه الآية معنى آخر ، قال قتادة : لا تمش كِبراً ولا فَخراً ، فإن ذلك لا يبلغ بك أن تبلغ الجبال ، ولا أن تخرق الأرض بكبرك وفخرك[٩] ، ومعنى هذا أن مشي المرح يكون

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (خرق) ١/ ١٠١٥ ، والمحيط في اللغة ٤/ ١٩٣ ، واللسان ٢/ ١١٤١ .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٨ ، بنصه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٣٦ ، والقرطبي ١٠/ ٢٦١ ، بلا نسبة .

(٣) في المصدر : (ذلك) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٠ ، بنصه .

(٥) ساقط من (د) .

(٦) هذه الكلمة أصح مما في المصدر ، وهي : (للفاجر) ، ولعل ما في المصدر تصحيف .

(٧) البَذْخُ : الكبر ، وتبذَّخ : تطاول وتكبَّر وفَخَر وعلا ، والباذخ : العالي ، وشرف باذخٌ : عال ، والبواذخ من الجبال : الشوامخُ . انظر : المحيط في اللغة (بذخ) ٤/ ٣٢١ ، والصحاح ١/ ٤١٨ ، واللسان ٣١/ ٢٣٦ .

(٨) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٦ ، بنصه تقريباً .

(٩) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٨ ، بنصه ، والطبري ١٥/ ٨٨ ، بنصه تقريباً ، أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٣٠ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

على ضربين : مَشيٌ باختيال على الأرض وتؤدة؛ بجر قدمه على الأرض كأنه يريد أن يخرقها ، ومَشيٌ يتطاول في السماء بذخاً ، فنهى الله تعالى في هذه الآية عنهما ، وأخبر أنه لا يبلغ مما يريد كبير مبلغ ، وإلى هذا أشار مجاهد ، فقال في قوله : ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ قال : الذي يمشي على عقبه ، ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ قال : الذي يمشي على صدور قدميه[١] .

٣٨. قوله تعالى : ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ . أشار إلى جميع ما تقدم ذكره مما أمر به ونهى عنه من قوله : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إلى قوله : ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ يصلح للواحد والجميع ، والمؤنث والمذكر ، على ما ذكرنا في مواضع .

وقوله تعالى : ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ قُرئ بالإضافة[٢] والتنوين[٣] ، قال أبو إسحاق : والإضافة أحسن[٤]؛ لأن في ما جرى من الآيات سيئاً وحسناً ، فسيئُهُ بلا تنوين أحسن[٥] ، ويؤكد ما ذكره أبو إسحاق : ما روي أن الحسن كان يقرأ بالإضافة ، ويقول قد ذَكَرَ أموراً قَبلُ؛ منها حسن ومنها سيئ ، فقال : ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ لأن ما ذُكر الحَسَنُ ، والسَّيِّئُ من المذكور المكروه ، ويقوِّي ذلك قوله : ﴿مَكْرُوهًا﴾

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) أي ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ مضافاً مذكراً ، قرأ بها : عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي . انظر : السبعة ٣٨٠ ، وعلل القراءات ١/ ٣٢٣ ، والحجة للقراء ٥/ ١٠٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٨ ، وتلخيص العبارات ١١٣ .

(٣) أي (سَيِّئَةً) منوناً مؤنثاً ، قرأ بها : ابن كثير ونافع وأبو عمرو . انظر : المصادر السابقة .

(٤) هذا مما يؤخذ على النحويين من المفاضلة بين القراءات ، مع أن كليهما سبعية متواترة .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٠ ، بنصه تقريباً .

والتذكير فيه ، ولو كان (سَيِّئَةً) غير مضاف لزم أن يكون مكروهةً ، سيِّما وقد تقدم ذِكْرُ المؤنث ، ألا ترى أن قوله[١] :

ولا أرضَ[٢] أبْقَلَ إبْقَالَها[٣]

مستقبح[٤] عندهم ، ولو قال : أبقل الأرض ، لم يُستقبح ، فليس ما تقدَّم ذكره مما أُنِّث بمنزلة ما لم يتقدم ذِكْره؛ لأن المتقدم الذكر ينبغي أن يكون الراجعُ وَفْقَه ، كما يكون وَفْقَه في التثنية والجمع[٥] .

وأما من قرأ بالتنوين ، فقال أبو إسحاق : جعل كلاً إحاطة بالمنهي عنه قَطْ ، المعنى : كل ما نهى الله عنه كان سيئةً[٦] ، ومعنى هذا أن من قرأ بالتنوين رأى الكلام انقطع عند قوله : ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ، وكان الذي بعدُ ، من قوله :

---

(١) البيت لعامر بن جُوَيْن الطائي (جاهلي) .

(٢) في النسخ جميعها : (والأرض) ، والتصويب من المصادر .

(٣) وصدره :

فلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها

وهو من شواهد سيبويه في الكتاب ٢/ ٤٦ ، وورد في شرح المفصل ٥/ ٩٤ ، واللسان (بقل) ١/ ٣٢٨ ، وورد غير منسوب في الخصائص ٢/ ٤١١ ، والمحتسَب ٢/ ١١٢ ، والحجة للقراء ٤/ ٢٣٨ ، وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٤٢ـ٢٤٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٦٣ ، والخزانة ١/ ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٧/ ٤٣٧ .

(مزْنة) : واحد المزن ، وهو السحاب يحمل الماء ، (الودق) : المطر ، (أبقل) : أخرج البقل ، وهو من النبات ما ليس بشجر؛ وهو الذي لا تبق له أُرُومة على الشتاء بعدما يُرعى .

والشاعر يصف أرضاً مخصبة بكثرة ما نزل بها من الغيث ، والشاهد : حذف علامة التأنيث مع إسناد الفعل إلى ضمير المؤنث ، على تأويل أن الأرض مكان ، فكأنه قال : ولا مكان أبقل إبقالها ، والمكان مذكر .

(٤) هكذا في النسخ جميعها ، وفي الحجة للقراء ٥/ ١٠٢ مستقيم ، وهو خطأ أو تصحيف .

(٥) الحجة للقراء ٥/ ١٠٢ ، بتصرف واختصار يسير .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤١ ، بنصه .

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ لا أمراً حسناً فيه ، فقال : ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ فأفرد ولم يضف ، وعلى هذه القراءة قوله : ﴿مَكْرُوهًا﴾ ليس بنعت للسيئة ، وإنما هو بدل منها ، على تقدير : كان سَيِّئَةً وكان مكروهاً .

٣٩. قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾ يعني ما تقدم ذِكْره ، ﴿مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ ، قال ابن عباس : يريد من الفرائض والسُّنَن[١] .

وقال المفسرون : يعني من القرآن ومواعظه[٢] .

وقال أهل المعاني : الحكمة هاهنا الدلائل التي تؤدي إلى المعرفة بالحَسَن من القبيح ، والواجب مما لا يجب[٣] ، وذلك يعرف بإخبار الله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلْ﴾ إلى آخر الآية . قال ابن عباس : هذا أدب من الله لخلقه ، ومخاطبة للمؤمنين ، يعني أن هذا خطاب لكل واحد من المؤمنين ، كأنه قيل : ولا تجعل أيها الإنسان مع الله إلهاً آخر ، وذكرنا معنى الملوم والمدحور في هذه السورة [آية ١٨ و٢٩] .

٤٠. قوله تعالى : ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ . يقال : أصفاه بالشيء؛ أي آثره به ، ويقال للضِّياع التي يستخلصها السلطان لخاصَّته : الصَّوافي[٤] .

قال أبو عبيدة في قوله : ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ : خَصَّكم[٥] .

---

(١) ورد بلا نسبة في الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٩ ، وتفسير ابن الجوزي ٥/ ٣٧ .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ٩٠ ، بلفظه عن ابن زيد ، ورد عند الثعلبي ٧/ ١٠٩أ بنصه .

(٣) ورد نحوه في تفسير الطوسي ٦/ ٤٧٩ .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (صفا) ٢/ ٢٠٢٢ ، بنحوه ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢١٥ ، واللسان (صفا) ٤/ ٢٤٦٨ .

(٥) مجاز القرآن ١/ ٣٨٠ ، بنحوه .

وقال المفضل : أخلصكم[١] . وقال أبو إسحاق : كانت الكفرة من العرب تزعم أن الملائكة بنات الله ، فَوُبِّخُوا ، وقيل لهم : ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم﴾؛ أي اختار لكم ربكم صفوة البنين[٢] .

وقال النحويون : هذه الألف ألف إنكار على صيغة السؤال عن مذهبٍ ظاهرِ العَوار لا جواب لصاحبه ، إلا بما فيه أعظم الفضيحة[٣] ، فإن قيل ما معنى ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ مع أن لهم بنات؟ قيل : معناه : أَخَلَصَ لكم البنين دونه ، وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه ، فاختصكم بالأَجَلِّ ، وجعل لنفسه الأدون؟!

٤١. قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ معنى التَّصْرِيف في اللغة : صَرْفُ الشيء من جهة إلى جهة ، نحو تَصْرِيف الرِّيَاحِ ، وتصريف الأمور والآيات[٤] ، قال أبو إسحاق : ﴿صَرَّفْنَا﴾؛ أي بينا[٥] ، وهو قول ابن عباس[٦] ، والأصل ما ذكرنا ، ثم يصير بمعنى التَّبْيِين؛ لأن تصريفه إنما هو لِيَتَبَيَّن ، ومفعول التصريف محذوف .

قال صاحب النظم : تأويله : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ بما أوجب تصريفه ، كما قال في موضع آخر : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾

---

(١) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٩ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٣٧ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٢١٥ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤١ ، بنصه تقريباً .

(٣) ورد نحوه في تفسير الطوسي ٦/ ٤٨٠ ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢١٥ بنصه ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٧٨ ، والدر المصون ٧/ ٣٥٨ .

(٤) انظر : المحيط في اللغة (صرف) ٨/ ١٢٨ ، والعباب الزاخر : ف/ ٣٤٩ ، واللسان ٤/ ٢٤٣٤ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤١ ، بلفظه .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٣٠٠ ، وورد بلا نسبة في تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢١٦ ، والقرطبي ١٠/ ٢٦٤ .

[الكهف :٥٤] قال : وفيه وجه آخر ، وهو أن تكون (في) زائدة ، كما في موضع آخر : ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ [الأحقاف :١٥]؛ أي أصلح لي ذريتي[١] .

وقال أبو علي أي صَرَّفنا ضروبَ القولِ فيه؛ من الأمثال وغيرها مما يوجب الاعتبار به والتفكر فيه ، كما قال : ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾[٢] الآية [القصص :٥١] ، فعند أبي علي تقدير الآية : ولقد صَرَّفنا القول[٣] في هذا القرآن .

قوله تعالى : ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ . قال ابن عباس : يريد ليتعظوا[٤] ، والأصل ليتذكروا ، فأدغمت التاء في الذال لقرب مخرجيهما ، هذا قراءة العامة[٥] ، وقرأ حمزة والكسائي : لِيَذْكُرُوا[٦] من الذكر ، والتَّذَكُّرُ هاهنا أشبه[٧] من الذكر؛ لأنه كأنَّ يُرادُ به التَّدَبُّر وليس التذكر الذي بعد النسيان ، ولكن كما قال : ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص :٢٩]؛ أي ليتدبروه بعقولهم ، وليس المراد ليتذكروه بعد نسيانهم ، ويدل على هذا ، أن التذكر قد لا يكون من النسيان ، كقوله[٨] :

تَذَكَّرَ مِنْ أَنَّى ومِنْ أَيْنَ شِرْبُهُ يُؤَامِرُ نَفْسَيْهِ كَذِي الهَجْمَةِ الأَبِلْ[٩]

---

(١) وقد رد هذا القول أبو حيان ، وقال : وهذا ضعيف لأن (في) لا تزاد . تفسير أبي حيان ٦/ ٣٩ .

(٢) الحجة للقراء ٥/ ١٠٤ ، مختصراً .

(٣) ساقط من (أ) و(د) .

(٤) ورد بلفظه بلا نسبة في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٩ ، والثعلبي ٧/ ١٠٩أ ، والخازن ٣/ ١٦٥ .

(٥) انظر : السبعة ٣٨٠ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٧٤ ، والحجة للقراء ٥/ ١٠٤ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٩ ، والتبصرة ١٤٠ ، وتلخيص العبارات ١١٣ .

(٦) انظر : المصادر السابقة .

(٧) أي أولى .

(٨) للكميت بن زيد ، المتوفى ١٢٦هـ .

(٩) ديوانه ١/ ٣٩٦ ، وورد في الحجة للقراء ١/ ٣١٧ ، واللسان (أبل) ١/ ١٠ ، والشاعر يذكر حماراً أراد وروود الماء ، (يؤامر نفسيه) : المؤامرة هي المشاورة ، والمعنى : يشاور نفسه متردداً بين ورود الماء أو تركه ، فكأنه يشاور نفسين؛ إحداهما تريد الورود ، والأخرى تأباه . (الهجمة) : الهجمةُ من الإبل : ما بين التسعين إلى المائة ، وجمعها هَجَمَاتٌ وهِجَامٌ ، (أبِل) : قال الأصمعي : أَبِلَ الرجُل يأبل أبالةً ، إذا =

يعني تَدَبَّر في ذلك وتفَكَّر من أين يشرب ، وأمَّا [مَنْ][1] قرأ بالتخفيف ، فإن التخفيف قد جاء بهذا المعنى ، كقوله : ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ﴾ [البقرة :٦٣] هذا ليس على لا تنسوه ولكن تَدَّبروه[2] ، ويجوز أن يكون المراد ذكر اللسان ، والمعنى : صَرَّفنا في هذا القرآن ليذكروه ، وإذا كان الكلام مُصَرَّفاً فيه على أنواع ، كان أقرب من الذكر وأبعد من السأمة .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ . قال ابن عباس : يريد ينفرون من الحق ويتبعون الباطل[3] ، قال أبو علي أي ما يزيدهم تصريف الآيات إلا نفوراً[4] ، أضمر الفاعل بدلالة ما تقدم عليه ، كقوله : ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر :٤٢]؛ أي مجيء النذير .

قال أهل المعاني : إنما زادهم نفوراً؛ لأنهم اعتقدوا أنها شُبِّه وحِيَل ، فنفروا منها أشد النفور لهذا الاعتقاد الفاسد ، ومنعهم ذلك من التَدبُّر لها ، وإدراك منزلتها في عظم الفائدة وجلالة المنزلة[5] .

= حَذق مصْلحة الإبل والشاء ، والأبُلُ والآبلُ : الحاذق برعْية الإبل الرفيقُ بسياستها ، انظر : تهذيب اللغة (أبل) ١/ ١٠٩ ، والمحيط في اللغة (هجم) ٣/ ٣٨٥ ، (أمر) ١٠/ ٢٨٤ ، (أبل) ١٠/ ٣٥٠ ، واللسان (أبل) ١/ ٩ .

(١) زيادة يقتضيها السياق ، ولعلها سقطت .

(٢) في النسخ جميعها : (تذكروه) ، وهو تصحيف ولا يؤدي المعنى المستشهد له ، وما أثبته هو الصواب ويؤيده ورودها في الحجة للقراء ٥/ ١٠٤ ، وهو مصدره .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٣٨ ، بنصه .

(٤) الحجة للقراء ٥/ ١٠٥ ، بتصرف يسير .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٩أ ، بنحوه مختصراً ، والطوسي ٦/ ٤٨٠ بنصه تقريباً .

وقال أبو علي : هذا على أنهم ازدادوا نفوراً عند تفصيل الآي لهم؛ [لا][١] لأن تصريف الآي نَفَّرهم[٢]؛ ولكنهم لما ازدادوا نفوراً عند تصريف الآي نُسب ذلك إليه على الاتساع ، كما قال : ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر :٤٢] ، والمعنى : ازدادوا هم نفوراً عند مجيئه ، فَنُسب ذلك إلى مجيء النذير .

٤٢. قوله تعالى : ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ . وقرأ ابن كثير بالياء[٣] والمعنى : كما يقول المشركون من إثبات الآلهة من دونه ، فهو مثل قوله : (قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَيُغلَبُونَ وَيُحشَرُونَ)[٤]؛ لأنهم غيب[٥] .

وقوله تعالى : ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ ذكر المفسرون في هذا قولين؛ قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد منازعة وقتالاً؛ كما يفعل ملوك[٦] الدنيا[٧] .

وقال سعيد بن جبير : لأزالوا ملكه[٨] .

---

(١) إضافة من المصدر ليستقيم الكلام ، ومن دونها يضطرب المعنى .

(٢) الحجة للقراء ٥/ ١٠٥ ، بنصه .

(٣) وكذلك قرأ حفص عن عاصم بالياء ، وقرأ الباقون بالتاء (كَمَا تَقُولُونَ) ، انظر : السبعة ٣٨١ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٧٥ ، وعلل القراءات ١/ ٣٢٣ ، والحجة للقراء ٥/ ١٠٦ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٩ .

(٤) [آل عمران :١٢] قرأ حمزة والكسائي بالياء . انظر : السبعة ٢٠٢ ، وعلل القراءات ١/ ١٠٦ ، والمبسوط في القراءات ١٤٠ .

(٥) ورد في الحجة للقراء ٥/ ١٠٦ ، بنصه تقريباً .

(٦) (أ) و(د) : (مملوك) .

(٧) انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٢٦٥ .

(٨) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٥٩ ، بنحوه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٣٨ ، والقرطبي ١٠/ ٢٦٥ .

وقال أبو بكر الهذلي : إذاً لابتغت الآلهــة أن تزيل مُلك صاحب العرش[١] ، والمعنى على هذا القول : إذاً لابتغوا ســبيلاً إلى ممانعتــه ومضادته ومعاداته ، كما قال : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء :٢٢] .

القول الثاني : ما ذهب إليه الســدي وقتادة ، قال السدي : إذاً لابتغت الآلهة الحوائج من الله[٢] ، وقــال قتادة : لابتغوا التقرب إليــه ، وعرفوا فضله ومرتبته ومنزلته عليهم[٣] ، والمعنى على هذا القول : لابتغوا ما يقربهم إليه لِعُلُوِّه إليهم[٤] وعِظَمِــه عندهم ، وهذا كقولــه : ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل :١٩] ، والأول هو قول الحسن والكلبي[٥] .

---

(١) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٩ب .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) أخرجــه ـبنحوه مختصراًـ عبدالرزاق ٢/ ٣٧٨ ، والطــبري ١٥/ ٩٢ ، من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٥٩ بمعناه ، وتفســير الســمرقندي ٢/ ٢٦٩ بمعناه ، والثعلبي ٧/ ١٠٩ب ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٤٨١ بمعناه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٩٥ ، والقرطبي ١٠/ ٢٦٦ .

(٤) الأصوب عليهم؛ لأنه هو الأظهر في المعنى ، وقد جاءت في تفسير الطوسي ٦/ ٤٨١ : (عليهم) .

(٥) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٨١ ، بنحوه عن الحسن ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٣٨ ، عن الحسن . وقد رجح هذا القول الخازن والألوسي ، والشــنقيطي وقال : ولا شــك أن المعنى الظاهر المتبادر من الآية بحســب اللغة العربية هــو القول الأول؛ لأن في الآية فرض المحــال ؛ والمحال المفروض الذي هو وجود آلهة مع الله مُشَــاركة له لا يظهر معه أنها تتقرب إليه ، بل تنازعه لو كانت موجودة ، ولكنها معدومة مستحيلة الوجود .
انظر : تفسير الخازن ٣/ ١٦٥ ، والألوسي ١٥/ ٨٢ ، والشنقيطي ٣/ ٥٩٤ .

٤٤. قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ الآية. في هذه الآية مذهبان:

أحدهما: أن المراد بالتسبيح هاهنا حقيقة التسبيح، فعلى هذا السموات السبع والأرضون تسبح لله تسبيحاً حقيقيًّا، ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾: من الملائكة والجن والإنس، والمراد بهذا التخصيص؛ لأن الشياطين وعبدة الأصنام لا يسبحون لله تسبيحاً حقيقيًّا.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾. قال عكرمة: كل شيء حي[1]، ونحوه قال الحسن والضحاك: كل شيء فيه الروح[2]، وقال قتادة: يعني الحيوانات والنَّامِيات[3]، وقال بعضهم: هذا عام في كل شيء، وكل ما خلق الله فهو يسبح بحمده، وأن صَرِيرَ السَّقْفِ وصَرِيرَ البَابِ من التسبيح لله[4]، ولكل شيء تسبيح لا نفقه نحن ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ٩٢، بنحوه، وورد بمعناه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٥٩، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٠٩ب، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٣٣ وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ٩٢ بنصه عنهما، وأبو الشيخ في العظمة ٥٢٣ بنصه عن الضحاك، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٩ب بنصه، والماوردي ٣/ ٢٤٥ ـ بمعناه، والطوسي ٦/ ٤٨٣ ـ بمعناه، انظر: تفسير ابن الجوزي ٥/ ٣٩، عنهما، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٣٣ وعزاه إلى أبي الشيخ عن الحسن، ولم أجده.

(٣) أخرجه بمعناه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٩، والطبري ١٥/ ٩٣، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٠، بمعناه، والثعلبي ٧/ ١٠٩ب بنصه، انظر: تفسير البغوي ٥/ ٩٦.
والنَّامِيات: جمع نَام، والنَّامِي: مثل النبات والشجر ونحوه؛ أي كل ما ينمو ويكبر، ويقابله الصامت، كالحجر والجبل ونحوه. انظر: المحيط في اللغة (نمي) و(نمو) ١٠/ ٤١٧، واللسان ٨/ ٤٥٥٢.

(٤) وهو قول النخعي، كما في البغوي وغيره، وورد بنحوه في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٢، وتفسير الطوسي ٦/ ٤٨٣، وانظر: تفسير البغوي ٥/ ٩٦ بلفظ: صرير الباب ونقيض السقف، وابن الجوزي ٥/ ٣٩، والقرطبي ١٠/ ٢٦٨.

المذهب الثاني : أن المراد بالتسبيح هاهنا : الدلالة على أن الله -عز وجل- خالقٌ حكيمٌ مُبَرَّأٌ من الأَسْوَاءِ[١] ، فالمخلوقون والمخلوقات كلها تدل على أن الله -عز وجل- خالقها ، كما قال في قوله : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾؛ أي يخشع له ويخضع[٢] ، وقد ذكرنا هذا المعنى مستقصى عند ذكر سجود الجمادات في آيات قد مضت في هذا المعنى[٣] ، وعلى هذا قوله : ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ﴾ مخاطبة للكفار؛ لأنهم لا يستدلون ولا يعتبرون .

٤٥. قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ في هذه قولان؛ أحدهما : أن هذه نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله إذا قرأ القرآن ، قال الكلبي : وهم أبو سفيان ، والنضر بن الحارث ، وأبو جهل ، وأم جميل بنت حرب بن أمية؛ امرأة أبي لهب ، وحويطب ، حجب الله رسوله عن أبصارهم عند قراءة القرآن ، فكانوا يأتونه ويمرون به ولا يرونه[٤] .

---

(١) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٢ ، بنحوه ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٠٩ب ، بنصه .

(٢) والقول الأول هو الراجح ، لموافقته لظاهر القرآن ، وتأييد السنة له ، فقد أسمع الله نبيه ﷺ وصحابته تسبيح الجمادات ، فعن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال : إنكم تعدون الآيات عذاباً ، وإنا كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ بركة ، لقد كنا نأكل الطعام مع النبي ﷺ ونحن نسمع تسبيح الطعام . . . . أخرجه مالك في الموطأ : [التمهيد] ١/ ٢١٩ ، والترمذي (٤٦٣٣) ، كتاب : المناقب ، باب : آيات إثبات نبوة النبي ﷺ واللفظ له ، وقال : حسن صحيح ، وذكره الألباني في صحيح الترمذي (٤٦٣٣) ، وانظر : أمثلة أخرى في هذا الباب في الشفا ١/ ٥٨٨ .
وقد رجح هذا القول كثير من العلماء ، منهم : القرطبي ١٠/ ٢٦٨ ، والخازن ٣/ ١٦٦ ، وابن كثير ٣/ ٤٨ والألوسي ١٥/ ٨٤ ، وغيرهم .

(٣) سورة الرعد : آية [١٥] ، وسورة النحل : آية [٤٩] .

(٤) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٤١ بنصه ، وأبي حيان ٦/ ٤١ ، بنحوه ، والقرطبي ١٠/ ٢٧١ -بلا نسبة ، وورد بلا نسبة ومن دون ذكر المؤذين للنبيِّ ﷺ في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٠أ ، والماوردي ٣/ ٢٤٦ ، والطوسي ٦/ ٤٨٣ ، وابن الجوزي ٥/ ٤١ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٢٢٠ . وأورد بعضُ المفسرين عند هذه الآية حادثة أم جميل مع النبي ﷺ التي شهدها أبو بكر ، وحجب الله رسوله عنها لـمَّا جاءت تريد إيذاءه ، قال أبو بكر رضي الله عنه : وقرأ قرآناً اعتصم به منها ، وهو هذه الآية . وهذا الخبر لا يعد من قبيل أسباب النزول عند أهل الفن ، بل ولا هو من صيغه ، أما قول الواحدي وغيره : =

وقوله تعالى : ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ . قال الأخفش : أراد : ساتراً ، والفاعل قد يكون في لفظ المفعول ، كما تقول : إنك لمَشْؤوم علينا ومَيْمُون ، وإنما هو شَائِم ويَامِن؛ لأنه من قولهم : شَأَمَهُم ويَمَنَهم ، والحجابُ هاهنا هو الساتر ، فقال : ﴿مَّسْتُورًا﴾[1] ، وهذا نادرٌ أن يكون الفاعل في لفظ المفعول[2] ، هذا قوله ، وتابعه على هذا كثير من أهل اللغة[3] .

= نزلت في قوم . . . . فأيضاً لا يمكن عدُّه سبباً في النزول؛ لعدم تحقق شروط قبوله ، وهي :
١ .أن يثبت عن صحابي بإسناد صحيح ، فيكون له حكم الرفع .
٢ .إن ثبت عن تابعي فهو مرسل ، ويشترط لقبوله صحة الإسناد ، وأن يكون صريحاً ، ويرد من طريقين عن أئمة التفسير ، مثل مجاهد وعكرمة .
ويؤيِّد ردَّه أن الرواية وردت عن الكلبي ، وهو مُضَعَّفٌ عند العلماء ، ودليل آخر أن الواحدي نفسه لم يوردها في أسباب نزوله ، وكما قال ابن عطية : الآية إخبار من الله لنبيِّه أنه يحميه من الكفرة الذين كانوا يؤذونه ، في وقت قراءته القرآن وصلاته في المسجد . فلا يلزم إذاً أن يكون للآية سببُ نزول خاص . انظر : تفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٠ ، والثعلبي ٧/ ١١٠أ ، و البغوي ٥/ ٩٧ ، وابن عطية ٩/ ٩٨ ، وأبي حيان ٦/ ٤٢ ، وابن كثير ٣/ ٤٩ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٣٦ـ٣٣٧ ، وعزاه إلى أبي يعلى وابن أبي حاتم وصححه وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً في الدلائل ، والإتقان ١/ ٩٠ـ٩١ ، والتحبير ٨٦ ، ومباحث في علوم القرآن ٨٣ .

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٣ ، بتصرف يسير .

(٢) هذه الجملة ليست في معانيه ، والظاهر أن الواحدي أراد تلخيص قوله؛ لأنه يفهم من قد هذا ، ولأنه قال بعده : هذا قوله ، لا أنه تقرير قاعدة .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٢ ، وجمهرة اللغة ١/ ٢٦٣ ، وتهذيب اللغة (ستر) ٤/ ١٦٢٥ ، والإملاء ٢/ ٩٢ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٩١ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٧٩ .
ولم يرتض ابن عطية هذا التأويل وعدَّه تَكَلُّفاً من غير حاجة داعية إليه ، وقال : وليس مثاله بمُسَلَّم ، وكذلك رده السمين ، وقال : هو على بابه كما حققناه . انظر : تفسير ابن عطية ٩/ ٩٩ ، وعمدة الحفاظ ٢/ ١٤ ، ١٩٦ .

وقال آخرون : ﴿مَّسْتُورًا﴾ هاهنا مفعول ، والمعنى أنه حجابٌ مستورٌ لا يُبْصَر[١] ، وإنما كان قُدْرةً من قُدرِ الله تعالى وأُخْذَةً من أُخَذِه[٢] حجبَ النبي ﷺ بحجاب[٣] يحجبه عنهم ، بحيث لا يرى النبي ﷺ ذلك الحجابَ ولا المشركون ، حكى هذا صاحب النظم ، وهو حسن .

وقال الزَّجَّاجي : يجوز أن يكون المستور هاهنا بمعنى النسب ، كما تقول في الفاعل في مثل : لابِن وتَامِر[٤][٥] ، وتأويله : حجابٌ ذو سِتْرٍ ، كقولهم : جاريةٌ مَغْنُوْجة[٦]؛ أي ذات غُنْجٍ ، ولا يقال : غَنَجْتُها ، ومكان مَهُول : فيه هَوْل ، ولا يقال : هُلْتُ المكان؛ جعلت فيه الهَوْل؛ ورجلٌ مَرْطُوب : ذو رُطوبة ، ولا يقال : رَطَبْتُه[٧] .

القول الثاني : أن معنى الحجاب هاهنا : الطبع الذي على قلوبهم ، والمنع الذي منعهم عن أن يدركوا ما يأتي به من الحكمة في القرآن فينتفعوا به ، وهذا

---

(١) ورد بنحوه في تفسير الطبري ١٥/ ٩٣ ، والثعلبي ٧/ ١١٠أ ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٩٧ ، والزمخشري ٢/ ٣٦٣ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٨٠ وهذا القول هو الذي مال إليه الطبري ـ ولم يرد الأول ـ فقال : وهذا القول الثاني أظهر بمعنى الكلام؛ أن يكون المستور هو الحجاب ، فيكون معناه : أن لله ستراً عن أبصار الناس فلا تدركه أبصارهم ، وإن كان للقول الأول وجه مفهوم .

(٢) الأُخْذةُ بالضم : رُقية تأخذُ العين ونحوها كالسحر ، ويقال بعينه أُخُذٌ : وهو الذي لا يقدر صاحبه على النظر . انظر : المنتخب من غريب كلام العرب ٢/ ٤٨٢ ، واللسان (أخذ) ١/ ٣٦ ، والتاج (أخذ) ٥/ ٣٤٦ .

(٣) في النسخ جميعها : (حجاب) ، ولا معنى لها ، وما أثبته هو الصواب وبه يستقيم الكلام .

(٤) أي ذو لبن ، وذو تمر .

(٥) لم أقف على مصدره ، وورد نحوه بلا نسبة في البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٩١ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٧٩ ، وتفسير أبي حيان ٦/ ٤٢ ، والدر المصون ٧/ ٣٦٢ .

(٦) الغُنْجُ : الدَّلُّ ، والغنج في الجارية : تكسُّرٌ وتدلُّلٌ ، وقيل : الغنج : ملاحةُ العينين . انظر : اللسان (غنج) ٦/ ٣٣٠٥ .

(٧) وردت هذه الأمثله في تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢٢٢ ، وأبي حيان ٦/ ٤٢ ، والدر المصون ٧/ ٣٦٢ .

قول قتادة ، قال : هو الأكنة[١] ، وعلى هـذا قوله : ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ﴾؛ أي بين قولك وقراءتك وفهم ما تأتي به ، ﴿وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ ، وهو ما لا يرونه ولا يعلمونه من الطبع على قلوبهم ، وإن شئت قلت : حجاباً ساتراً ، على ما ذكرنا .

٤٦. قوله تعالى : ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ جمع كنان ، وهو ما ستر الشيء[٢] ، قال ابن عباس : يريد مثل كنانة النبل[٣] .

وقوله تعالى : ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾؛ أي كراهية أن يفقهوه ، وألَّا يفقهوه ، وقد ذكرنا هذا في مواضع ، كقوله : ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء :١٧٦] ، ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ : ثقلاً وصمماً ، وفيه إضمار حذف لدلالة الكلام عليه ، وهو : أن يسمعوه ، ودلَّ عليه قوله : ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ ، وهذا صريح في الرد على القدرية؛ إذ أخبر تعالى أنه حال بين قلوبهم وبين فهم القرآن؛ بما جعل عليها من الأكنة بين آذانهم وبين استماع الوحي استماعاً ينتفعون به ، بما جعل فيها من الوَقْر ، وهذه الآية مما سبق تفسيره في سورة الأنعام[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ . قال المفسرون : يعني قلت : لا إله إلا الله ، وأنت تتلو القرآن[٥] .

---

(١) أخرجه بلفظه : عبدالرزاق ٢/ ٣٧٩ ، والطبري ١٥/ ٩٣ ، وورد بلفظه في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٠ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٩٧ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٠ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (كنن) ٤/ ٣١٩٦ ، والمحيط في اللغة ٦/ ١٤٤ ، والصحاح ٦/ ٢١٨٨ ، واللسان ٧/ ٣٩٤٢ .

(٣) ورد غير منسوب في تفسير ابن عطية ٩/ ٩٩ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٢٢٢ .

(٤) آية [٢٥] .

(٥) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢١٥أ ، بنحوه ، والطبري ١٥/ ٩٤ ، بنصه ، والسمرقندي ٢/ ٢٧١ ، بنحوه ، وهود الهواري ٢/ ٤٢٢ ، بنحوه ، والثعلبي ٧/ ١١٠ب ، بنصه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٩٧ ، وابن الجوزي ٥/ ٤١ .

﴿وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ . قال ابن عباس : يريد : كارهين أن يُوَحَّدَ[١] الله[٢] .

وقال قتادة : إن النبي ﷺ لما قال : لا إله إلا الله ، أنكر ذلك المشركون وكبر عليهم[٣] .

وقال أبو إسحاق في قوله : ﴿نُفُورًا﴾ يحتمل مذهَبَيْن؛ أحدهما : المصدر ، المعنى : وَلَّوْا نافرين نُفُوراً ، والثاني : أن يكون (نفوراً) جمع نافر مثل شاهد وشهود[٤] .

٤٧. قوله تعالى : ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ الآية . قال المفسرون : أمر رسولُ الله ﷺ عليًّا -رضي الله عنه- أن يتخذ طعاماً ويدعو إليه أشراف قريش من المشركين ففعل ذلك علي ، ودخل عليهم رسول الله ﷺ وقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى التوحيد ، وقال : «قولوا : لا إله إلا الله ، لتطيعكم العرب وتدين لكم العجم ، فأبوا ذلك عليه»[٥] .

---

(١) في الوسيط : يُوحِّدوا؛ أي هم الكارهون ، وعلى رواية البسيط : الضمير عام يعود عليهم وعلى غيرهم .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٠٤ ، بنصه تقريباً .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ٩٤ ، بنحوه ، انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٤٩ ، وورد بنحوه بلا نسبة في تفسير هود الهواري ٢/ ٤٢٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٣ ، بتصرف يسير .

(٥) في النسخ جميعها : (عليهم) ، والصواب ما أثبته؛ لأن الضمير يعود على الرسول ﷺ .

وكانوا يسمعون من النبي ﷺ، ويقولون بينهم متناجين: هو ساحرٌ، وهو مسحور، وما أشبه ذلك من القول[١]، فأخبر الله نبيه -عليه السلام- بذلك، وأنزل عليه: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾[٢] يحتمل أن تكون التاء زائدة.

والمعنى: نحن أعلم بما يسمعون إذ يسمعون إليك، وأنت تقرأ القرآن وتدعوهم إلى الإسلام، أخبر الله تعالى أنه عالمٌ بتلك الحالة، وبذلك الذي كانوا يسمعونه إذ يستمعون إلى الرسول.

---

(١) ورد هذا المقطع في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٣، بنصه.

(٢) ورد بنحوه مختصراً -ومن دون ذكر قول النبي ﷺ في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٠ب، وورد بنصه، ومن دون قول النبي ﷺ، في الوسيط، تحقيق سيسي ٢/ ٥٠٥، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٥/ ٤٢، والفخر الرازي ٢٠/ ٢٢٣ بنصه، والقرطبي ١٠/ ٢٧٢، ولم أقف على أثر، في كتب أسباب النزول ولا في كتب التفسير المتقدمة المتداولة -غير الثعلبي- بأن الآية نزلت في هذه الحادثة، والمعلوم أن إثبات سبب نزول آية ما يفتقر إلى دليل صحيح. وورد نحوٌ من هذه الحادثة -وفيها قول النبي ﷺ في سبب نزول صدر سورة (ص)؛ جاء في السيرة أن أشراف قريش جاؤوا أبا طالب في شأن النبي ﷺ فبعث إليه أبو طالب، فجاءه فقال: يا ابن أخي، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك، فقال رسول الله ﷺ: «يا عمُّ، كلمةٌ واحدةٌ يُعْطُونيها تملكون بها العرب وتدِينُ لكم بها العجم»، فقال أبو جهل: نعمْ وأبيك وعَشْر كلمات، قال: تقولون: لا إله إلا الله، فنفروا وقالوا ما حكاه القرآن: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥]، فأنزل الله صدر سورة (ص). ورواية الطبري فقال أبو طالب: وإلام تدعوهم؟ قال: أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدينُ لهم بها العربُ ويملكون بها العجم. وفي رواية أحمد والترمذي والبيهقي: «تدين لهم بها العربُ وتؤدي إليهم بها العجمُ الجزيةَ». قال الترمذي: هذا حديث حسن، وصححه أحمد شاكر، ورواية الحاكم والواحدي في أسباب النزول: تَذِلُّ، بدل: تدين. قال الحاكم: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. انظر: سيرة النبي لابن هشام ٢/ ٢٧، والمسند ١/ ٢٢٧، ٣٦٢، وسنن الترمذي (٣٢٣٢)، تفسير سورة ص، وتفسير الطبري: ط. شاكر ١٠/ ٥٥٣، والمستدرك ٢/ ١٠٨، ودلائل البيهقي ٢/ ٣٤٥، وأسباب النزول ٣٨٠، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٠، وشرح المسند ٢/ ٣١٤، وكل الروايات جاءت عن ابن عباس ما عدا رواية الطبري فهي عن السدِّي.

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ . قال ابن عباس : يريد يتناجون بينهم بالتكذيب والاستهزاء[١] قال أبو عبيدة :

نجوى مصدر ناجيت[٢] ، وذكرنا هذا الحرف عند قوله : ﴿خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ [يوسف :٨٠] . قال أبو إسحاق : النجوى اسم المصدر ، والمعنى : وإذ هم ذَوُو[٣] نجوى[٤]؛ أي يتناجون ويُسَارُّ[٥] بعضهم بعضاً .

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ، قالوا : يعني الوليد بن المغيرة ، والنضر بن الحارث ، وأبا جهل وحويطباً ، وقرناءهم من المشركين[٦] .

﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ : ما تتبعون ، ﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ ، كلام المفسرين في هذه الآية يدل على أنهم قالوا هذا القول في ما بينهم مُسَارِّين ، فأطلع الله نبيه على ذلك ، وعلى هذا يحتاج إلى تقدير محذوف في الآية؛ لأن هؤلاء لم يتبعوا رسول الله ﷺ فيصحَّ أن يقال لهم : ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ ، ولكن التقدير : إذ يقول الظالمون ، إذا تبعتموه لم تتبعوا إلا رجلاً مسحوراً ، وإن كان هذا القول منهم للمسلمين فهو ظاهر ولا يحتاجون إلى إضمار ، والمسحور[٧] : الذي قد سُحِرَ فاختلط عليه أمرُه ، وأُزيل عن حدِّ الاستواء ، هذا قول أكثر أهل اللغة[٨] .

---

(١) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٠٥ ، بنصه .

(٢) مجاز القرآن ١/ ٣٨١ ، بنصه .

(٣) في (ع) مطموسة ، وفي باقي النسخ : (ذوي) ، وهو خطأ نحوي ظاهر ، والمثبت موافق للمصدر .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٣ ، بتصرف يسير .

(٥) من الإسرار ، وهو : الكتم والإخفاء .

(٦) ورد بنحوه مختصراً في تفسير مقاتل ١/ ٢١٥ب ، والثعلبي ٧/ ١١٠ب ، والماوردي ٣/ ٢٣٧ .

(٧) في النسخ جميعها : (المستحق) ، والصواب ما أثبته .

(٨) ورد في تهذيب اللغة (سحر) ٢/ ١٦٤٠ ، بنحوه ، انظر : جمهرة اللغة (سحر) ١/ ٥١١ ، والمحيط في اللغة ٢/ ٤٧٩ ، ومجمل اللغة ١/ ٤٨٧ ، ومقاييس اللغة ٣/ ١٣٨ ، والصحاح ٢/ ٦٧٨ ، والمحكم ٣/ ١٣١ .

وقال ابن الأعرابي : المسحور : الذَّاهبُ العَقْلِ الـمُفْسد ، وأنشد[١] :

فقالتْ : يَمينُ اللهِ أفعَلُ إنَّني
رأيتُكَ مَسْحوراً يمينُكَ فاجرَهْ[٢]

قال : وطعامٌ مَسْحورٌ إذا أُفْسِـدَ عَمَلُه ، وأرضٌ مسحورة : أصابها من المطر أكثرُ مما ينبغي فأفْسَدَها[٣] . وقال أبو عبيدة : يريد بشراً ذا رِئَةٍ[٤] .

قال ابن قتيبة : ولست أدري ما الذي اضطره إلى هذا التفسير الـمُسْتَكْرَه ، وقد سبق التفسير من السلف بما لا استكراه فيه . قال مجاهد في قوله : ﴿رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾؛ أي مخدوعاً[٥]؛ لأن السحر حيلة وخديعة[٦] .

وروى عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿مَّسْحُورًا﴾ . قال : يريد مخلوقاً[٧] .

---

(١) للنابغة الذبياني .
(٢) ديوانه ١٢١ ، وورد في تهذيب اللغة (سحر) ٢/ ١٦٤٠ ، واللسان (سحر) ٤/ ١٩٥٢ .
(٣) ورد في تهذيب اللغة (سحر) ٢/ ١٦٤٠ ، بنصه تقريباً .
(٤) مجاز القرآن ١/ ٣٨١ ، باختصار ، وواضح أنه اقتبسه من الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٦ لوروده بنصه . وبقية كلام أبي عبيدة ، كما في تفسير القرطبي ١٠/ ٢٧٢ فهو لا يستغني عن الطعام والشراب ، فهو مثلكم وليس بمَلَك ، وتقول العرب للجبان : قد انتفخ سَحْره ، ولكل من أكل من آدمي وغيره أو شرب مسحور ومُسَحَّر ، انظر : تفسير الطبري ١٥/ ٩٦ ، وأبي حيان ٦/ ٤٤ .
(٥) ورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٦١ ، والسمرقندي ٢/ ٢٧١ ، والماوردي ٣/ ٢٤٧ ، وانظر : تفسير السمعاني ٣/ ٢٤٦ ، والبغوي ٥/ ٩٨ .
(٦) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٦ ، بنصه .
(٧) أي بشراً مخلوقاً .

وهذا يؤكد قول أبي عبيدة : ذو سحْر[١] ، ويجوز أن يكون من السَّحْر بمعنى : الغذاء[٢] ، ومنه قول امرئ القيس :

ونُسْحَرُ بالطَّعام وبالشَّرابِ[٣]

والاختيار هو القول الأول؛ لقولـه تعالى إخباراً عن فرعون : ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء :١٠١] لا يجوز أن يكون أراد مخلوقاً ، وذا سَحْر ، وإنما أراد : مخدوعاً ، والمشركون كانوا يذهبون إلى أن النبي ﷺ يُعَلَّم ما يأتي به ويُخْدع بذلك ، يدلُّ على هذا قولـه : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل :١٠٣] ، فلذلك قالوا له : ﴿مَّسْحُورًا﴾ .

٤٨. قولـه تعالى : ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾؛ أي بينوا لك الأشباه ، حين شبهوك بالكاهن والساحر والشاعر والمعلَّم والمجنون .

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٣٨١ ، بمعناه ، والظاهر أن القول مقتبس من الغريب لابن قتيبة ٢٥٦ لوروده بنصه .

(٢) وهو قول الليث؛ ورد في تهذيب اللغة (سحر) ٢/ ١٦٤١ ، بلفظه .

(٣) صدره :

أَرَانا مُوْضِعِين لأمْر غَيْب

ديوانـه ٤٣ ، وورد في : البيـان والتبيـين ١/ ١٩٨ ، والغريب لابن قتيبـة ١/ ٢٥٦ ، وجمهرة اللغة ١/ ٥١١ ، وتهذيب اللغة (سـحر) ٢/ ١٦٤١ ، والصحاح (سـحر) ٢/ ٦٧٩ ، والمحكم (سـحر) ٣/ ١٣٢ ، وتفسـير ابن عطية ٩/ ١٠٢ ، وابن الجوزي ٦/ ٤٢ ، واللسـان (سحر) ٤/ ١٩٥٢ ، وفي بعض المصادر : (لحَتْم) بدل (لأمر) ، قال ابن بري : (مُوضِعين) : سائرين مسرعين ، (ولأمر غيب) : يريد الموت ، وأنه قد غُيِّب عنا وقتُه ، ونحن نُلْهَى عنه بالطعام والشراب؛ فكأنَّما نُخدع .

قال ابن قتيبة : وهذه الآية تدل على أن المسحور في الآية الأولى بمعنى المخدوع؛ لأنهم لو أرادوا رجلاً ذا رِئَةٍ لم[١] يكن في ذلك مَثَلٌ ضربوه ، ولكنهم لما أرادوا رجلاً مخدوعاً -كأنه بالخديعة سُحِر- كان مثلاً ضربوه وتشبيهاً شبهوه[٢] .

وقوله تعالى : ﴿فَضَلُّوا﴾؛ أي عن الحق والطريق المستقيم ، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ، قال مجاهد : مخرجاً[٣] ، وقال ابن عباس : يريد سبيل الهدى[٤] .

٤٩. وقوله تعالى : ﴿وَقَالُوٓا أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ ، الرَّفَتُ : كَسْرُ الشيء بيدك ، يقال : رَفَتُّه ، أرْفِتُه بالكسر ، كما تَرْفِتُ المدَرَ والعَظمَ البالي ، والرُّفاتُ : الحُطامُ من كل شيء تَكَسَّر ، ويقال : رَفَتَ عظامَ الجَزُور رَفْتاً إذا كسَرَها ليطْبُخَها ، ومن هذا يقال للتِّبْن : الرُّفَتُ[٥]؛ لأنه دُقَاقُ[٦] الزرع .

وقال الأخفش : يقال : رُفِتَ رَفْتاً فهو مرفوت ، نحو حُطِم حطماً فهو محطوم[٧] ، والرُّفات والحُطام الاسم ، كالجُذاذ والرُّضاض[٨] .

---

(١) في النسخ جميعها : (ولم) ، وهذه الواو زائدة أدت إلى اضطراب المعنى ، ويستقيم من دونها ، كما في المصدر .

(٢) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٧ ، بنصه .

(٣) تفسير مجاهد ١/ ٣٦٣ ، بلفظه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ٩٧ ، بلفظه ، وورد بلفظه في تفسير هود الهواري ٢/ ٤٢٣ .

(٤) ورد بلا نسبة في تفسير ابن عطية ٩/ ١٠٤ ، والقرطبي ١٠/ ٢٧٣ ، وأبي حيان ٦/ ٤٤ .

(٥) انظر : جمهرة اللغة (رفت) ١/ ٣٩٣ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٤٣٦ ، ومجمل اللغة ١/ ٣٩٠ ، واللسان ٣/ ١٦٨٦ .

(٦) الدُّقَاقُ : فُتَاتُ كُلِّ شيء دُقَّ ، وقيل : هو التراب اللَّيِّن الذي كسحته الريح من الأرض ، ومنه الدَّقيقُ : الطحين . انظر : المحيط في اللغة (دقق) ٥/ ١٩٧ ، واللسان ٣/ ١٤٠١ .

(٧) ليس في معانيه ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢٢٤ ، بنصه ، والقرطبي ١٠/ ٢٧٣ ، وورد نحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٦٢ منسوباً إلى الكسائي وأبي عبيدة وهو بمعناه في المجاز .

(٨) الرَّضُّ : دقُّك الشيءَ ، ورُضاضُ الشيء : فتاته ، وكلُّ شيء كسَّرته فقد رَضَضْتَه . اللسان (رضض) ٣/ ١٩٥٦ .

وقال الفرَّاء : الرفات لا واحد له ، نحو الدُّقاق والحُطام[١] .

وقال ابن قتيبة : الرفات مثل الفُتَات[٢] ، هذا كلام أهل اللغة .

قال ابن عباس في رواية عطاء أي إذا ذهب اللحم والعروق والدم و[٣] بقيت عظام قد رَثَّتْ[٤] وبَلِيَتْ ورَمَّتْ[٥] ، فإذا مسسته وجعلته بين إصبعيك انسحق[٦] .

وقال في رواية الوالبي في قوله : ﴿وَرُفَٰتًا﴾ قال : غباراً[٧] .

وقال مجاهد : تراباً[٨] ، وهو قول الزَّجَّاج[٩] والفرَّاء[١٠] .

وقوله تعالى : ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ انتصب خلقاً على المصدر؛ لأنه بمعنى : بعثاً جديداً؛ أي أنُبْعثُ إذا صرنا تراباً؟!

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٥ ، بنصه تقريباً .

(٢) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٧ ، بنصه .

(٣) الواو ساقطة من (أ) و(د) .

(٤) الرَّثُّ : الخَلَقُ الخَسيسُ البالي من كل شيء ، ورثَّ الشيءُ وأرثَّ؛ أي خَلُقَ . انظر : المحيط في اللغة (رث) ١٠/ ١٢٤ ، واللسان (رثث) ٣/ ١٥٨٠ .

(٥) قال ابن الأثير : أصل هذه الكلمة من رَمَّ الميِّتُ ، وأرَمَّ : إذا بَلِيَ ، والرِّمَّة : العظْم البالي . النهاية ٢/ ٢٦٦ .

(٦) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٠٦ ، بنصه .

(٧) أخرجه الطبري ١٥/ ٩٧ ، بلفظه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، وورد بلفظه في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٠ب ، انظر : تفسير ابن عطية ٩/ ١٠٥ ، والقرطبي ١٠/ ٢٧٣ ، وابن كثير ٣/ ٥١ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٣٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٨) تفسير مجاهد ١/ ٣٦٣ ، بلفظه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ٩٧ ، بلفظه من طريقين ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٦٢ ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٤٢٣ ، والثعلبي ٧/ ١١٠ب ، والطوسي ٦/ ٤٨٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٣٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٤ ، بلفظه .

(١٠) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٥ ، بلفظه .

٥٠ـ٥١ . قوله تعالى : ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ . اختلفوا في معنى قوله : ﴿خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ . فقال ابن عباس في رواية عطاء : يعني الموت[١] ، وهو قول مجاهد في رواية خُصَيف وعكرمة والحسن وابن جريج وسفيان وأبي صالح وابن عمر والكلبي ، قالوا : ليس شيء أكبر في صدور بني آدم من الموت ، يقول : لو كنتم الموت لأماتكم الله ثم أحياكم[٢] .

قال الكلبي : قالوا : يا محمد ، أرأيت لو كنا الموت ، من يميتنا؟ فأنزل الله تعالى : ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾[٣] : يعني الموت .

وروي عن مجاهد أيضاً أنه قال : يعني السماء والأرض والجبال[٤] .

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ٩٨ من طريق العوفي (ضعيفة) ، قال : إن كنتم الموت أحييكم ، والحاكم : تفسير ، الإسراء ٢/ ٣٦٢ ، بلفظه من طريق مجاهد (صحيحة) ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وورد بلفظه في تفسير الماوردي ٣/ ٢٤٨ ، والطوسي ٦/ ٤٨٧ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٣٩ ، وزاد نسبته إلى عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٩ ، بنحوه عن الكلبي ، وابن أبي شيبة ٧/ ١٣٤ ، بنحوه عن ابن عمر ، والطبري ١٥/ ٩٨ ، بنحوه عن ابن عمر وابن جريج عن ابن جبير ، وعن أبي صالح والحسن قالا : الموت ، وأبو الشيخ في العظمة ٢١٢ ، مختصراً عن الحسن ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٦٣ ، مختصراً عن ابن عمر ومجاهد وعكرمة وأبي صالح ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٢ ، بنحوه عن الكلبي والحسن وعكرمة ، وهود الهواري ٢/ ٤٢٤ ، بنحوه عن الحسن ، والثعلبي ٧/ ١١٠ب ، مختصراً عن مجاهد وعكرمة ، والماوردي ٣/ ٢٤٨ ، مختصراً عن ابن عمر ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٣٩ ، بنحوه ، وزاد نسبته إلى عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عمر .

(٣) لم أقف عليه ، وقد انفرد المؤلف بإيراد هذا القول على أنه سببٌ في النزول ، ولم يورده في كتابه أسباب النزول أو تفسيره الوسيط ، وهذا القول لا يعتد به في باب أسباب النزول ، لعدم وروده بسند ، وحتى مع إسناده فإن الرواية عن طريق الكلبي ضعيفة كما هو معلوم .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٩ ، بنصه ، وورد بنصه في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٠ب ، والماوردي ٣/ ٢٤٨ ، والطوسي ٦/ ٤٨٧ ، وانظر : تفسير السمعاني ٣/ ٢٤٨ ، وابن عطية ٩/ ١٠٧ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٤ .

وروي عن ابن [أبي][١] نجيح عنه ، قال : ما شئتم فكونوا ، سيعيدكم الله كما كنتم[٢] .

قال أبو إسحاق : ومعنى هذه الآية فيه غموض؛ لأن القائل يقول : كيف يقال لهم : ﴿كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا﴾ وهم لا يستطيعون ذلك ، فالجواب في ذلك أنهم كانوا يُقِرُّون أن الله خالقهم وينكرون أن الله يعيدهم[٣] ، فقيل لهم : إن تستشعروا أنكم لو خلقتم من حجارة أو حديد أو كنتم الموت -الذي هو أكبر الأشياء في صدوركم- لأماتكم الله ثم أحياكم؛ لأن القدرة التي بها أنشأكم[٤] بها يعيدكم[٥] ، وهذا معنى قوله : ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ ، فقل :﴿ٱلَّذِى فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ﴾ . قال الفرَّاء : نَغَض فلان رأسه يَنْغُضه إنغاضاً؛ إذا حَرَّكه إلى فوق وإلى أسفل ، ونَغَض رأسُه إذا تَحَرَّك ، ونَغَضَتْ

---

(١) ساقطة من النسخ جميعها .

(٢) تفسير مجاهد ١/ ٢٦٣ ، بنصه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ٩٨ ، بنصه من طريقين ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٦٣ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٧١ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٣٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .
وهذا القول هو الصحيح ، وهو الذي رجحه الطبري وتبعه ابن عطية ونصره ، وحجته أن الله -عز وجل- أطلق القول ولم يخصصه بشيء ، لذلك فكل ما كبر في صدور بني آدم من خلقه يكون مقصوداً .
انظر : تفسير الطبري ١٥/ ٩٩ ، وابن عطية ٩/ ١٠٧ .

(٣) في النسخ جميعها : (يعيدكم) ، والصواب ما أثبته ، وبه يستقيم الكلام وتنسجم الضمائر .

(٤) ساقطة من (أ) و(د) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٤ ، بتصرف يسير .

سِنُّهُ ، تَنْغَضُ وتَنْغُضُ وتَنْغِضُ ، نَغْضاً ونَغَضَاناً ونُغُوضاً ، وسُمِّيَ الظَّلِيمُ[١] نَغْضاً لأنه يُحَرِّك رأسه[٢] ، وأنشد[٣] للعَجَّاج :

أَسَكَّ نَغْضاً لا يَنِي مُسْتَهْدَجاً
مُسْتهرِجٌ يحملُ على أنْ يَهْرِجَ هَرْجَاناً[٤]

وهو[٥] ضرب من العَدْو .

(١) الظليم : هو الذَّكر من النَّعَام ، وجمعه : ظِلْمان . انظر : التلخيص ٢/ ٦٤١ ، والصحاح (ظلم) ٥/ ١٩٧٨ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٥ ، بنحوه بعض الفقرات ، وورد بعضها بنحوه في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤ ، وتهذيب اللغة (نغض) ٤/ ٣٦٢١ ، ولعله قد ركب النص من هذه المصادر الثلاث ، ولمَّا كان أغلب النقل عن الفرَّاء نسبه إليه من دونهم . والله أعلم .

(٣) الضمير يعود على الفرَّاء ، لكن الذي أنشد البيت هو الزَّجَّاج ، وليس الفرَّاء .

(٤) ديوانه ٢/ ١٧ ، وروايته مختلفة ومقلوبة :
واستبدلت رُسومُهُ سَفَنَّجَا أَصَكَّ نَغْضاً لا يَنِي مستهدجاً
وورد برواية الديوان في المعاني الكبير ١/ ٣٢٩ ، والاقتضاب ٤٢٠ ، وورد صدره في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٥ ، وتهذيب اللغة (هدج) ٤/ ٣٧٣٨ ، والصحاح (نغض) ٣/ ١١٠٩ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٤٨٧ ، واللسان (هدج) ٨/ ٤٦٣٠ ، (نغض) ٨/ ٤٤٨٩ ، وفي بعض هذه المصادر : (أصكَّ) بدل (أسكَّ) ، (أسكَّ)؛ السَّكَكُ : الصمم ، يقال : ظليم أسك؛ لأنه لا يسمع ، وقيل : السكك : صِغَرُ الأذن ولزوقها بالرأس ، (أصك)؛ الصكك : اضطراب الركبتين والعرقوبين ، وظليم أصك : لتقارب ركبتيه؛ يصيب بعضها بعضاً إذا عدا ، (سفنَّجاً) : يعني بالسفنج الظليم؛ وهو ذكر النعام ، (لا يَنِي) : لا يزال ، (مستهدَجاً) : يُحمل على الهدَج؛ وهو تقارب الخطو مع سرعة المشي . قال ابن الأعرابي : مستهدِجاً : مستعجلاً؛ أي أُفْزِعَ فمرَّ ، ومن رواه بكسر الدال أراد أنه لا يزال عَجْلان في عَدْوه ، (مستهرج) : الهَرْجُ : الاختلاط؛ وأصل الهرج : الكثرة في الشيء . انظر : اللسان : (هرج ، سكك ، صكك) .

(٥) الضمير يعود على الاسْتِهْدَاج .

وقال أبو الهيثم : يقال للرجل إذا أُخْبِر بشيء فحَرَّك رأسَه إنكاراً له : قد أَنْغَضَ رأسه[١] .

قال ابن عباس في رواية الوالبي ، في قوله : ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ . قال : يهزون[٢] . وقال مجاهد : [فسيحركونها[٣] .

وقال عطاء عن ابن عباس : يحركون رؤوسهم تكذيباً لهذا القول[٤] .

وقال الزَّجَّاج][٥] : فسيحركون رؤوسهم تحريك من يبطل الشيء ويَسْتبطئه[٦] ، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ .

وقال ابن قتيبة أي يحركونها تحريك المستبعدِ رأسَه[٧] .

وقوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾؛ أي البعث أو الإعادة ، وقد تَقدَّم الفعل منهما[٨] ، والفعل يدل على المصدر ، ﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ . قال المفسرون :

---

(١) ورد في تهذيب اللغة (نغض) ٤/ ٣٧٣٨ ، بنصه تقريباً .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ١٠٠ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) .

(٣) تفسير مجاهد ١/ ٣٦٤ ، بنحوه .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٠٠ ، بنحوه ، عن عطاء الخرساني (منقطعة) ، وورد بنحوه في تفسير الماوردي ٣/ ٢٤٨ ، والطوسي ٦/ ٤٨٧ ، وورد بنحوه عن عطاء في تفسير مجاهد ١/ ٣٦٤ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٣٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع) .

(٦) في النسخ جميعها : (يستطيعه) ، ولا معنى لها ، والتصويب من المصدر ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٤ ، بنصه .

(٧) الغريب لابن قتيبة ٢٥٧ ، بنحوه .

(٨) في قوله : ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ، وقوله : ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ .

يعني هو قريب[١] ، قال ابن عباس : وعسى من الله واجب[٢] ، وذكرنا هذا عند قوله : ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة :٢١٦] .

٥٢. قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ انتصب يومَ على البدل من قوله : ﴿قَرِيبًا﴾ على معنى : قل عسى أن يكون يوم يدعوكم ، ويكون تأويله : عسى أن يكون البعث قريباً يوم يدعوكم ، وهذا معنى قول أبي إسحاق أي يعيدكم يوم القيامة[٣] ، ومعنى يدعوكم أي بالنداء الذي يُسْمِعُكم؛ وهو النفخة الأخيرة؛ كما قال : ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق :٤١] .

وقوله تعالى : ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾؛ أي تجيبون ، والاستجابة : موافقة الداعي في ما دَعا إليه؛ وهي الإجابة ، إلا أن الاستجابة تقتضي طلب الموافقة ، فهي أوكد من الإجابة[٤] .

وقوله تعالى : ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يقول : بأمره[٥] ، وهو قول سفيان[٦] ، ولا أدري وجه هذا القول من اللغة ، وقال سعيد بن جبير : يخرجون من قبورهم يقولون : سبحانك وبحمدك ، فهو قوله :

---

(١) ورد بنحوه في تفسير الطبري ١٥/ ١٠١ ، والسمرقندي ٢/ ٢٧٢ ، والثعلبي ٧/ ١١١أ ، والطوسي ٦/ ٤٨٨ .

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور ١/ ٤٣٨ بنصه ، وعزاه إلى ابن المنذر والبيهقي في سننه ـ لم أقف عليه ـ من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٥ ، بنصه .

(٤) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٨٩ ، بنصه تقريباً .

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ١٠١ ، بلفظه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١١أ بلفظه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٩٩ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٥ ، وابن كثير ٣/ ٥٣ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٣٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٦) ورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٦٥ ، والماوردي ٣/ ٢٤٩ .

﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾[١] ، وقال قتادة : يقول : بمعرفته وطاعته يوم القيامة[٢] ، ومعنى هذا أنهم إذا أجابوا بالتسبيح والتحميد كان ذلك معرفة منهم وطاعة ، ولكنه لا ينفعهم الحمد .

وقال أبو إسحاق : يستجيبون مقرِّين بأنه خالقهم[٣] ، وهذا معنى قول قتادة .

قال أهل المعاني : تستجيبون بحمده : تستجيبون حامدين[٤] ، كما تقول : جاء بغضبه؛ أي جاء غضبان ، وخرج زيد بثيابه ، وركب الأمير بسيفه؛ أي وسيفه معه[٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد بين النفختين الأولى والثانية يُكَفُّ عنهم العذاب فينامون[٦] ، مثل قوله : ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس :٥٢] ، وهم يعذبون من حين يموتون إلى النفخة الأولى ، فعلى هذا القول ظنهم اللُّبْثَ القليل يعود إلى لُبْثهم بين النفختين ، وقيل : معنى هذا : تقريب وقت البعث ، كما قال الحسن : كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم

---

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١١أ ، بنحوه ، انظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٦٤ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٣٩ ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ١٠١ ، بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١١أ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤٠ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٥ ، بنصه .

(٤) وقد ذكر الزمخشري ٢/ ٣٦٣ هذا القول وزاده بياناً ، فقال : (بحمده) حال منهم؛ أي حامدين ، وهي مبالغة في انقيادهم للبعث ، مثل قولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع : ستركبه وأنت حامد شاكر ، يعني أنك تُحمل عليه وتُقسر قسراً ، حتى أنك تلين لين المسمح الراغب الحامد عليه . وإلى هذا القول نحا أبو حيان ٦/ ٤٧ أيضاً .

(٥) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٨٩ ، بنصه تقريباً ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢٢٧ .

(٦) ورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٢ ، والثعلبي ٧/ ١١١أ ، والماوردي ٣/ ٢٤٩ ، وقال السمرقندي والثعلبي : هذا أصح ما قيل فيه؛ لأن بعض المبتدعة قالوا : إذا وضع الميت في قبره لا يكون عليه العذاب إلى وقت البعث ، فيظنون أنهم مكثوا في القبر قليلاً .

تَزَل[١] ، فهؤلاء إذا رأوا يوم القيامة وشاهدوا البعث ، استقصروا مدة لُبْثِهم مع ما يعلمون من طول لَبْثِهم في الآخرة ، وعند الحسن وقتادة : هذا اللَّبْثُ يعود إلى لَبْثهم في الدنيا لا إلى لَبْث البرزخ .

قال قتادة في قوله : ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ، ذاكم والله لَمَّا تحاقرت الدنيا في أنفسهم وقَلَّت ، حين عاينوا يوم القيامة[٢] .

وقال الحسن : ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في الدنيا بطول لُبْثِكم في الآخرة[٣] ، وهذه ثلاثة أقوال في معنى استقصارهم اللَّبْث[٤] .

ومن المفسرين من ذهب إلى أن هذا الخطاب للمؤمنين دون الكافرين ، قال : وهذا أظهر في المؤمنين؛ لأنهم يستجيبون[٥] الله بحمده ، ويحمدونه على إحسانه إليهم ، ويستقلون مدة لَبْثِهم في البرزخ؛ لأنهم كانوا غير معذبين[٦] ، والمفسرون على الأول .

---

(١) ورد بنصه في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٤ ، والماوردي ٣/ ٢٤٩ ، والطوسي ٦/ ٤٨٨ .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ١٠٢ ، بنحوه ، وورد بنحوه في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٤ ، والماوردي ٣/ ٢٤٩ ، والطوسي ٦/ ٤٨٩ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤٠ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٣) ورد بنصه في تفسير الماوردي ٣/ ٢٤٩ ، والطوسي ٦/ ٤٨٩ .

(٤) وأظهرها القول الثالث؛ قول قتادة وقول الحسن الثاني ، وقد اقتصر الطبري وابن كثير على ذكره ، وأيَّده ابن كثير بشواهد عدة قرآنية ، أما القول الثاني فهو قريب من هذا ، وأما القول الأول فطريقه إلى ابن عباس ضعيفة ، لذلك نجد السمرقندي مع ترجيحه لهذا القول ، فقد أورده بصيغة التمريض .

(٥) في النسخ جميعها : (لا يستجيبون) بزيادة لا ، ويضطرب المعنى بذلك ، والتصويب من تفسيره الوسيط ، ٢/ ٥٠٨ .

(٦) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٠٨ ، بنصه ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢٢٨ ، وأبي حيان ٦/ ٤٨ .

٥٣. قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾. قال الأخفش: جعل ﴿يَقُولُوا۟﴾ جواباً للأمر[١] في اللفظ، كما قال: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣١].

قال الكلبي: كان المشركون يؤذون أصحاب النبي ﷺ بمكة[٢] بالقول والفعل، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله، ائذن لنا في قتالهم، فيقول لهم رسول الله ﷺ: «لم أؤمر فيهم بشيء»، فأنزل الله هذه الآية[٣].

ومعنى الآية: قل لعبادي المؤمنين يقولوا للكافرين الكلمة التي هي أحسن. قال الحسن: يقول له: يهديك الله[٤]، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ هو الذي يفسد بينهم[٥].

٥٤. قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ الآية. فيها قولان؛ أحدهما: أن هذا الخطاب للمشركين، يقول: ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾: يوفقكم فتؤمنوا، ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾: بأن يميتكم على الكفر فيعذبكم، هذا قول ابن جريج[٦].

---

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٤، بنصه.

(٢) ساقطة من (د).

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١١أ، بنصه تقريباً، وأورده المؤلف في أسباب النزول ٤٩٥، بنحوه من دون إسناد، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٢، بنحوه عن ابن عباس، والظاهر أن الكلبي يرويه عنه، انظر: تفسير البغوي ٥/ ٩٩، وابن الجوزي ٥/ ٤٦، عن أبي صالح عن ابن عباس، والقرطبي ١٠/ ٢٧٧، عن الكلبي.
والحادثة تفتقر إلى إسناد لإثبات أنها سبب في النزول، وهو ما لم أقف عليه، وحسبك أنها رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ومصدرها الثعلبي، وهذه الطريق هي أوهى الطرق إلى ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٠٢، بمعناه، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١١أ، بنحوه، والطوسي ٦/ ٤٨٩، بمعناه، انظر: تفسير البغوي ٥/ ٩٩، بنصه، وابن الجوزي ٥/ ٤٧، بنصه، والقرطبي ١٠/ ٢٧٧، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤٠.

(٥) ورد بلفظه في تفسير الطبري ١٥/ ١٠٢، والثعلبي ٧/ ١١١أ، والطوسي ٦/ ٤٨٩.

(٦) أخرجه الطبري ١٥/ ١٠٢، بنحوه، وورد في تفسير الثعلبي بنصه تقريباً، انظر: تفسير البغوي ٥/ ٩٩، والقرطبي ١٠/ ٢٧٨، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

القول الثاني : أن الخطاب للمؤمنين يقول : ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ : بالإنجاء من كفار مكة وأذاهم ، ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ : بتسليطهم عليكم ، وهذا قول الكلبي[١] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾؛ أي حافظاً وكفيلاً ، يعني لا شيء عليك من كفرهم ، فإن عليك التبليغ ، وما وُكل إليك إيمانهم ، والله أعلم بهم إن شاء هَدْيَهم[٢] وإن شاء خَذْلَهم .

٥٥. وقوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ . قال ابن عباس : هو أعلم بهم؛ لأنه خلقهم ، فهدى بعضهم ، وأضل بعضهم ، كما قال : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن :٢] .

وقال أهل المعاني : إنما ذكر أنه أعلم بهم بعد قوله : ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾؛ ليدل به على أن تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض وقع موقع الحكمة؛ لأنه من عالم بباطن الأمر[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ كلام المفسرين في هذا يدل على أن المعنى فيه : أن كل واحد منهم خُصَّ بفضيلة ، فقال قتادة : نعم فضَّل الله بعض النبيين على بعض؛ فاتخذ إبراهيم خليلاً ، وكلَّم موسى تَكْليماً ، وجعل عيسى كلمته وروحه ، وآتى سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وآتى داود زبوراً ، وغفر لمحمد ما تقدم من ذنبه وما تأخر[٤] .

---

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١١أ ، بنحوه ، والماوردي ٣/ ٢٥٠ ، بنحوه ، انظر : تفسير البغوي ٢/ ١٠٠ ، والقرطبي ١٠/ ٢٧٨ ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٢ .

(٢) مطموسة في (ع) ، وفي (د) : (يهديهم) .

(٣) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٩٠ ، بنصه .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٠٣ ، بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١١أ ، بنحوه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٠٠ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤١ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

وقال الكلبي : فضَّل موسى بالكلام ، وإبراهيم بالخُلَّة ، واصطفى محمداً ﷺ ، وآتى داود زبوراً[١] .

وقال ابن عباس في هذه الآية : يريد لذلك فَضَّلت ولد آدم؛ فمنهم من عَصَمْتُ ، ومنهم من خَذَلْتُ ، وفَضَّلتُ داود حيث أعطيته الزبور ، يعني أن ذكر تفضيل النبيين هاهنا يكون[٢] يدلُّ على تفضيل ولد آدم .

وقال أبو إسحاق : معنى ذكر داود هاهنا ، أن الله أعْلَمَ أنه فضَّل بعض النبيين على بعض؛ أي فلا تُنْكِروا تفْضِيلَ محمد ، وإعطاءه القرآن ، فقد أعطى الله داود الزبور[٣] ، وقرأ حمزة : (زُبوراً) بضم الزاي[٤] ، وذكرنا وجه ذلك في أواخر سورة النساء[٥] .

٥٦. قوله تعالى : ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ . قال المفسرون : ابتلى الله قريشاً وأهلَ مكة بالقحط سنين ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾[٦] قال ابن عباس : كل شيء (زَعَمَ) في كتاب الله فهو كَذَبَ[٧] ، فعلى هذا نظم الآية : الذين ادَّعيتم كذباً من دونه؛ أي ادَّعَيتم أنهم آلهة .

---

(١) انظر : تنوير المقباس ٣٠١ مختصراً .

(٢) يكون ثابتة في النسخ جميعها ، وقد أدت إلى اضطراب المعنى ، والأولى حذفها؛ لأن الكلام يستقيم من دونها .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٥ بنصه .

(٤) انظر : السبعة ٣٨٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٧٦ ، والحجة للقراء ٥/ ١٠٨ .

(٥) آية [١٦٣] .

(٦) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١١ب مختصراً ، انظر : تفسير السمعاني ٣/ ٢٥٠ ، والبغوي ٥/ ١٠٠ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٨ ، والقرطبي ١٠/ ٢٧٩ ، ولا يُعدُّ هذا سبباً في النزول ـ وإن عبر عنها بالصيغة الصريحة ـ لعدم تحقق شروطه .

(٧) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢٣١ ، والألوسي ١٥/ ٩٧ .

وقال أبو إسحاق أي ادْعُوا الذين زعمتم أنهم آلهتكم[١] ، ثم أخبر عن الآلهة فقال : ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾؛ أي فهم لا يملكون ، ﴿كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾ ، يعني البؤس والشدة .

﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ . قال ابن عباس : يريد من السقم والفقر إلى الصحة والغنى[٢] ، وفي هذا احتجاج عليهم وبيان أنهم في عبادتهم على الباطل ، والتَّحْويل : النقل من حال إلى حال ، ومكان إلى مكان ، يقال : حَوَّلَه فتحوَّل ، ويُذكر تمام هذا الحرف عند قوله : ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف :١٠٨] ، إن شاء الله .

٥٧. قوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾؛ أي أولئك الذين يدعونهم المشركون ، واختلفوا فيهم؛ من هم؟ فرُوي بطرق مختلفة عن ابن مسعود أنه قال : كان نفر من الإنس -قال المفسرون : وهم خزاعة[٣]- يعبدون نفراً من الجن ، فأسلم النفر من الجنِّ ، واستمسك الإنس بعبادتهم ، فنزلت : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ الآية[٤] . روى هذا قتادة عن عبدالله بن معبد الزِّمَّاني[٥] عن ابن مسعود .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٥ ، بنصه .

(٢) ورد غير منسوب في تفسير الثعلبي ٧/ ١١١ب ، والسمعاني ٣/ ٢٥٠ ، والقرطبي ١٠/ ٢٧٩ .

(٣) ورد في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٥ ، وانظر : تفسير أبي حيان ٦/ ٥١ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٩ ، بنحوه من طريقين ، والبخاري (٤٧١٥) ، كتاب : التفسير ، الإسراء ، باب : قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ﴾ بنحوه من طريق الأعمش ، وليس فيه التصريح بالنزول ، ومسلم (٣٠٣٠) ، كتاب : التفسير باب : في قوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ ، بنصه من طريق الأعمش ، والنسائي في تفسيره ١/ ٦٥٢ ، بنحوه ، والطبري ١٥/ ١٠٤ بنصه وبنحوه من طرق عدة ورجحه ، والحاكم : التفسير/ الإسراء ٢/ ٣٦٢ ، بنحوه من طريق الأعمش ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٦٥ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٣ ، وهود الهواري ٢/ ٤٢٦ ، والثعلبي ٧/ ١١١ب ، والماوردي ٣/ ٢٥٠ ، والطوسي ٦/ ٤٩١ ، وانظر : لباب النقول ١٣٧ .

(٥) عبدالله بن معبد الزِّمَّاني البصري ، من جِلَّة التابعين ، ثقة ، روى عن أبي هريرة وعبدالله بن عتبة رضي الله عنهما وروى عنه قتادة وثابت . انظر : الجرح والتعديل ٥/ ١٧٣ ، وميزان الاعتدال ٣/ ٢٢١ ، والكاشف ٢/ ٦٠٠ ، (٢٩٩٧) ، وتقريب التهذيب ٣٢٤ (٣٢٤) .

وقال أبو صالح عن ابن عباس في هذه الآية : هم عيسى وعزير والملائكة ، وما كان عُبِدَ من دون الله وهو لله مطيع[١] ، ونحو هذا قال مجاهد والسدي والحسن[٢] ، قال الفرَّاء : قوله : ﴿يَدْعُونَ﴾ فِعلُ الآدميين العابدين ، وقوله تعالى : ﴿يَبْتَغُونَ﴾ فِعلٌ للمعبودين الذين عبدوهم[٣] .

ومعنى ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ . قال ابن عباس : يتضرعون إلى الله في طلب الجنة[٤] ، والوسيلة : الدرجة العليا[٥] .

وقال الزَّجَّاج : الوسيلة والسؤال والطِّلْبَةُ في معنى واحد[٦] ، وقد مرَّ ذكر الوسيلة[٧] ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ رُفع بالابتداء ، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ صفة لهم ، و﴿يَدْعُونَ﴾ صلة ، و﴿يَبْتَغُونَ﴾ خبر الابتداء .

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ١٠٥ من طريق أبي صالح (واهية) بروايتين ، وفيهما قال : عيسى وأمه وعُزير ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٦٦ مختصراً ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٣ بنصه ، والثعلبي ٧/ ١١١ ب بزيادة وأمه والشمس والقمر والنجوم ، والماوردي ٣/ ٢٥١ ، مختصراً ، والطوسي ٦/ ٤٩١ ، بنحوه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٠١ ، والدر المنثور ٤/ ٣٤٣ بزيادة وحذف ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .

(٢) تفسير مجاهد ١/ ٣٦٤ ، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٠٦ ، عن السدي ومجاهد من طريقين ، وورد في تفسير هود الهواري ٢/ ٤٢٦ ، عن الحسن ، والثعلبي ٧/ ١١١ب عن مجاهد ، والماوردي ٣/ ٢٥١ عن مجاهد ، والطوسي ٦/ ٤٩١ عن الحسن ، انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٥٣ ، عن السدي .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٥ ، بمعناه .

(٤) ورد بنصه غير منسوب في تفسير الثعلبي ٧/ ١١١ب ، والقرطبي ١٠/ ٢٧٩ .

(٥) ومن ذلك ماورد في حديث الأذان : « . .آت محمدا الوسيلة والفضيلة . . . .» . أخرجه البخاري (٤٧١٩) ، كتاب : التفسير ، باب : أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة . . . . ، (٦١٤) ، كتاب : الأذان ، الدعاء عند النداء ، قال ابن الأثير : وسل في الأصل : ما يُتَوَصَّلُ به إلى الشيء ويُتقرَّبُ به ، والمراد بها في الحديث : القرب من الله تعالى ، وقيل : هي الشفاعة يوم القيامة ، وقيل : هي منزلة من منازل الجنَّة . انظر : النهاية ٥/ ١٨٥ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٦ ، بنصه تقريباً .

(٧) في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة :٣٥] .

وقولــه تعالى : ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ . قــال الزَّجَّــاج : ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ لأنه بدل من الواو في ﴿يَبْتَغُونَ﴾ ، والمعنى : يبتغي أيُّهم هو أقرب الوسيلة إلى الله؛ أي يتقرب إليه بالعمل الصالــح[١] ، ونحو هذا قال ابن عباس في قوله : ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ قال : يتقربون إلى الله بصالح الأعمال؛ فيرجون رحمته ، ويريدون جنته ، ويخافون عذابه .

قال أبو إسحاق أي الذين يزعمون أنهم آلهة يرجون ويخافون[٢] .

وقرأ ابن مسعود : ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالتاء[٣] ، ﴿يَبْتَغُونَ﴾ بالياء ، قال أبــو عبيد : ولولا كراهة الخلاف لكانت هذه القــراءة آثر عندي للخطاب الذي قبلهــا[٤] ، وذهب بعضُ المفسرين إلى أن هذه الآيــة من صفة الأنبياء الذين تقدم ذكرهم[٥] .

وروى عطاء عن ابــن عباس في هذه الآية ، قال : ثم ذكــر أولياءه ، فقال : ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ . وعلى هذا القول الآية صفة المؤمنين .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٦ ، بنصه .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٦ ، بنصه .

(٣) ورد في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٤٥ ، انظر : تفسير الثعلبي ٧/ ١١١ب ، وذكر أن ﴿يَبْتَغُونَ﴾ أيضاً بالتاء ، وهو ممــا انفرد به ، وقد قال القرطبي : ولا خلاف في ﴿يَبْتَغُونَ﴾ أنه بالياء ، وتفسير السمعاني ٣/ ٢٥٠ ، والبغوي ٥/ ١٠١ ، وابن عطية ٩/ ١١٩ ، والقرطبي ١٠/ ٢٧٩ ، ووردت ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء مبنيًّا للمجهول في القراءات الشاذة لابن خالويه ٨٠ ، وإعراب القراءات الشاذة ١/ ٧٩٢ ، والقراءة بالتاء في (تدعون) و(تبتغون) شاذة أيضاً .

(٤) لم أقف عليه ، ويُردُّ عليه بأن الالتزام بالقراءة السبعية المتواترة مقدم على مراعاة السياق .

(٥) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٩١ ـ منسوباً إلى أبي علي ، ونسب إلى ابن فُورك في تفسير ابن عطية ٩/ ١٢١ ، وأبي حيان ٦/ ٥١ .

٥٨. قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ الآية. قال مجاهد: كل قرية في الأرض سيصيبها بعضُ هذا[١]؛ هلاكٌ أو عذابٌ بالقتل والبلاء، وقال قتادة: قضاء من الله كما تسمعون، ليس منه بُدٌّ؛ إما أن يهلكها بموت، فقد قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وإما أن يهلكها بعذاب مُستأصِل إذا تركوا أمره وكذبوا رسله[٢].

وقال ابن مسعود: إذا ظهر الزنا والربا في أهل قرية أذن الله في هلاكها[٣].

وقال مقاتل: أما الصالحة فبالموت، وأما الطالحة فبالعذاب[٤].

وقال ابن عباس في هذه الآية: فَهَلْكُ أهلها قبل يوم القيامة أو يعذبهم مثل ما فعل بأهل مكة؛ عذبهم بالجوع حتى أكلوا العلهز[٥].

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ قال: يريد مكتوباً في اللوح المحفوظ.

وقال أبو إسحاق أي ما من أهل قرية إلا سَيُهلك[٦]؛ إما بموت وإما بعذاب يستأصلهم[٧].

---

(١) تفسير مجاهد ١/ ٣٦٤ بنصه، أخرجه الطبري ١٥/ ١٠٦، بنصه، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٤، بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ١٠٧ بنصه.

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ١٠٧ بنصه عن عبدالرحمن بن عبدالله، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١١ب، بنصه، انظر: تفسير السمعاني ٣/ ٢٥٢، والقرطبي ١٠/ ٢٨٠، والخازن ٣/ ١٦٨.

(٤) تفسير مقاتل ١/ ٢١٦أ، بنحوه، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١١ب، بنصه.

(٥) العلهز: هو الوبر يعجن بالدم والقُراد يأكلونه. والقراد: دويبة متطفلة. انظر: تفسير الطبري ١٤/ ١٨٦_١٨٧.

(٦) في المصدر: (سيهلكون) مراعاة لمعنى ما، أما الواحدي فقد راعى لفظها.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٧، بنصه.

٥٩. قوله تعالى : ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَٰتِ﴾ . قال ابن عباس وقتادة والمفسرون : «سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، وأن يُنَحِّي الجبال عنهم فيزْدرعوا[1] فأتاه جبريل ، فقال : إن شئت كان ما سأل قومك ، ولكنهم إن لم يؤمنوا لم يناظروا ، وإن شئت استأنيت بهم ، قال : لا بل أستأن بهم ، فأنزل الله هذه الآية»[2] .

قال أبو إسحاق : (أن) الأولى نصب والثانية رفع ، المعنى : ما منعنا الإرسالَ إلا تكذيبُ الأولين ، والتأويل : أنهم سألوا الآيات التي استوجب بها الأولون العذاب لما كذبوا بها[3] ، وحقيقة المعنى : إنَّا لم نرسل بالآيات؛ لئلا يكذب بها هؤلاء كما كذب مَنْ قبلهم ، فيستحقوا المعاجلة بالعقوبة .

فإن قيل : ما معنى قوله : ﴿وَمَا مَنَعَنَآ﴾ ، والله تعالى لا يجوز أن يكون ممنوعاً عن شيء؟! قلنا : معناه هاهنا المبالغة في أنه لا يفعل ذلك ، فكأنه قد مُنع منه؛ وذلك أن الإرادة الأزلية قد سبقت بتدبير الأمور وإمضائها؛ لا يؤخرُ منها مَقَدِّم ولا يُقَدِّمُ مؤخِّر ، فإذا منعت الإرادة والمشيئة أمراً جاز إطلاق لفظ المنع على الوجه

---

(١) يقال : ازْدرع إذا زرع أو أمر به لنفسه خُصوصاً . المحيط في اللغة (زرع) ١/ ٣٨٣ .

(٢) أخرجه ـ بنحوه عن ابن عباس من طريق ابن جبير (جيدة)ـ أحمد ١/ ٢٥٨ ، والبزار ، كشف الأستار ٣/ ٥٥ ، والنسائي في تفسيره ١/ ٦٥٥ ، والطبري ١٥/ ١٠٨ ، والحاكم : التفسير/ الإسراء ٢/ ٣٦٢ ، وقال : صحيح الإسناد وأقره الذهبي ، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٢٧١ بروايات عدة ، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٠٨ ، بنحوه عن قتادة ، وأخرجه المؤلف في أسباب النزول ٢٩٥ ، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٥٢ ـ بروايتين عن ابن عباس وقال : وهذان إسنادان جيدان ، وأورده الهيثمي في المجمع ٧/ ٥٠ ، عن ابن عباس بروايتين ، وقال : ورجال الروايتين رجال الصحيح ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤٣ وزاد نسبته إلى ابن المنذر والطبراني وابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس ، وقال شاكر في شرح المسند ٢/ ٩٦ : إسناده صحيح ، وورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٤ ، عن ابن عباس ، وهود الهواري ٢/ ٤٢٧ ، والثعلبي ٧/ ١١١ب ، انظر : لباب النقول ١٣٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٧ ، بنصه .

الذي ذكرنا ، والباء في قوله : ﴿بِٱلْآيَٰتِ﴾ زيادة[١] ، والمعنى : أن نرسل الآيات ، والآية مختصرة؛ لأن التقدير : ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ فأهلكناهم ، قال المفسرون : وسنة الله في الأمم إذا سألوا الآيات فأتتهم ، ثم لم يؤمنوا أن يعذبهم ولا يمهلهم[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ . قال ابن عباس : يريد كانت لهم عياناً ، وقال قتادة : بينة[٣] ، وقال مجاهد : آية مبصرة[٤] .

قال الأخفش : المُبْصِرةُ : البَيِّنَة ، كما تقول : المُوضِحَة والمُبَيِّنَة[٥] ، فعلى هذا أبصر واقع بمعنى بصر[٦] .

وقال الفرَّاء : جعل الفعل لها ، ومعنى ﴿مُبْصِرَةً﴾ : مضيئة ، كما قال تعالى : ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس :٦٧]؛ أي مضيئاً[٧] .

قال الأزهري : والقول ما قال الفرَّاء؛ أراد : آتينا ثمود الناقة آية مبصرة؛ أي مضيئة[٨] ، وقد ذكرنا هذا في سورة يونس[٩] وفي هذه السورة عند قوله : ﴿ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [آية :١٢] .

---

(١) يقصد زيادة للتأكيد ، انظر : التعليق على القول بالزيادة في القرآن ، عند آية [١٠] من سورة إبراهيم .

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١١ب ، بنصه تقريباً ، انظر : تفسير الخازن ٣/ ١٦٩ .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ١٠٨ ، بلفظه ، انظر : تفسير الخازن ٣/ ١٦٩ بلا نسبة .

(٤) تفسير مجاهد ١/ ٣٦٤ ، بلفظه ، أخرجه الطبري ١٥/ ١٠٩ ، بلفظه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٦٧ ، بلفظه ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٤٢٧ ، بلفظه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٢٥ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٤ ، بنصه .

(٦) ساقطة من (أ) و(د) .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٦ ، باختصار .

(٨) تهذيب اللغة (بصر) ١/ ٣٤٢ ، بلفظه .

(٩) آية [٦٧] .

وقوله تعالى : ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ . قال الزَّجَّاج : أي فظلموا بتكذيبها[١] ، وعلى هذا المعنى : ظلموا أنفسهم بتكذيب تلك الآية ، ويكون المضاف محذوفاً ، وقال المفسرون : كذبوا وجحدوا بها[٢] .

قال ابن قتيبة : ويكون الظلم : الجَحْد ، كقوله : ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾؛ أي جحدوا بأنها من الله ، وكقوله : ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف :٩]؛ أي يجحدون[٣] ، وذكرنا معاني الظلم في سورة البقرة[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾؛ أي العبر والدلالات ، ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعباد؛ ليتعظوا ويخافوا ، قال قتادة : إن الله يخوف الناس بما يشاء من آياته؛ لعلهم يعتبرون[٥] أو يتذكرون أو يرجعون[٦] .

٦٠. قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ . قال مجاهد : أحاط بالناس فهم في قبضته[٧] ، وقال قتادة : يقول : يمنعك من الناس حتى

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٧ ، بنصه .

(٢) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢١٧أ ، والسمرقندي ٢/ ٢٧٤ ، والثعلبي ٧/ ١١١ب .

(٣) تأويل مشكل القرآن ٤٦٨ ، بنصه .

(٤) آية [٣٥] .

(٥) في النسخ جميعها : (يعينون) ، وفي الدر المنثور والألوسي : (يعتبون) ، والتصويب من تفسير الطبري والثعلبي ، ويحتمل الرسم أنها يفيئون . والله أعلم .

(٦) أخرجه الطبري ١٥/ ١٠٩ ، بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٢أ ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ١٠٢ ، وابن كثير ٣/ ٥٥ ، والدر المنثور ٤/ ٣٤٥ ، وتفسير الألوسي ١٥/ ١٠٤ .

(٧) تفسير مجاهد ٤٣٨ ، بنصه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ١١٠ ، بنصه من طريقين ، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ١/ ٣٦٤ ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٤٢٨ ، والماوردي ٣/ ٢٥٣ .

تبلغ رسالة ربك[١] ، وقال الحسن أي حال بينهم وبين أن يقتلوك[٢] ، كما قال : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة :٦٧] .

فعلى هذه الأقوال : معنى الآية : أن الخلق في قبضة الله ، وأنه محيط بهم بالعلم والقدرة ، فهو مانعك منهم وحافظك ، فامض لما أمرك من تبليغ الرسالة ولا تهتم .

وروي عن ابن عباس من طريق عطاء أن المراد بالناس هاهنا : أهل مكة[٣] ، وإحاطته بهم إهلاكه إيَّاهم عن قريب؛ إمَّا موتاً وإمَّا قتلاً ، وإلى هذا القول ذهب مقاتل والفرَّاء وقالا : أي إنها ستفتح لك[٤] ، وعلى هذا القول معنى الإحاطة بهم : الإهلاك؛ لقوله : ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡ﴾ [يوسف :٦٦] ، وقوله : ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة :٨١] ، وقد مرَّ ، والمعنى : أن الله أهلكهم؛ أي سيهلكهم ، ولكن ذُكر بلفظ الماضي لتحقق كونه ، وفي إهلاكه إيَّاهم فتحها لمحمد ﷺ ثم أهلكهم يوم بدر قتلاً بالسيف ، وأكثر ما يُذْكر أهلُ مكة في القرآن بلفظ الناس .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ اختلفوا في معنى هذه الرؤيا ، فأكثر المفسرين على أن المراد بها : ما أراه الله تعالى ليلة الإسراء[٥] .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٠ ، مختصراً ، وأخرجه الطبري ١٥/ ١١٠ ، بنصه وبنحوه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٤ ، بنصه ، والماوردي ٣/ ٢٥٣ ، بنحوه .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ١١٠ ، بمعناه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٦٨ ، بمعناه ، والماوردي ٣/ ٢٥٣ ، بمعناه . انظر : تفسير السمعاني ٣/ ٢٥٣ بنصه ، وابن الجوزي ٥/ ٥٣ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٢٣٥ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٢٨٢ ، وورد بلا نسبة في تفسير مقاتل ١/ ٢١٦ب ، والفخر الرازي ٢٠/ ٢٣٥ .

(٤) تفسير مقاتل ١/ ٢١٦ب ، بنحوه ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٦ ، بنصه .

(٥) وهذا القول رجَّحه الطبري ١٥/ ١٨٣ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٢٣٦ .

قال عكرمة : أمَـا إنه ليس برؤيا ولكنَّه رَأْيُ عَين ، وهي رؤيا يقظة ليست رؤيا[١] في المنام[٢] ، وهو قول سعيد بن جبير وأبي مالك وإبراهيم والسدي ومجاهد وقتادة والحسن والضحاك وابن زيد وابن جريج[٣] ، وابن عباس في رواية عكرمة : قال : هي رؤيا عين أُرِيَهَا النبي ﷺ ليلة أُسري به إلى بيت المقدس[٤] ، وهذا القول اختيار الفرَّاء وابن قتيبة[٥] ، وعلى هذا يصح أن يقال : رأيت بعيني رؤية ورؤيا[٦] .

ومعنى قوله : ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ هو أنه ارتد بعضهم حين أعلمهم قصة الإسراء ، وأنكروا وكذبوا ، وازداد المؤمنون المخلصون إيماناً .

وقال ابن عباس في رواية الوالبي : هي رؤياه التي رأى أنه يدخل مكة وأخبر بذلك أصحابه ، فلما صُدَّ عن البيت عام الحُدَيْبِيَة[٧] كان ذلك فتنة لهم ، فلما كان

---

(١) في جميع النسخ : (ليسترونا) ، والظاهر أنها كلمتان اشتبكتا في الرسم ، والصحيح المثبت .

(٢) ورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٦٨ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٤ .

(٣) تفسير مجاهد ١/ ٣٦٥ ، وأخرجه الطبري ٥/ ١١٠ـ١١٢ ، عنهم كلهم عدا السدي ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٦٨ ، عن ابن جبير ومجاهد والضحاك ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١١٢أ ، عنهم عدا إبراهيم والسدي ، والماوردي ٣/ ٢٥٣ ، عنهم عدا أبي مالك وإبراهيم والسدي وابن جريج ، والطوسي ٦/ ٤٩٤ ، عنهم عدا أبي مالك والسدي .

(٤) أخرجه بنصه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٠ ، والبخاري (٤٧١٦) ، كتاب : التفسير ، الإسراء ، والطبري ١٥/ ١١٠ من ثلاث طرق ، والسمرقندي ٢/ ٢٧٤ ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٢أ ، والماوردي ٣/ ٢٥٣ ، والطوسي ٦/ ٤٩٤ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٦ ، والغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٨ .

(٦) قال ابن الأنباري : لا فرق بين أن يقول القائل : رأيت فلاناً رؤية ، ورأيته رؤياً ، إلا أن الرؤية يقل استعمالها في المنام ، والرؤيا يكثر استعمالها في المنام ، ويجوز كل واحد منهما في المعنيين . تفسير ابن الجوزي ٥/ ٥٣ .

(٧) عام الحديبية كان في السنة السادسة من الهجرة ، والحديبية : قرية متوسطة سميت باسم بئر كانت هناك ، عند الشجرة التي حصلت تحتها بيعة الرضوان ، قال الخطابي : وسميت الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع ، وبين الحديبية ومكة مسافة (٢٥) كم تقريباً ، ويقع بعضها في الحل وبعضها في =

العام المقبل دخلها ، وأنزل الله تعالى : ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾[١] [الفتح :٢٧] ، غير أن هذا القول يَضْعُف من حيث إن هذه الرؤيا كانت بالمدينة ، وهذه السورة مكية ، والله أعلم .

وقال سعيد بن المسيب : أُري بني أمية يَنْزُون[٢] على منابرهم ، فساءه ذلك ، فقيل له : إنما هي الدنيا أُعْطُوها فسُرِّي عنه[٣] ، ونحو هذا روي عن سهل بن سعد قال : «رأى رسول الله ﷺ بني أمية يَنْزُون على منبره نَزْوَ القِرَدَةِ فساءه ذلك»[٤] .

وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء قال : رأى رسول الله ﷺ في المنام أن ولد مروان يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة[٥] ، وهذه الآية مكية ، ولم يكن

= الحرم ، وتعرف الآن باسم الشميسي ، وتقع في طريق مكة جدة القديم . انظر : الروض المعطار ١٩٠ ، ومعجم البلدان ٢/ ٢٢٩ .

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ١١٢ ، بنحوه من طريق العوفي (ضعيفة) ، وورد بنحوه في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٢أ ، والماوردي ٣/ ٢٥٣ ، والطوسي ٦/ ٤٩٤ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٩/ ١٢٧ ، وابن الجوزي ٥/ ٥٤ .

(٢) النَّزْو : هو الوَثَبان ، والمقصود يتعاقبون . انظر : المحيط في اللغة (نزو) ٩/ ٩٣ ، واللسان (نزا) ٧/ ٤٤٠٢ .

(٣) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٤ ، بنحوه ، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٦/ ٥٠٩ ، بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٢أ ، بنصه ، وأورده ابن الجوزي ٥/ ٥٤ وقال : وإن كان مثل هذا لا يصح ، ولكن ذكره المفسرون عامة ، كذلك أشار ابن حجر إلى هذا القول ورواياته ، وقال : وأسانيد الكل ضعيفة . فتح الباري ٨/ ٢٥٠ .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١١٢ ، بنصه تقريباً ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٢أ ، بنصه ، والماوردي ٣/ ٢٥٣ ، بنصه تقريباً ، والطوسي ٦/ ٤٩٤ ، بنحوه ، وهذا الأثر ضعيف كما قال ابن كثير ٣/ ٥٥ قال : وهذا السند ضعيف جدًّا؛ فإن محمد ابن الحسن بن زبالة متروك ، وشيخه ـ أي عبدالمهيمن بن عباس ـ أيضاً ضعيفٌ بالكلية ، وأورد الشوكاني الأثر وضعفه ، وقال : وفيه ضعف؛ فإنه لا فتنة للناس في هذه الرؤيا ، إلا أن يراد بالناس رسول الله ﷺ وحده ، ويراد بالفتنة ما حصل من المساءة لرسول الله ﷺ ، أو يحمل على أنه قد كان أخبر الناس بها فافتتنوا . تفسير الشوكاني ٣/ ٣٤٢ ، وظاهرٌ أن هذا القول وأمثاله من المُحدث .

(٥) ورد بنصه بلا نسبة في تفسير الخازن ٣/ ١٦٩ ، وأبي حيان ٦/ ٥٥ .

للنبـــي ﷺ بمكة منبر ، غير أنه لا يبعد أن يرى بمكة رؤيا المنبر بالمدينة ، كأنه رأى أن له بالمدينة منبراً يتداوله بنو أمية .

قولـــه تعـــالى : ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ هـــذا على التقديـــم والتأخير ، ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ﴾ ، ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ ، ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ ، واختلفوا في هذه الشـــجرة ، فالأكثرون أنها شـــجرة الزقوم التـــي ذَكر في قوله : ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخـــان :٤٣ـ٤٤] ، وهـــذا قول مسروق وســـعيد بن جبـــير وأبي مالك وإبراهيـــم ومجاهد وقتـــادة والكلبـــي وعكرمة والضحاك ، وقول ابن عباس في رواية عكرمة من طريق سفيان عن عمرو بن دينار عنه[١] ، وكانت فتنتهم في هذه الشـــجرة ما ذكر قتادة قـــال : خَوَّفَ الله بها عباده ففتنوا[٢] بذلك ، حتى قال أبو جهل : زعم صاحبكم أن في النار شـــجراً ، والنار تأكل الشـــجر ، وقال ابن الزِّبعرى[٣] : ما نعلم الزقوم إلا التَّمْر والزُّبْد ، فتزقموا منه ، فأنزل الله حين عجبوا أن يكون في النار شـــجراً : ﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ﴾ الآيات[٤] [الصافات :٦٣ـ٦٦] .

---

(١) تفســـير مجاهد ١/ ٣٦٥ ، وأخرجه عبدالـــرزاق ٢/ ٣٨١ ، عن ابن عباس وابـــن جبير ، والبخاري (٤٧١٦) ، كتاب : التفســـير ، الإسراء ، عن ابن عباس ، والطـــبري ١٥/ ١١٣ـ١١٥ ، عنهم كلهم عدا الكلبي ، وورد في معاني القـــرآن للنحاس ٤/ ١٦٩ ، عن ابن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك ، وتفسير الجصاص ٣/ ٢٠٥ ، عنهم عدا مسروق وأبي مالك والكلبي وعكرمة ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٤٢٩ ، عن مجاهد ، والمـــاوردي ٣/ ٢٥٣ ، عن مجاهد وقتادة والضحـــاك وابن جبير ، والطوسي ٦/ ٤٩٤ ، عنهم عدا الكلبي وعكرمة .

(٢) في جميع النسخ : (فَنُبِؤا) ، والتصويب من تفسيره «الوسيط» ، تحقيق سيسي ٢/ ٥١٥ .

(٣) عبدالله بن الزِّبَعْرى بن قيس الســـهمي ، أحد شـــعراء قريش ، كان شديداً على المسلمين في الجاهلية ، يهجوهم ويحرِّض عليهم كفار قريش في شـــعره ، فلما فتحت مكة هرب إلى نجران ، فقال فيه حســـان بيتاً ، فلما بلغه عاد إلى مكة وأسلم ، واعتذر إلى النبي ﷺ ، فقبل عذره وحسن إسلامه ، وشهد ما بعد الفتح .
انظر : الأغاني ١٥/ ١٧٤ ، والاستيعاب ٣/ ٣٦ ، وأسد الغابة ٣/ ٢٣٩ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨١ مختصراً ، والطبري ١٥/ ١١٤ ، بنحوه ، وورد بنحوه بلا نســـبة في تفسير

وروى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال : الشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية[١] .

وقال في رواية عطاء : يعني الحكم بن أبي العاص[٢] ، قال : «وكان رأى رسول الله ﷺ في المنام ولد مروان يتداولون منبره ، فقصَّ رؤياه على أبي بكر وعمر ، وقد خلا في بيته معهما ، فلما تفرقا سمع رسول الله ﷺ ، فاشتد ذلك عليه ، واتهم عمر في إفشاء سره ، ثم ظهر أن الحكم كان يَتَسَمَّعُ إليهم ، فنفاه رسول الله ﷺ»[٣] ، وهذه القصة كانت بالمدينة والسورة مكية ، فيبعد هذا التفسير ، إلا أن تكون هذه الآية مدنية ، ولم يقل ذلك أحد ، والله أعلم . ويؤكد أن يكون المراد بالشجرة الملعونة : الحكم ، قول عائشة لمروان : لعن الله أباك وأنت في صلبه ، فأنت فَضَضٌ[٤] من لعنة الله[٥] . والأكثرون على القول الأول ، وهو الظاهر[٦] .

مقاتل ١/ ٢١٦ب ، والثعلبي ٧/ ١١٢أ .

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢٣٧ بنصه ، والقرطبي ١٠/ ٢٨٦ وقال : وهذا قول ضعيف محدَث . وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٩٤ ، بنصه عن أبي جعفر ، وقال ابن كثير ٣/ ٥٥ : وقيل : المراد بالشجرة الملعونة بنو أمية ، وهو غريب ضعيف .

(٢) الحكم بن أبي العاص الأموي القرشي ، عمُّ عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهو أبو مروان بن الحكم ، من مسلمة الفتح ، أخرجه رسول الله ﷺ من المدينة وطرده عنها ، فنزل في الطائف مع ابنه مروان ، ولم يزل بها حتى رده عثمان ـ رضي الله عنه ـ إلى المدينة في خلافته ، وبقي فيها ، وتوفي آخر خلافة عثمان . انظر : الاستيعاب ١/ ٤١٤ ، وأسد الغابة ٢/ ٤٨ ، والإصابة ١/ ٣٤٥ .

(٣) انظر : تفسير السمعاني ٣/ ٢٥٥ ، بنحوه ، وأشار ابن حجر إلى هذا القول ، وقال : وإسناده ضعيف . فتح الباري ٨/ ٢٥١ .

(٤) قال ثعلب : معناه؛ أي خرجت من صُلْبه متفرقاً ، يعني ما انفضَّ من نطفة الرجل وتردد في صُلبه ، وقيل في قولها : فأنت فَضَضٌ من لعنة الله : أرادت إنك قِطعة منها وطائفة منها . اللسان (فضض) ٦/ ٣٤٢٧ .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (فضض) ٣/ ٢٨٠٠ ، بنحوه ، والاستيعاب ١/ ٤١٥ ، بنحوه ، انظر : أسد الغابة ٢/ ٣٨ بنحوه ، واللسان (فضض) ٦/ ٣٤٢٧ بنصه ، وأورده الألوسي ١٥/ ١٠٧ ، بمعناه ، وعزاه إلى ابن مردويه عنها .

(٦) وهو ما رجحه الطبري ١٥/ ١١٥ ، وقال ابن حجر : وهذا هو الصحيح ، وذكره ابن أبي حاتم عن

قال أبو إسحاق : فإن قال قائل : ليس في القرآن ذكر لعنها ، فالجواب في ذلك أنه لُعِنَ الكفارُ ، وهم آكلوها ، فعلى هذا يكون التقدير : ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ آكلوها ، قال : وجواب آخر : وهو أن العرب تقول لكل طعام مكروه ضَارٍّ : ملعون[١] .

وقال بعضهم : يعني الشجرة الملعونة التي ذُكرت في القرآن؛ وهي شجرة الزقوم[٢] ، وعلى هذا (في) هاهنا ظَرَفٌ للذِّكر لا لِلَّعن .

وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله : ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ قال : المذمومة[٣] ، ويدل أن المراد بالشجرة هاهنا شجرة الزقوم : ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا﴾؛ أي نخوفهم بالزَّقوم ، فما يزدادون إلا كفراً وعتواً ، وهو ما زادوا من التكذيب والإنكار حين سمعوا بذكر هذه الشجرة في القرآن ، وقد روي عن ابن عباس : أنه فسر الشجرة الملعونة بالكَشُوث[٤] ، وهو قول ضعيف وتفسير لا يليق بالآية .

٦١. قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ الآية . ذكر أهل المعاني في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجهين؛ أحدهما : أنه على معنى ما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً ، محققين لظن[٥] إبليس فيهم ، مخالفين

بضعة عشر نفساً من التابعين . فتح الباري ٨/ ٢٥١ .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٨ ، بنصه الكلام المعترض .

(٢) وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان :٤٣ـ٤٤] .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٥٥ ، بلفظه .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١١٥ ، بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٢أ ، بنحوه ، والماوردي ٣/ ٢٥٤ ، بلفظه ، انظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٦٦ ، وابن الجوزي ٥/ ٥٦ ، والقرطبي ١٠/ ٢٨٦ ، والخازن ٣/ ١٧٠ .

(٥) في (أ) و(د) : «بظن» ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح ، والأصح ظن كما في تفسير الطوسي .

موجب نعمة ربهم على أبيهم وعليهم[١] ، والثاني : أن المعنى : واذكر بتمادي هؤلاء المشركين وازديادهم عتوّاً قصة إبليس حين عصى وأبى السجود[٢] ، وذكرنا معنى هذه الآية وهذه القصة في سورة البقرة[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ . قال المفسرون وأهل المعنى : امتنع إبليس من السجود لآدم ، وأنكر أن يسجد له ، وقال : أنا ناري ، وهذا طيني[٤] ، (وذلك أن الفروع ترجع إلى الأصول ، فتكون على قدرها في التكبير أو التصغير ، فلما اعتقد إبليس لعنه الله أن النار أكرم أصلاً من الطين خامنه أنه أكرم ممن خلق من طين ، وذهب عليه بجهله أن الجواهر كلها من جنس واحد ، وأن الله يُعرِّفُها بالأعراض كيف شاء ، مع كرم جوهر الطين بكثرة ما فيه من المنافع التي تقاوم منافع النار أو تُوفي عليها)[٥] ، وقال أبو إسحاق : المعنى : لمن خلقته طيناً ، وطيناً منصوب على الحال ، المعنى : أنك أنشأته في حال كونه من طين[٦] .

٦٢. قوله تعالى : ﴿قَالَ﴾ يعني إبليس ، ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ قال الزَّجَّاج : هو في معنى أخبرني ، والكاف لا موضع لها؛ لأنها ذكرت في المخاطبة توكيداً[٧] ، وذكرنا الكلام في هذا الحرف مستقصى في سورة الأنعام[٨] ، ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ لِمَ كرمته عليَّ؟! قال : موضع هذا نصب بأَرَأَيْتَ ، والجواب محذوف ، والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمت عليَّ

(١) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٩٦ ، بنصه تقريباً .
(٢) ورد نحوه في تفسير الطبري ١٥/ ١١٦ ، والثعلبي ٧/ ١١٣أ ، والقرطبي ١٠/ ٢٨٧ .
(٣) آية [٣٤] .
(٤) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢١٦ب ، والطوسي ٦/ ٤٩٦ ، وانظر : تفسير السمعاني ٣/ ٢٥٦ ، وابن الجوزي ٥/ ٥٧ ، والفخر الرازي ٢١/ ٣ .
(٥) ما بين القوسين ورد بنصه تقريباً في تفسير الطوسي ٦/ ٤٩٦ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٩ ، بتصرف .
(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٩ ، بنصه .
(٨) آية [٤٠] .

لم كَرَّمْتَه عَليَّ ، وقد خلقتني من نـــار وخلقته من طين؟! فَحُذف هذا؛ لأن في الكلام دليلاً عليــه[١] ، ومعنى ﴿كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾؛ أي فَضَّلت ، قال ابن عباس : والكرم اسم جامع لكل ما يحمد[٢] .

وقولــه تعالى : ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ . قــال ابن عباس في روايــة الوالبي : لأستولين[٣] .

وقال الحســن : لأغوينَّ[٤] ، وقال مجاهد : لأحتوينَّ[٥] ، وروي عنه أنه قال : مثل الزِّيَاق[٦] ، هذا قول المفسرين .

وقال ابن زيد : لأضلنَّهم[٧] ، وقيل : لأستأصلنَّهم بالإغواء[٨] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٩ ، بنصه .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٢٨٧ ، بلا نسبة .

(٣) أخرجه الطــبري ١٥/ ١١٧ ، بلفظه من طريق ابــن أبي طلحة (صحيحة) ، وورد بلفظه في تفســير الماوردي ٣/ ٢٥٤ ، والطوسي ٦/ ٤٩٧ ، وانظر : تفســير ابن كثير ٣/ ٥٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) لم أقف على هذا القول ، وورد عنه تفسيره بـــ : لأستأصلن ذريته ، في تفسير هود الهواري ٢/ ٤٢٩ .

(٥) تفســير مجاهد ١/ ٣٦٥ ، بلفظه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ١١٧ ، بلفظــه من طريقين ، وورد بلفظه في تفســير هود الهواري ٢/ ٤٢٩ ، والطوسي ٦/ ٤٩٧ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٦) لم أقف عليــه ، والزياق : هو ما أحاط بالعنــق من القميص . انظر : الصحــاح (زيق) ٤/ ١٤٩٢ ، واللسان ٣/ ١٩٠ ، ومتن اللغة ٣/ ٨٠ .

(٧) أخرجه الطــبري ١٥/ ١١٧ ، بنصه ، وورد في تفســير الطوسي ٦/ ٤٩٧ ، بلفظه ، وانظر : تفســير ابن الجوزي ٥/ ٥٧ ، والقرطبي ١٠/ ٢٨٧ ، وأورده الســيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤٧ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٨) ورد بنصه في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٣ب ، والماوردي ٣/ ٢٥٤ ، وانظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٦٦ ، والفخر الرازي ٢١/ ٤ .

فأما كلام أهل اللغة في هذا الحرف ، فروى محمد بن سَـلَّام أنه سـأل يونس عن هذه الآية ، فقال : يقال : كأن في الأرض كلأً فاحتنكه الجراد؛ أي أتى عليه ، ويقول أحدُهُم : لم أجد لِجامـًا فاحْتَنَكْتُ دَابَّتي؛ أي ألقيتُ في حَنَكها حبلاً قُدْتُها به[1] .

وتفسير هذا الحرف لا يخرج عن هذين الأصلين اللذين ذكرهما يونس ، فمن قال : لأستأصلنهم ولأسـتولين عليهم ، فأصله من احتِناكِ الجرادِ الزرعَ ، وهو أن يأكلها ويستأصلها باحتناكها فيفسـدها ، ومن هذا يقال للجماعة المنتجعين :

(١) ورد في تهذيب اللغة (حنك) ١/ ٩٤٤ ، بنصه .

الحنك ، يقال : ما تركَ الأحْنَاكُ في أرضنا شيئاً ، يعنون : الجماعات المارة ، ومنه قول أبي نُخَيْلَة[١] :

إنا وكُنَّا حَنَكاً نَجْدِيَّاً[٢][٣]

هذا هو الأصل ، ثم يُسمى الاستيلاء على الشيء وأخذ كله احتناكاً ، حتى يقال : احتَنَكَ ما عند فلان؛ أي أخذه كله من علم أو مال أو غير ذلك[٤] ، واحتنكت السَّنَةُ [أموالنا][٥] إذا استأصلتها ، وأنشد أهل اللغة :

نَشْكُو إليْك سَنَةً قد أجْحَفَتْ

واحْتَنَكَتْ أموالَنَا وجلَّفَتْ[٦]

---

(١) الرَّاجز أبو نُخيلة ، اسمه يَعْمر ، وكني أبا نُخَيلة لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة ، كما قال ابن قتيبة ، وفي الأغاني عن الأصمعي وابن حبيب أنه لا يعرف له اسم غيره ، وله كنيتان : أبو الجُنيد وأبو العِرماس ، كان عاقاً لأبيه فنفاه أبوه عن نفسه ، فخرج إلى الشام وأقام هناك إلى أن مات أبوه ، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه ، مطعوناً عليه ، مات سنة ١٤٥هـ . انظر : الشعر والشعراء ٣٩٩ ، والأغاني ٢٠/ ٤٠٣ ، والخزانة ١/ ١٦٥ .

(٢) وعجزه :

لمَّا انْتَجَعْنا الورقَ المَرْعِيَّا

ورد في الأساس ٢٠٣ ، واللسان (حنك) ٢/ ١٠٢٨ .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (حنك) ١/ ٩٤٣ ، بنصه .

(٤) ورد نحوه في مجاز القرآن ١/ ٣٨٤ .

(٥) زيادة يقتضيها السياق ، كما في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٩ .

(٦) ورد بلا نسبة في مجاز القرآن ١/ ٣٨٤ ، وتفسير الطبري ١٥/ ١١٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٩ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١١٣ب ، والماوردي ٣/ ٢٥٤ ، والطوسي ٦/ ٤٩٧ ، وابن عطية ٩/ ١٣٤ ، والقرطبي ١٠/ ٢٨٧ ، والدر المصون ٧/ ٣٨٠ ، في بعض الروايات : جَنَّفَتْ واجتلفت بدل جلَّفَتْ؛ (الجَلْفُ) : القَشْرُ ، والجالفةُ : السَّنة التي تذهبُ بأموال الناس؛ من جلفت الشيءَ : إذا قلَعْتَه واستأصلْتَه . العباب الزاخر : ف/ ٦٧ .

ومن قال : لأغوينَّهم ولأقودنَّهم إلى المعاصي ، كما روي عن مجاهد أنه قال : مثل الزِّياق ، فأصله من قولهم : حَنَكَ الدابةَ يَحْنُكُها ، إذا ربط في حَنَكِها الأسفل حَبْلاً يقودها به[١] ، ومثله : احتنك ، وأنشد ابن الأعرابي[٢] :

فإنَّ لدَينا مُلْجِمِينَ وحانِكا[٣]

والمعنى على هذا الأصل : لأقودنَّهم حيث شئت ، كمن يُربط في حَنَكه الزياق فيقاد .

قال الأخفش في قوله : ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ : لأستأصلَنَّهم ولأستميلَنَّهم[٤] ، فذكر القولين ، ونحوه قال أبو عبيدة سواءً[٥] ، واختار الفرَّاء والزَّجَّاج وابن قتيبة الأول[٦] ، وهو أنه مأخوذ من احتناك الجراد الزرع ، وكلا القولين مأخوذ من الْحَنَك على ما بَيَّنَّا .

---

(١) ذكره ابن السكيت في الإصلاح ٧١ ، بنصه ، وورد بنحوه في الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٨ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٧١ ، وانظر : تهذيب اللغة (حنك) ١/ ٩٤٤ ، والمحيط في اللغة ٢/ ٣٨٣ .

(٢) البيت لزَبَّان بن سَيَّار الفزَاري ، كما في تهذيب اللغة (حنك) ١/ ٩٤٤ ، وتصحفت في اللسان إلى : زياد ، والصحيح أنه زبان ، كما في الاشتقاق ٢٨٣ .

(٣) صدره :

فإنْ كنتَ تُشْكَى بالجِماعِ ابنَ جعفر

ورد في تهذيب اللغة (حنك) ١/ ٩٤٤ ، واللسان (حنك) ٢/ ١٠٢٨ .

(٤) ليس في معانيه ، وورد في تهذيب اللغة (حنك) ١/ ٩٤٤ ، بنصه .

(٥) مجاز القرآن ١/ ٣٨٤ ، بنصه .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٧ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٩ ، والغريب لابن قتيبة ١/ ٢٦٠ .

وقولــه تعالى : ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني المعصومين ، قال ابن عباس : يريد بالقليل أولياء الله الذيــن عصمهم[١] ، وهم الذين اســتثناهم الله -عز وجل- في قوله : ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر :٤٢] .

فإن قيل : كيف ظن إبليس هذا الظن الصادق بذرية آدم؟ فالجواب عن هذا : أن الله تعالى كان قد أخبر الملائكة أنه سيجعل في الأرض من يفسد فيها ويسفك[٢] الدماء ، على قول بعض المفسرين[٣] ، وكان إبليس قد علم بذلك ، وقيل : إنما قال ذلك لأنه وسوس إلى آدم فلم يجد له عزماً ، فقال بَنُو هذا مِثلُه في ضعف العزيمة ، وهذا معنى قول الحسن[٤] .

٦٣. قولــه تعــالى : ﴿قَالَ اذْهَبْ﴾؛ أي قــال الله تعالى لإبليــس : اذهب ، وهذا اللفــظ يتضمن معنى إنظــاره وتأخير أجلــه ، ﴿فَمَن تَبِعَكَ﴾؛ أي أطاعك واتبع أمــرك وتســويلك ، ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي من ذرية آدم ، ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ﴾ الفاء تتضمن هاهنا جواب الشرط ، وهذه المســألة قد مضــت في مواضع ، ﴿جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ من وَفَرْته أفِره وَفْراً وفِرَةً ، وهــذا مُتعد ، واللازم قولك : وَفر المالُ يَفــر وُفُوراً فهو وافر[٥] ، قال

(١) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٥٧ ، بنصه .

(٢) في (أ) و(د) : (ولا يسفك) بزيادة (لا) والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح المتسق مع السياق .

(٣) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٩٧ ، بنصه .

(٤) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٩٨ بنصه ، انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٢٨٧ ، وأبي حيان ٦/ ٥٨ وقال : وهذا ليس بظاهر؛ لأن قول ذلك كان قبل وسوسته لآدم في أكل الشجرة . وما قاله أبو حيان متوجه ، إلا أن يكون الحسن أراد بقوله ما ورد عن أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال : «لــمَّا صوَّر الله آدم في الجنة تركه ما شــاء الله أن يتركه ، فجعل إبليس يُطيف به ينظر ما هو ، فلما رآه أجوفَ عرف أنَّه خُلق خلقاً لا يتمالك» أخرجه مسلم (٢٦١١) ، كتاب : البر والصلة ، باب : خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (وفر) ٤/ ٣٩٢٥ ، بنصه .

الزَّجَّاج : ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾؛ أي مُوَفَّراً ، يقال : وَفَرْته أَفِرُهُ وهو مَوْفُورٌ ، وأنشد لزهير :

ومن يَجْعَلِ المعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ

يَفِرْهُ ومَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ[1][2]

وانتصب جزاءً على المصدر .

٦٤. قوله تعالى : ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾ . قال الفرَّاء : اسْتَخِف[3] .

وقال أبو إسحاق : معناه : استدعه استدعاءً تستخفه به إلى جانبك[4] ، ويقال له : فَزَّه[5] الخوف واستفزه؛ أي أزعجه واستخفه ، قال أبو ذؤيب :

شَبَبٌ أفزَّتْهُ الكلابُ مُرَوَّعُ[6]

---

(١) شرح ديوان زهير ٣٠ ، وشرح القصائد السبع ٢٨٧ ، وورد في الأغاني ٢/ ١٦٠ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٤٩٧ ، والفخر الرازي ٢١/ ٥ ، والدر المصون ٧/ ٣٨١ ، وورد بلا نسبة في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٧٢ ، والخزانة ٢/ ٤١٠ ، ٨/ ١٢٧ ، (يَفِرْه) : يجعله وافراً ، ومعناه : من اصطنع المعروف إلى الناس وقَى عرضه .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٩ ، بنصه .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٧ ، بلفظه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٠ ، بنصه تقريباً ، وقد نقله من تهذيب اللغة (فز) ٣/ ٢٧٨٥ لوروده بنصه .

(٥) في (أ) و(د) : (أفزوه) ، والمثبت من (ش) و(ع) هو الصواب .

(٦) صدره :

والدّهرُ لا يبقى على حَدَثَانِهِ

ديوان الهذليين ١٠ ، وورد في الصحاح (فز) ٣/ ٨٩٠ ، واللسان (فزز) ٦/ ٣٤٠٩ ، والتاج (فزز) ٨/ ١٢٣ ، وورد بلا نسبة في تهذيب اللغة (فز) ٣/ ٢٧٨٥ ، والمخصص ٨/ ٣٣ ، الشَّبب : الثور المسنُّ ، (أفزَّته) : استخفته وطردته .

ومعنى صيغة الأمر هاهنا : التهدد ، كما يقال للإنسان : اجتهد جهدك فسترى ما ينزل بك[١] .

وقال الزَّجَّاج : الأمر إذا تقدمه نهي عما يؤمر به ، كان المعنى في الأمر : الوعيد؛ لأنك قد تقول : لا تدخل هذه الدار ، فإذا حاول أن يدخلها قلت : ادخلها ، فَلَسْتَ تأمره بدخولها ، ولكنك تُوعِده ، وهذا في الاستعمال كثير ، ومثله : ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت :٤٠] ، وقد نهوا أن يتبعوا أهواءهم[٢] .

ومعنى الآية يقول : أزعج واستخفف من استطعت من بني آدم .

﴿بِصَوۡتِكَ﴾ . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : صوته كلُّ داعٍ دعا[٣] إلى معصية الله تعالى[٤] ، وقال عطاء عنه : كل متكلم في غير ذات الله فهو صوت الشيطان[٥] .

وقال مجاهد : هو الغناء والمزامير[٦] ، وهو قول عكرمة[٧] .

---

(١) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٩٩ ، بنصه تقريباً .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥١ ، بتصرف يسير .

(٣) انقلب الكلام في النسخ جميعها كالتالي : صوته دعا كل داعٍ إلى . والتصويب من تفسير الطبري والدر المنثور .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١١٨ بنصه ، وورد بنحوه في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٥ ، والثعلبي ٧/ ١١٣ب ، والطوسي ٦/ ٤٩٩ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤٨ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥١٨ ، بنصه .

(٦) أخرجه الطبري ١٥/ ١١٨ ، بنحوه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٧٢ ، بنصه ، وتفسير الجصاص ٣/ ٢٠٥ ، بنحوه ، والثعلبي ٧/ ١١٣ب ، بنصه ، والماوردي ٣/ ٢٥٥ ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٤٩٩ ، بنحوه .

(٧) لم أقف عليه .

وقولــه تعالى : ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ . قال الفرَّاء في كتاب المصادر ، يقال : أجلب إجلابــاً ، والجلَبة : الصوت ، وربما قالوا : الجَلَبُ ، كما قالــوا : الغَلَبَةُ والغَلَبُ ، والشَّفَقَةُ والشَّفَقُ[١] .

وقال الليث : أَجْلَبُوا وجَلَّبوا من الصِّياح[٢] ، ونحوه قال أبو عبيدة[٣] .

وقال أبو إسحاق في (فعل وأفعل) : وأجلب على العدو إجلاباً إذا جمع عليه الخيول[٤] .

وقال ابن الســكيت : يقال : هــم يُجْلِبون عليه ، ويُجْلِبــون عليه بمعنى؛ أي يُعينون عليه[٥] .

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي : أَجْلَبَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ ، إذا تَوَعَّدَه الشر وجَمَعَ عليه الجمع ، بالجيم[٦] ، هذا قول أهل اللغة في معنى الإجلاب ، ومعنى الآية على قول الفرَّاء وأبي عبيدة : (صِح عليهــم بخيلك ورجلك)[٧] ، وأَخْبِثهم[٨] عليهم بالإغواء ، وعلى قول أبي إســحاق ، معناه ما ذُكِر؛ أي اجمــع عليهم كل ما تقدر عليه من مكائدك[٩] ، وتكون الباء في : ﴿بِخَيْلِكَ﴾ زائدة في هذا القول ، وعلى قول ابن السكيت ، معنى الآية : أعن عليهم بخيلك ورجلك؛ أي أعن نفسك عليهم

---

(١) لم أقف عليه ، وورد بنحوه في تفسير الطبري ١٥/ ١١٨ ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٦ .
(٢) ورد في تهذيب اللغة (جلب) ١/ ٦٢٦ ، بنصه .
(٣) ليس في مجاز القرآن .
(٤) فعلت وأفعلت ٢١ ، بنصه تقريباً .
(٥) ورد في تهذيب اللغة (جلب) ١١/ ٩٠ ، بنصه .
(٦) ورد في تهذيب اللغة (جلب) ١١/ ٩٠ ، بنصه .
(٧) تكررت العبارة ما بين القوسين في (أ) و(د) ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٠٥ .
(٨) يقال : أخبث فهو مُخبث؛ إذا صار ذا خُبثٍ وشرٍّ . تهذيب اللغة (خبث) ١/ ٩٧٣ .
(٩) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٠ ، بنصه .

بخيلك ، ومفعول الإجلاب على هذا القول محذوف ، كأنه يستعين على إغوائهم بخيله ورجله ، وهذا معنى قول مقاتل في هذه الآية[١] .

واختلفوا في تفسير الخيل والرجل ، فروى أبو الضحى عن ابن عباس قال : كل راكب أو راجل في معصية الله فهو من خيل إبليس وجنوده[٢] ، ونحو هذا القول روى مجاهد عنه ، والوالبي وعطاء[٣] ، وروى ليث عن مجاهد قال : خيله : من استخف منهم معه على الخيل في المعاصي ، ورجله : من استخف منهم معه على رجليه في المعاصي[٤] .

وقال الفرَّاء : يعني خيل المشركين ورجالهم[٥] ، ويدخل في هذا كل راكب وماش في معصية الله ، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشعراء :٩٥] ، والجند يَعُمُّ الفارسَ والراجلَ ، هذا قول جماعة أهل التفسير وعامتهم ، ومن أهل التأويل من يقول : يجوز أن يكون هذا مَثَلاً ، كما تقول للرجل المجدِّ في الأمر : جئت بخيلك ورجْلك[٦] ، والرَّجْلُ جمع رَاجِل ، كما قالوا : تَاجرٌ وتَجْرٌ ، وصاحِبٌ وصَحْبٌ ، وراكبٌ ورَكْبٌ[٧] ، ومضى الكلام في هذا عند قوله : ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة :٢٣٩] .

---

(١) تفسير مقاتل ١/ ٢١٧أ ، بنحوه .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ١١٨ ، بنحوه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٧٣ ، وتفسير الجصاص ٣/ ٢٠٥ ، والثعلبي ٧/ ١١٣ب ، والطوسي ٦/ ٤٩٩ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) أخرجه الطبري ٨/ ١٠٨ ، بنحوه .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٧ ، بنصه .

(٦) ورد في الحجة للقراء ٥/ ١١١ ، بنصه .

(٧) ورد في تفسير الطبري ٥/ ١١٩ ، بنحوه ، والحجة للقراء ٥/ ١١٠ ، بنصه .

وروى حفص عن عاصم : ﴿وَرَجِلِكَ﴾ مكسورة الجيم[١] ، قال أبو زيد : يقال : رَجْلٌ ورَجِلٌ بمعنى واحد ، ومثله :حَذْرٌ وحَذِرٌ ، ونَدْسٌ ونَدِسٌ[٢] ، وأنشد[٣] :

أمَا أُقَاتِلُ عن دِيني علـى فَـرسٍ ولا كـذا رَجُـلاً إلا بأصْحَابِ[٤]

كأنه قال : أمَا أقاتل فارساً ورَاجِلاً[٥] ، وعلى هذه القراءة : ﴿وَرَجِلِكَ﴾ واحدٌ يعني به الكثرة ، وقال ابن الأنباري : أخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفرَّاء قال : يقال هو رَاجِلٌ ورَجِلٌ ورَجْلٌ ورَجْلان بمعنى[٦] ، وأنشد[٧] :

عَلَيَّ إذا أبْصَرتُ ليلـى بِخَلْـوَةٍ أن ازدار بيتَ اللهِ رَجْلانَ حافيا[٨]

---

(١) انظر : السبعة ٣٨٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٧٧ ، وعلل القراءات ١/ ٣٢٤ ، والحجة للقراء ٥/ ١٠٩ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٩ ، وقرأ أبو بكر عن عاصم والباقون ساكنة الجيم .

(٢) النَّدُس : الصوت الخفي ، ورجل نَدْسٌ ونَدُسٌ ونَدِسٌ؛ أي فَهِمٌ ، سريع السمع ، فَطِن ، وقال يعقوب : هو العالم بالأمور والأخبار . وقال الليث : السريع الاستماع للصوت الخفي . اللسان (ندس) ٧/ ٤٣٨٣ .

(٣) البيت لحيي بن وائل .

(٤) ورد في النوادر ١٤٨ ، واللسان (رجل) ٣/ ١٥٩٧ ، وورد بلا نسبة في الحجة للقراء ٥/ ١١٠ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٤٦٤ ، وتفسير ابن عطية ٩/ ١٣٧ ، وشرح المفصل ٥/ ١٣٣ ، وفي النوادر ، قال أبو حاتم : وقوله رجُلاً : معناه رَاجلاً ، كما تقول العرب : جاءنا فلان حافياً ورَجُلاً؛ أي رَاجلاً .

(٥) النوادر ١٤٨ . ذكر البيت والتعليق ، وورد في الحجة للقراء ٥/ ١١٠ ، بنحوه ، والظاهر أنه نقله من الحجة .

(٦) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٦ ، وفي اللسان (رجل) ٣/ ١٥٩٧ رَجلَ الرَّجُلُ رَجَلاً ، فهو راجل ورَجُلٌ ورَجِلٌ ورَجِيلٌ ورَجْلٌ ورَجْلان .

(٧) البيت لمجنون بني عامر ، وهو قيس بن الملوح ، توفي ٦٨هـ .

(٨) ورد في ديوانه ٣٠١ ، ٣٠٦ . بروايتين :
الأولى :
حلفـتُ لَئِـنْ لاقيتُ ليلـى بخلـوةٍ أطـوفُ ببيتِ اللهِ رَجْلَانَ حـافيَا =

وقوله تعالى : ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ . اختلفت الروايات في تفسير مشاركة الشيطان بني آدم في الأموال والأولاد عن ابن عباس ، فقال في رواية الوالبي : ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ وهو كل مال أصيب من حرام أو أنفق في حرام ، ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ ما قُتِلوا منهم وأتوا فيهم الحرام[١] ، ونحو هذا روى عنه مجاهد ، فقال : كل مال أُخذ بغير حقه ، وكل ولد زنا[٢] ، وهو معنى ما روى عنه عطاء ، ويدخل في هذا : الزنا والغصوب والمعاملات الفاسدة والربا وقتل الأولاد والوأد ، وروى عنه عكرمة في مشاركته في المال : بتبتكهم آذان الأنعام[٣] .

وقال في رواية العوفي : هو ما كانوا يحرمونه من الأنعام[٤] ، وهو قول قتادة قال : أما في الأموال : فأمرهم أن يجعلوا بحيرة وسائبة ، وأما في أولادهم : فإنهم هودوهم ونصَّروهم ومجَّسوهم[٥] .

= والثانية :

علـيَّ لَئِـنْ لاقيتُ ليلـى بخلـوةٍ زيـارةُ بيـتِ اللهِ رَجْـلَان حـافيَـا

وورد بلا نسبة في اللسان (رجل) ٣/ ١٥٩٧ ، ومغني اللبيب ٦٠١ ، وشرح التصريح ١/ ٣٨٥ ، وشرح شواهد المغني ٢/ ٨٥٩ ، وشرح الأشموني ٢/ ٣١٢ ، وفي بعض الروايات : لاقيتُ ، وزُرتُ ، وجئتُ بدل أبصرت ، وبخُفْيةٍ بدل بخلوة .

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ١٢١ ، من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، ولفظه : ما قتلوا من أولادهم وأتوا فيهم الحرام ، ومن الطريق نفسها في رواية أخرى ١٥/ ١١٩ . قال : كل مال في معصية الله ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٣ب ، وفيه ذكر الأموال فقط ، وفي رواية أخرى ذكر الأولاد فقط ، فلعل الواحدي ـ رحمه الله ـ جمع الروايتين في سياق واحد .

(٢) ورد عن مجاهد في تفسيره ١/ ٣٦٦ ، قال : شركته في الأموال : الحرام ، وفي الأولاد : الزنا ، وأخرج الطبري ١٥/ ١٢٠ من طرق عدة عن مجاهد قال : أولاد الزنا .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٦ ، بنصه .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٢٠ ، بنصه (ضعيفة) ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٣ب ، بمعناه ، والماوردي ٣/ ٢٥٥ ، بمعناه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٥٨ .

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨١ ، بنحوه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٢١ في روايتين ، ذكر في إحداهما الأموال ١٥/ ١٢١ ، وفي الثانية الأولاد ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٣ب . من دون ذكر الأولاد .

وقال في رواية أبي صالح : مشاركته إياهم في الأولاد : تسميتهم أولادهم [عبد][١] الحارث وعبد شمس وعبد فلان[٢] .

قال أبو إسحاق أي أمرهم بأن يجعلوا من أموالهم شيئاً لغير الله ، كما قال الله : ﴿فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام :١٣٦] ، والشركة في الأولاد : قولهم : عبدالعزى وعبد الحارث[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَعِدْهُمْ﴾ قال الفرَّاء أي قل : لا جنة ولا نار[٤] ، قال الزَّجَّاج : ﴿وَعِدْهُمْ﴾ بأنهم لا يبعثون[٥] ، ثم قال الله : ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ .

٦٥. قوله تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس والكلبي : يريد أوليائي ليس لك عليهم حجة في الشرك[٦] .

وقال قتادة : عباده الذين لا سلطان له عليهم المؤمنون ، وقال في آية أخرى : ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾[٧] [النحل :١٠٠] .

وقوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ . قال أبو إسحاق : وكيلاً لأوليائه يعصمهم من القبول من إبليس[٨] ، وهذا يدل على أن المعصوم من عصمه الله .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ١٢١ ، بنصه (ضعيفة) ، وورد في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٥ ، بنصه ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١١٣ب ، بنصه ، والماوردي ٣/ ٢٥٦ ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٤٩٩ ، بنحوه ، أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤٨ ، وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٠ ، بتصرف يسير .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٧ ، بنصه .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٠ ، بنصه .

(٦) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٢٠ ، بنصه عن ابن عباس .

(٧) أخرجه الطبري ١٥/ ١٢٢ ، بنصه .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥١ ، بنصه .

٦٦. قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾. الإزجاء: سوق الشيء حالاً بعد حال، ذكرنا ذلك في قوله: ﴿بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ [يوسف: ٨٨]، قال السدي: يُسَيِّرُ[١]، ونحوه قال الزَّجَّاج[٢]، ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ في طلب التجارة.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾. قال ابن عباس: يريد بأوليائه وأهل طاعته[٣]، والخطاب في قوله: ﴿رَبُّكُمُ﴾ عام، وفي آخر الآية خاص.

٦٧. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ قال ابن عباس: يريد يا معشر المشركين، يعني أن الخطاب للمشركين، وفسَّر الضر هاهنا بخوف الغرق.

وقوله تعالى: ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾؛ أي زال وبطل من تدعون من الآلهة، ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إلا الله تعالى، و(إِيَّاهُ) استثناء بعد الإيجاب، فيكون موضعه نصباً، كما تقول: بطلت الآلهة إلا الله، قال ابن عباس: نسيتم اتخاذ الأنداد والشركاء وتركتموهم وأخلصتم لله[٤]، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾ من الغرق والبحر، وأخرجكم ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن الإيمان والإخلاص، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾. قال ابن عباس: يريد أهل مكة[٥].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥١، بلفظه.

(٣) ورد في تفسيره الوسيط، تحقيق سيسي ٢/ ٥٢٠، بنصه.

(٤) ورد في تفسيره الوسيط، تحقيق سيسي ٢/ ٥٢١، بنصه.

(٥) انظر: تنوير المقباس ٣٠٣، بلفظه.

وقال أبو إسحاق : الإنسان هاهنا يعني به الكفار خاصة[١] ، وفي هذا احتجاج على الكفار حيثُ لـــمَّا وقعوا في الشـــدة التي لا يُطْمَع في قدرة أحد على كشـــفها أخلصوا الدعاء لله بكشف ذلك البلاء ، فلما نَجَّاهم بطروا النعمة وكفروا به .

٦٨. ثـــم بَيَّن أنه قـــادر أن يهلكهم في البر بمثل ما يهلـــك في البحر ، فقال : ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ﴾ . قال الليث : الخســـف سُؤُوخُ الأرض بما عليها[٢] ، يقال : خســـف الله به الأرض؛ أي غاب به فيها ، ومعنى الخســـف والخســـوف : الدخول في الشيء ، يقال : عين خاسفة؛ وهي التي غابـــت حدقتها في الـــرأس ، وعين من الماء خاســـفة؛ أي غائرة الماء ، والشـــمسُ تُخْسَفُ خُسُـــوفاً ، وهو دخولها في السماء كأنها تكون في جُحْرٍ[٣] ، فمعنى قولـــه : ﴿يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ﴾ يُغَيِّبكم ويُذْهِبُكم في جانب الـــبر ، وهو الأرض ، وإنما قال : ﴿جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾؛ لأنه ذكر البحر في الآيـــة الأولى ، فهو جانب ، والبر جانب ، أخـــبر الله تعالى أنه[٤] كما قدر أن يغيبهم في الماء قـــادر أن يغيبهم في الأرض ، قال ابن عباس في قولـــه : ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ يريد : حيث أعرضتم حين سلمتم من هول البحر .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥١ ، بنصه .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (خسف) ١/ ١٠٢٩ ، بنصه .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (خســـف) ١/ ١٠٣٠ ، بنحـــوه ، انظر : المحيط في اللغة (خســـف) ٤/ ٢٦٧ ، واللسان ٢/ ١١٥٧ .

(٤) في (أ) و(د) : (أنه قال) ، والظاهر أن (قال) زائدة ، وقد أدت إلى اضطراب المعنى ، والمثبت من (ش) و(ع) .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ معنى الحَصْبِ في اللغة الرمي ، يقال : حَصَبَ أَحْصُبُ حَصْباً إذا رميت ، والحَصْبُ : الرمي[١] ، ومنه قوله تعالى : ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء :٩٨]؛ أي تلقون فيها ، ومعنى قوله : ﴿حَاصِبًا﴾ عذاباً يحصبهم؛ أي يرميهم بحجارة ، ويقال للريح التي تحمل التراب والحصباء : حاصب ، وللسحاب يرمي بالثلج والبرد : حاصب؛ لأنه يرمي بهما رمياً ، ومنه قول الفرزدق :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشَّأْمِ تَضْرِبُنا بِحاصبٍ كَنديفِ القُطْنِ مَنْثُورِ[٢]

أي سحاب حاصب ثلجاً كنديف القطن ، فحذف الموصوف والمشبه وأقام المشبه به ، وهو قوله : كنديف القطن ، وقال أبو إسحاق : الحاصب : التراب الذي فيه حصباء[٣] ، والحاصب على هذا ذو الحصباء ، مثل : اللابن والتامر ، وعلى هذا فُسِّرَ بيتُ الأخطل :

تَرْمي الخصالَ[٤] بِحَاصِبٍ مِنْ ثَلْجِهَا

حتى يَبِيتَ على العِضَاهِ جِفالَا[٥]

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (حصب) ١/ ٨٣٤ ، والصحاح ١/ ١١٢ ، واللسان ٢/ ٨٩٤ .

(٢) ديوانه ١/ ٢١٣ ، وورد في مجاز القرآن ١/ ٣٨٥ ، والكامل ٣/ ٥٧ ، والموشح ١٢٧ وفيه : (تضربهم) ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١١٤أ ، والسمعاني ٣/ ٢٦٢ ، وابن الجوزي ٥/ ٦١ ، والقرطبي ١٠/ ٢٩٢ ، وورد بلا نسبة في تفسير الطبري ١٥/ ١٢٤ ، والطوسي ٦/ ٥٠٢ ، وابن عطية ٩/ ١٤٢ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥١ ، بنصه .

(٤) في الديوان والمصادر جميعها : (العِضَاهُ) ، والمعنى واحد .

(٥) ديوانه ١/ ١٠٨ ، وورد في تفسير الطبري ١٥/ ١٢٤ ، وابن عطية ٩/ ١٤٢ ، وشرح ديوان الأخطل ٣٨٧ . (ترمي) : الضمير يعود على ريح الشمال ، (الخصال) : جمع خَصْلة وخُصْلة؛ وهو العُنقود ، والخَصْلة والخُصْلة والخَصَلة كل ذلك : عُودٌ فيه شوك ، (العضاه) : من شَجر الشوك؛ وهو ما كان له أُرومَةٌ تبقى على الشتاء ، قيل : واحده عضة وعِضَهَة وعِضاهَة ، جفالاً؛ الجفال : ما تراكم من الثلج بعضه فوق بعض . انظر : المحيط في اللغة (عضه) ١/ ١٠٩ ، واللسان (خصل) .

أي ترميها بذي حصباء من ثلجها ، يعني : سحاباً فيه ثلج ، فهو يرمي بها .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ . قال قتادة : يقول : مانعاً ولا ناصراً[١] ، والمعنى : لا تجدوا أحداً وكلتم إليه أموركم أو تكلون إليه أموركم فهو يمنعكم وينصركم .

٦٩. قوله تعالى : ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾؛ أي في البحر ، ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾؛ أي مرة أخرى ، قال الليث : ﴿تَارَةً﴾ ألفها واو وجمعها تِيَرٌ ، وتجمع تارات أيضاً[٢] ، قال الفرَّاء : والفعل منها : أتَرت؛ أي أعدت تارة وتارتين وتِيَراً ، مثل : قَامَة وقِيَم[٣] ، وقال لبيد يصف عَيْراً :

يُدِيمُ سَحِيلَهُ وَيُتِيرُ فِيهِ ... وَيُتْبِعُهَا خِنَافاً فِي زِمَالِ[٤]

أي يديم نهيقه ويعيده مرة أخرى .

وقوله تعالى : ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ ، القاصف : الكاسر ، يقال : قَصفَ الشيءَ يقصفه قصفاً ، إذا كسر[٥] كسراً بشدَّة ، والقاصف من الريح التي[٦]

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ١٢٣ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (تار) ١/ ٤١٨ ، بنصه .

(٣) لم أقف عليه ، انظر : الشامل لجموع التصحيح والتكسير ٣/ ٣١٩ .

(٤) شرح ديوان لبيد ٨٤ ، وورد في تهذيب اللغة ١/ ٤١٩ ، واللسان (تور) ١/ ٤٥٥ ، وفي الجميع (يُجِد) بدل (يديم) ، (يُجِدُّ) : من أجدَّ يجد من الجد في الأمر ، سحيلاً؛ السحيل : الصوت يقطعه في جوفه ، (خنافاً) : يقال خنفت الدابة مالت بيديها في أحد شقيها من النشاط ، والخانف : الذي يشمخ بأنفه من الكبر ، (زمال)؛ الزمال : العدو في جانب . انظر : اللسان (خنف) ٢/ ١٢٧٩ .

(٥) هكذا في النسخ جميعها ، والأولى كسره .

(٦) ساقطة من (أ) و(د) .

تكسر الشجر ، وتدق كل شيء وتحطمه[١] ، وأراد هاهنا ريحاً شديدة تقصف الفلك وتغرقهم .

وقوله تعالى : ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾؛ أي بكفركم ، حيث سَلِمتم ونجوتم في المرة الأولى ، ويُقرأ قوله : ﴿أَن يَخْسِفَ﴾ وأخواته من الأفعال[٢] بالياء والنون ، فمن قرأ بالياء[٣] لأن ما قبله على الواحد الغائب ، وهو قوله : ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾ ، ومن قرأ بالنون[٤] فلأن هذا النحو قد ينقطع بعضه من بعض ، وهو سهل؛ لأن المعنى واحد ، ألا ترى أنه قد جاء : ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ [الإسراء :٢] ، فانتقل من الجمع إلى الإفراد ، كذلك هاهنا يجوز أن ينتقل من الغيبة إلى الخطاب ، والمعنى واحدٌ ، وكلٌّ حَسَنٌ[٥] ، ويؤكد النون :

٧٠. قوله : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ قال ابن عباس : يريد فضلنا[٦] ، وهو كقوله : ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء :٦٢] . روى ميمون بن مهران عنه في قوله : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ قال ابن عباس : كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم يأكل بيديه[٧] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (قصف) ٣/ ٢٩٧٨ ، والمحيط في اللغة ٥/ ٢٧١ ، والصحاح ٤/ ١٤١٦ ، واللسان ٦/ ٣٦٥٤ .

(٢) هي : (أو نرسل) و(أن نعيدكم) و(فنرسل عليكم) و(فنغركم)

(٣) هم : نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي . انظر : السبعة ٣٨٣ ، وعلل القراءات ١/ ٣٢٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٧٧ ، والحجة للقراء ٥/ ١١١ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٩ .

(٤) مثل ابن كثير وأبو عمرو ، انظر : المصادر السابقة .

(٥) الحجة للقراء ٥/ ١١١ ، بتصرف يسير ، وهناك توجيه آخر لابن خالويه : فالحجة لمن قرأه بالنون : أنه جعله من إخبار الله عن نفسه ، والحجة لمن قرأه بالياء : أنه جعله من إخبار النبي ﷺ عن ربه . الحجة في القراءات ٢١٩ .

(٦) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٢٢ .

(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٧٧ ، مختصراً ، وهو في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٤أ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٠ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه . وورد بنحوه منسوباً للكلبي في تفسير الماوردي ٣/ ٢٥٧ .

وروى عنه أيضاً أنه قال : بالعقل[١] .

وقال الضحاك : بالنطق والتميز[٢] .

وقال عطاء : بامتداد القامة وتعديلها[٣] .

وقال يمان : بحسن الصورة[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : يريد في البحر على السفن ، وفي البر على الإبل والخيل والبغال والحمير[٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ . قال : يريد الثمار والحبوب والمواشي .

وقال مقاتل : السمن والزُّبْدُ والحلاوى ، وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى عليكم[٦] .

---

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٤أ ، بلفظه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٦٣ ، والخازن ٣/ ١٧٢ .

(٢) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٧ ، لكنه قال : «بالعقل والتمييز» ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١١٤أ ، بنصه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٦٣ ، والفخر الرازي ٢١/ ١٣ ، والقرطبي ١٠/ ٢٩٤ .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٤أ . لكنه قال : «بتعديل القامة وامتدادها» . انظر : المراجع السابقة .

(٤) ورد في الثعلبي ٧/ ١١٤أ ، بنصه ، وانظر : زاد المسير ، والقرطبي .

(٥) ورد بنصه بلا نسبة في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٤أ ، وتفسيره الوسيط ٢/ ٥٢٣ .

(٦) ليس في تفسيره ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٤أ ، بنصه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٠٨ ، والقرطبي ١٠/ ٢٩٥ .

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ، روى مكحول عن ابن عباس في هذا ، قال : البهائم تأكل بأفواهها ، وابن آدم يأكل بيده[١] ، ونحو هذا قال عكرمة[٢] .

وقال محمد بن جرير : فضلناهم بتسليطهم على البهائم والوحوش ، وكثيرٌ من خلق الله سخرناها لهم[٣] . وقال السدي : فُضِّلوا على البهائم والدواب والوحوش ، وهم الكثير[٤] .

وقال الكلبي : فضلوا على الخلائق كلهم إلا[٥] عن طائفة من الملائكة؛ جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وأشباههم[٦] .

وقال أبو إسحاق : قال : ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾ ، ولم يقل : على كل من خلقنا؛ لأن الله فضل[٧] الملائكة[٨] ، ولكن ابن آدم مفضل على سائر الحيوانات التي لا تعقل ولا تميز .

---

(١) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٧٦ ، بنحوه .

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب ٥/ ٧٧ مختصراً ، عن عكرمة عن ابن عباس .

(٣) تفسير الطبري ١٥/ ١٢٥ ، بنحوه .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٢٣ ، بنصه .

(٥) ساقطة من (د) ، وفي (ش) و(ع) : (غير) .

(٦) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٤أ ، بنصه ، انظر : تفسير السمعاني ٣/ ٢٦٣ ، والبغوي ٥/ ١٠٨ ، والخازن ٣/ ١٧٢ ، وورد عن ابن عباس في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٧ ، وابن الجوزي ٥/ ٦٢ .

(٧) في النسخ جميعها : (لأن الله فضل الله الملائكة) ، بزيادة لفظ الجلالة بعد فضَّل .

(٨) لم ينقل الدليل على هذه الدعوى مع أنه أشار إليها في المصدر ، وهو قوله : ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء :١٧٢] ، ودلالته ليست صريحة ، ولعل هذا السبب في عدم نقله إيَّاه ، ولذلك قال ابن عطية في تفسيره ٩/ ١٤٦ : وهذا غير لازم من الآية ، بل التفضيل بين الإنس والجن لم تعن له الآية ، بل يحتمل أن الملائكة أفضل ، ويحتمل التساوي .

ونحـــو هذا روى عطاء عن ابن عبـــاس في قوله : ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ ، قال : يريد غير[١] الملائكة في هذا الموضع ، لم يُفَضَّل ولدُ آدم عليهم .

وذهب قـــوم إلى تفضيل ولـــد آدم عـــلى الملائكة ، واحتجوا بـــما روي عن زيد بن أسلم في هذه الآية ، قال : قالت الملائكة : ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا؛ يأكلـــون فيها ويتمتعون ، ولم تعطنا ذلك ، فأعطنـــاه في[٢] الآخرة فقال : «وعزتي وجلالي ، لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له : كن فكان»[٣] .

---

(١) في (أ) و(د) : (عزل) ، والمثبت هو الصحيح المتسق مع السياق .

(٢) ساقطة من (د) .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٢ ، بنصه ، والطبري ١٥/ ١٢٦ بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٤أ ، بنصه ، وانظر : تفســير ابن كثير ٣/ ٥٨ ، وأورده الســيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٠ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم . قال ابن كثير ٣/ ٥٨ : وهذا الحديث مرســل من هذا الوجه ، وقد روي من وجه آخر متصلاً وذكره ، وكذلك أورده في التاريخ ١/ ٥٥ ، عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً ، وقال : هو أصح ، والحديث المرفوع رواه الطبراني بسنده عن عبدالله ابن عمرو وهو بنحوه ، وللحديث طريقان يلتقيان عند صفوان بن ســليم فمن بعده ، قال الطبراني كــما في مجمع البحرين ١/ ١١٩ : لم يروه عن صفوان إلا طلحة وأبو غسان محمد بن مطرف . والحديث ضعيف بالروايتين ، قال الهيتمي في المجمع ١/ ٨٢ : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه إبراهيم بن عبدالله المصيصي ، وهو كذاب متروك ، وفي ســند الأوسط طلحة بن زيد وهو كذاب أيضاً ، وقال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف بذيل الكشــاف ٤/ ١٠٠ : وقد لفقوا أخباراً منها : أن الملائكة قالت . . الحديث . وذكر رواياته وعزاها إلى أصحابها . وللحديث شــاهد عن ابن عمر ، وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ٣٦ ، بنحوه ، وقال : هذا حديث لا يصح . والخلاصة أن الحديث برواياته جميعها وشــواهده ضعيفٌ لكونه مرسلاً كما هنا ، والموصول ضعيف لضعف رواته ، وحسبك إيرادُ ابن الجوزي له في العلل ، وقول ابن حجر فيه .

قال أبو هريرة : المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده[١] ، وهذا الخلاف في التفضيل إنما يجري بين الناس في تفضيل صالحي المؤمنين على الملائكة ، ما عدا الرسل والأنبياء من بني آدم [وجبريل وميكائيل وإسرافيل[٢] وعزرائيل[٣] من الملائكة ، فإن هؤلاء في الملائكة كالرسل من بني آدم][٤] ، وأصحابنا أيضاً مختلفون في هذه المسألة؛ فمنهم من قال بتفضيل المؤمنين على الملائكة ، ومنهم من يأبى ذلك ، كما ذكرنا عن ابن عباس والسدي ، وهو اختيار أبي إسحاق .

قال العلماء من أصحابنا : هذه من المسائل التي لا يستحب الخوض فيها والإبلاغ ، وكذلك الكلام في تفضيل الأنبياء على مشاهير الملائكة[٥] ، كما لا

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب ١/ ١٧٤ ، بنصه تقريباً ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٧ ، بنصه ، والثعلبي ٧/ ١١٤أ ، بنصه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٠٩ ، وابن عطية ٥/ ٦٤ ، مرفوعاً ، والخازن ٣/ ١٧٣ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٠ ، وورد في الكنز ١/ ١٤٥ ، ومثل هذا القول مما لا يقال بالعقل فله حكم الرفع ، وقد أخرجه ابن ماجه (٣٩٥٤) : الفتن ، كتاب : باب : المسلمون في ذمة الله من طريق أبي المُهَزِّم عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه . وهو ضعيف لضعف أبي المهزم ، قال عنه في التقريب ٦٧٦ ، رقم (٨٣٩٧) : متروك ، وقد ضعف الحديث الألباني وذكره في ضعيف ابن ماجه ٣١٨ ، (٨٥٧) .

(٢) في (أ) : (اسرآيل) ، والمثبت من (د)

(٣) قال ابن كثير : وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح ، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل ، والله أعلم . البداية والنهاية ١/ ٤٧ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع) .

(٥) مسألة المفاضلة بين الملائكة والبشر مما تنازع فيها العلماء قديماً ، قال ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ٥٤ : وقد اختلف الناس في تفضيل الملائكة على البشر على أقوال ، فأكثر ما توجد هذه المسألة في كتب المتكلمين ، والخلاف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم ، وأقدم كلام رأيته في هذه المسألة ما ذكره الحافظ بن عساكر في تاريخه في ترجمة أمية بن العاص . ثم ساق حادثة جرت بين يدي عمر بن عبدالعزيز في المسألة . وقد فَصَّل شارح العقيدة الطحاوية القول في المسألة وصَنَّفَ الذين تكلموا في المسألة ، فقال : وقد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر ، وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة ، وإلى المعتزلة تفضيلُ الملائكة ، وأتباع الأشعري على قولين : منهم من يفضلُ الأنبياء =

يستحب الكلام في المخايرة بين الأنبياء؛ لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقال : «لا

= والأولياء ، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً ، وحكي عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة ، وحكي ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية ، وقالت الشيعة : إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة ، ومن الناس من فصَّل تفصيلاً آخر ، ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر : إن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض . ثم بَيَّنَ أن الإمام الطحاوي لم يتعرض إلى هذه المسألة بنفي أو إثبات ، وعزا ذلك إلى متابعة أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ حيث توقف في الجواب عن هذه المسألة ، وقد مال هو كذلك إلى التوقف وقال : فالسكوت عن الكلام في هذه المسألة نفياً وإثباتاً . . أولى . شرح العقيدة الطحاوية ٢٧٥ ، وإذا كان بعض السلف قد أمسك عن الحديث في هذه المسألة فإن آخرين قد تكلموا فيها ، وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك ، فقال : قد كان السلف يحدثون الأحاديث المتضمنة فضل صالحي البشر على الملائكة ، وتروى على رؤوس الناس ، ولو كان هذا منكراً لأنكروه ، فدل على اعتقادهم ذلك مجموع الفتاوى ٤/ ٣٧١ ، ومن هؤلاء الذين تحدثوا في هذه المسألة : إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ، فقد كان يقول : بنو آدم أفضل من الملائكة ، ويقول أيضاً : يخطئ من فضل الملائكة ، ومنهم الإمام أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي ، فقد قال : الصحيح تفضيل الأنبياء والصالحين على الملائكة ، والملائكة أفضل من الفسقة ، وقال أيضاً : الأنبياء أفضل من الملائكة ، وجبريل وإسرافيل وميكائيل أفضل من الأولياء . انظر : لوامع الأنوار ٢/ ٣٩٨ ، ٣٩٩ . وقد ذهب ابن تيمية إلى تفضيل صالحي البشر على الملائكة ، وذكر ثلاثة عشر دليلاً على ذلك ، ثم قال : فهذا ـ هداك الله ـ وجه التفضيل بالأسباب المعلومة ، ذكرنا أنموذجاً نهجنا به السبيل ، وفتحنا به الأبواب إلى درك فضائل الصالحين ، من تدبُّر ذلك وأوتي منه حظاً رأى وراء ذلك ما لا يحصيه إلا الله ، وإنما عدل عن ذلك قوم لم يكن لهم من القول والعلم إلا ظاهره ، ولا من الحقائق إلا رسومها؛ فوقعوا في بدع وشبهات ، وتاهوا في مواقف ومجازات ، ثم رد على حججهم قائلاً : وها نحن نذكر ما احتجوا به . مجموع الفتاوى ٤/ ٣٥٠ـ٣٩٢ .

وقال ابن القيم : سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن صالحي بني آدم أيهما أفضل؟ فأجاب بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية ، والملائكة أفضل باعتبار البداية؛ فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب ، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر ، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فتصير حال صالحي البشر أكمل من حال الملائكة . قال ابن القيم : وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه . انظر : لوامع الأنوار البهية ٢/ ٣٩٨ـ٤٠٩ . نقلاً عن بدائع الفوائد . ويضاف إلى هذا أن الملائكة خلقوا للعبادة لذلك لا يعصون الله ما أمرهم ، في حين أن البشر خلقوا للعبادة أيضاً مع ابتلائهم بالشر والخير فتنة ، فهم معرضون للشهوات والأهواء ، فلا يصل أحدهم إلى الطاعة إلا بجهد جهيد وصبر طويل ، بخلاف الملائكة الذين جبلوا على الطاعة ، فهل يستوي من طبع على الطاعة بمن يتكلف الطاعة وتتجاذبه الأهواء والشهوات الصارفة له عن الطاعة ؟! أملاه عليَّ شيخي .

تخايروا بين الأنبياء و[١] لا تفضلوني على يونس بن متى» ، وحديث اليهودي الذي قال : لا والذي اصطفى موسى على البشر فَلُطم ، ثم أتى النبي ﷺ ، مشهور في الصحيح[٢] ، فالأحسن التأدب بأدب رسول الله ﷺ ، ومِثلُ هذه الطريقة حَسَنٌ في الصحابة؛ بترك الخوض في تفضيل بعضهم على بعض[٣] ، وإن كنت تعلم

---

(١) لم يتبين لي إن كانت هذه الواو عاطفة لمقطعين أو لحديثين ، وهو الأرجح لعدم ورود حديث واحد يجمع بين النهي عن التخيير بين الأنبياء ، والنهي عن تفضيل رسولنا ﷺ على يونس عليه السلام في ما وقفت عليه في كتب التخريج ، ولم أجد هذا التركيب إلّا ما ذكره ابن كثير -على سبيل الحكاية- في البداية والنهاية ١/ ٢٣٧ ، قال : كما قد ورد في بعض الأحاديث : «لا تفضلوني على الأنبياء ولا على يونس بن متى» . أما على اعتبار أنهما مقطعان لحديثين فقد وردت روايات عدة للمقطعين كل على حدة؛ فمن روايات المقطع الأول : قول رسول الله ﷺ : «لا تخيروا بين الأنبياء» . أخرجه مسلم (٢٣٧٣/ ١٦٠) ، كتاب : الفضائل ، باب : فضائل موسى ٤/ ١٨٤٥ ، عن أبي سعيد الخدري ، وأبو داود (٤٦٦٩) ، كتاب : السنة ، باب : في التخيير بين الأنبياء ٥/ ٥١ ، ومشكل الآثار ١/ ٤٥٢ ، وشرح السنة ، كتاب : الفضائل ، باب : فضائل سيد الأولين والآخرين ١٣/ ٢٠٤ ، وورد برواية : «لا تفضلوا بين أنبياء الله» في مشكل الآثار ١/ ٤٥٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٤٩٢ ، وشرح السنة ١٣/ ٢٠٤ . أما المقطع الثاني : قوله ﷺ : «لا تفضلوني على يونس بن متى» ، فقد ورد في الشفا ١/ ٢٦٥ ، وإتحاف السادة المتقين للزبيدي ٢/ ١٠٥ ، ومناهل الصفا ٢٢ . قال السيوطي : لم أقف عليه بهذا اللفظ ، والذي في صحيح البخاري : «لا يقولن أحدكم أني خير من يونس بن متى» . وفي الصحيحين من حديث ابن عباس وأبي هريرة : «ما ينبغي لعبد أن يقول : إني خير من يونس بن متى» . ولأبي داود من حديث عبدالله بن جعفر : «لا ينبغي أن يقول أنا أفضل من يونس بن متى» . انظر : الروايات الأخرى بنحوها في صحيح البخاري (٣٤١٣) ، كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب قوله : ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ، ومسلم (٢٣٧٦ ، ٢٣٧٧) ، كتاب : الفضائل ، باب : في ذكر يونس عليه السلام ، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٤٩٤ .

(٢) ونصه : قال رسول الله ﷺ : «لا تخيروني على موسى ، فإن الناس يَصْعَقُون يوم القيامة ، فأكون أول من يُفيق ، فإذا موسى باطش بجانب العرش ، فلا أدري أكان في من صَعِق فأفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله» ، ولهذا الحديث روايات عدة ، أخرجه أحمد ٣/ ٤١ ، والبخاري في أماكن عدة ، منها (٣٤٠٨) ، كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : وفاة موسى ، الرقاق ، باب : نفخ الصور (٧٤٧٢) ، كتاب : التوحيد ، باب : في المشيئة والإرادة ، ومسلم (٢٣٧٣/ ١٦٠) ، كتاب : الفضائل ، فضائل موسى ، وأبو داود : السنة ، باب : في التخيير بين الأنبياء ، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٤٩٣ ، وورد في الشفا ١/ ٤٣٩ ، والكنز ١١/ ٥٠٧ .

(٣) دلّت نصوص القرآن على وجود التفاضل بين الناس ، كما في قوله تعالى : ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ =

بالدليل والاعتقاد ما تعلم[١] ، فالأحسن ترك الخوض والإبلاغ ، والجري على مثل عادة بعضهم مع بعض .

٧١. قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ . قال أبو إسحاق : يعني به يوم القيامة ، وهو منصوب على معنى : اذكر يوم ندعو ، قال : ويجوز أن يكون منصوباً بمعنى يعيدكم الذي فطركم يوم يدعو[٢] .

قال أبو علي الفارسي : الظرف هاهنا بمنزلة إذا ؛ لأنه لا يجوز أن يكون العامل فيه ما قبله من قوله : ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ﴾؛ لأنه فعل ماض ، وليس العامل أيضاً يدعو؛ لأنه فعل مستقبل ، فإذا لم يكن في هذا الكلام فعل ظاهر يتعلق به الظرف تعلق بما دلَّ عليه قوله : ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٣] ، كما أن قوله : ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون :٨٢] على تقدير : أإذا متنا بعثنا ، كذلك هاهنا يُجعل الظرفُ بمنزلة إذا ، فيصير التقدير : إذا دُعي كل أناس لم يُظْلموا ، ومثل هذا سُوِّي قوله : ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ [فصلت :١٩] .

= عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء :٢١] ، كما وردت نصوص في الكتاب والسنة تدل على وقوع التفاضل بين الصحابة رضي الله عنهم ، لذلك ذهب أهل السنة والجماعة إلى القول بالتفاضل بين الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ عموماً والخلفاء الأربعة خصوصاً ، بعد إثبات فضيلة الصحبة لكل صحابي . يقول شيخ الإسلام في بيان أصول أهل السنة والجماعة في الصحابة : ويقبلون ما جاء في الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم ، فيفضلون من أنفق من قبل الفتح ، وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل ، ويقدمون المهاجرين على الأنصار ، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ، كما أخبر النبي ﷺ؛ بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه . . . . ، ويقرون بما تواتر به النقل عن علي ـ رضي الله عنه ـ وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي كما عليه الآثار ، وكما أجمع الصحابة رضي الله عنهم على تقديم عثمان في البيعة . انظر : مجموع الفتاوى ٣/ ١٥٢ ، ٤/ ٤٢١ .

(١) الظاهر من كلام الواحدي ـ رحمه الله ـ إثبات التفاضل على النحو السابق ، لكنه يرى عدم الخوض في هذه المسألة على سبيل التعصب لأحدهم ، مما قد يؤدي معه إلى انتقاص الآخرين .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٢ ، بنصه تقريباً .

(٣) لم أقف عليه ، وذُكر هذا القول في الإملاء ٢/ ٩٤ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٩٤ .

وقوله تعالى : ﴿بِإِمَٰمِهِمْ﴾ ، الإمام في اللغة معناه : كل من ائتَمَّ به قوم كانوا على هدى أو ضلالة ، والنبيُّ إمام أُمَّته ، والخليفة إمام رعيته ، والقرآن إمام المسلمين ، وإمام الغلام في المكتب : ما يتعلمه كل يوم[١] ، واختلفوا في معنى الإمام هاهنا؛ فروى معمر عن قتادة ، وشبل عن أبي نجيح عن مجاهد : بنبيهم[٢] ، ورُوي ذلك مرفوعاً عن أبي هريرة عن النبي ﷺ[٣] .

ويكون المعنى على هذا : أن ينادي يوم القيامة فيقول : هاتوا متبعي إبراهيم ، هاتوا متبعي موسى ، هاتوا متبعي محمد ﷺ ، فيقوم أهلُ الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأيمانهم ، ثم يقال : هاتوا متبعي الشيطان ، هاتوا متبعي الطغاة في عبادة الأوثان ، هاتوا متبعي رؤساء الضلالة في اعتقاد الجهالة ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير قال : إمام هدى أو إمام ضلالة[٤] ، ونحو هذا روى علي بن أبي طلحة ، فقال : بأئمتهم في الخير والشر[٥] .

وقال في رواية أبي صالح : برئيسهم[٦] ، ويدخل في هذا كل من كانوا يأتمون به في الدنيا ، وعلى هذا التفسير قال أبو علي : الباء في بإمامهم تكون على ضربين؛

---

(١) ورد في تهذيب اللغة (أم) ١/ ٢٠٥ ، بنصه ، انظر : العين (أمم) ٨/ ٤٢٨ ، ومقاييس اللغة ١/ ٢٨ ، واللسان (أمم) ١/ ١٣٣ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٢ بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٥/ ١٢٦ ، بلفظه عنهما من طرق ، وورد بلفظه في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٥ ، عنهما ، والسمرقندي ٢/ ٢٧٧ ، عن مجاهد ، والثعلبي ٧/ ١١٤ب ، والماوردي ٣/ ٢٥٨ ، والطوسي ٦/ ٥٠٤ ، عنهما ، والدر المنثور ٤/ ٣٥١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن مجاهد .

(٣) لم أقف عليه مسنداً ، وورد عنه بلفظه في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٤ب ، والفخر الرازي ٢١/ ١٧ .

(٤) ورد في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٥٢ بنصه ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١١٤ب ، بنحوه ، انظر : تفسير السمعاني ٣/ ٢٦٣ ، بنصه ، والبغوي ٥/ ١٠٩ ، وابن الجوزي ٥/ ٦٤ ، والدر المنثور ٤/ ٣٥١ وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٤ب ، بنصه .

(٦) ورد في الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٦٠ ، بلفظه (ضعيفة) ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٦٤ .

أحدهما : أن تكون متعلقة بالفعل الذي هو ندعو في موضع المفعول الثاني؛ كأنه قيل : ندعو كل أناس بكونهم تبعة وشيعة لإمامهم ، كما تقول : أدعوك باسمك ، فيكون كقولك : أدعوك زيداً ، ويجوز أن تتعلق بمحذوف ، ذلك المحذوف في موضع الحال ، كأنه ندعو كل أناس مُخَلَّطين بإمامهم؛ أي يُدعون وإمامهم فيهم[١] ، نحو : ركب شأنه[٢] ، وجاء في جنوده[٣] ، فيكون الدعاء على هذا الوجه متعدياً إلى مفعول واحد خلاف الوجه الأول .

وقال الضحاك وابن زيد : يعني بكتابهم الذي أنزل عليهم[٤] .

وهو رواية وَرْقَاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد[٥] ، ونحوه قال أبو صالح[٦] .

ويكون المعنى على هذا : أن ينادى يا أهل القرآن ، يا أهل التوراة ، يا أهل الإنجيل ، وتقدير الباء على ما ذكرنا .

---

(١) في النسخ جميعها : (فيه) ، والصحيح المثبت؛ لأن الضمير يعود على جمع .

(٢) أي قصده . القاموس (شأن) ١٢٠٨ .

(٣) لم أقف عليه ، وذُكر نحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٢ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٩٤ ، وتفسير الفخر الرازي ٢١/ ١٧ ، والإملاء ٢/ ٩٤ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٩١ ، والدر المصون ٧/ ٣٩٠ .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٢٧ بلفظه عنهما ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٧٧ ، بلفظه عن الضحاك ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١١٤ب ، بنصه عنهما ، والماوردي ٣/ ٢٥٨ ، بنصه عن ابن زيد ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٠٩ .

(٥) تفسير مجاهد ١/ ٣٦٧ ، بلفظه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٢٧ بلفظه ، وورد بلفظه في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٥٢ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١١٤ب ، انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٥٩ .

(٦) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٤ب ، بنصه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٠٩ ، بنصه .

وقال الحسن : بكتابهم الذي فيه أعمالهم[١] ، وهو قول الربيع وأبي العالية[٢] ، وابن عباس في روايــة عطية قال : إمَامُه ما عمل وأملى فكُتب عليه[٣] ، وعلى هذا سُمِّي الكتاب إماماً [لأنه يؤتم بما أحصاه ، قاله ابن قتيبة[٤] ، وهذا كقوله : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس :١٢] فســمى الكتاب إماماً][٥] ، وأمَّا تقدير الباء على هذا القول ، فهو بمعنى مــع؛ أي يدعى كل أناس ومعهم كتابهم ، كقولك : ادفعه إليــه برُمَّته[٦]؛ أي ومعه رُمَّتــه ، قاله أبو علي[٧] ، وهــذا القول اختيار أبي إسحاق ، قال : ويدل عليه سياق الآية[٨] .

وقوله تعــالى : ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ، الفتيل : القشرة التي في شــق النواة ، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وعكرمة[٩] ، وهو قول أكثر المفسرين[١٠] .

---

(١) أخرجــه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٢ ، بنصه ، والطــبري ١٥/ ١٢٧ ، بنصــه ، وورد في الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٦٠ ، بنصه ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٧٧ ، بلفظه ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٢ ، بنصه ، وتفسير الجصاص ٣/ ٢٠٥ ، بنحوه ، والسمرقندي ٢/ ٢٧٧ ، بنصه .

(٢) أخرجه الطــبري ١٥/ ١٢٧ بلفــظ بأعمالهم عنهما ، وورد بهــذا اللفظ في إعراب القــرآن للنحاس ٢/ ٤٣٤ ، عن أبي العالية ، وتفســير الســمرقندي ٢/ ٢٧٧ ، عن أبي العالية ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٠٩ ، عن أبي العالية .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ١٢٦ ، بنصه (ضعيفة) ، وورد في الثعلبي ٧/ ١١٤ب ، بنصه .

(٤) تأويل مشكل القرآن ٤٥٩ ، بنحوه .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٦) الرُّمَّة : هــي القطعة من الحبل ، وأصله البعير يُشــد في عنقه حبل ، فيقال أعطــاه البعير برُمَّته ، قال الجوهري : أصله أن رجلاً دفع إلى رجل بعيراً بحبل في عنقه ، فقيل ذلك لكل من دفع شيئاً بجملته . انظر : المحيط في اللغة (رم) ١٠/ ٢١٦ ، والصحاح (رمم) ٥/ ١٩٣٦ ، واللسان (رمم) ٣/ ١٧٣٦ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) ليس في معانيه .

(٩) ورد في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٥٢ ، بنحوه من طريق عكرمة (جيدة) .

(١٠) أخرجــه بنحوه عن قتادة عبدالــرزاق ٢/ ٣٨٢ ، والطــبري ١٥/ ١٢٧ ، وورد بنحــوه في الغريب لابــن قتيبة ١/ ٢٦٠ ، ونزهة القلوب ٣٥١ ، ومعاني القــرآن للنحاس ٤/ ١٧٧ ، والمفردات ٦٢٣ ، وتفسير المشكل ٢٣٠ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١١٤ب ، بنصه .

وأهل اللغة قالوا : وهذا يضرب مثلاً للشيء الحقير التافه[١] ، ومثله : القطمير والنقير في ضرب المثل به ، والمعنى : لا يُنْقَصون من الثواب بمقدار فتيل . قال عطاء عن ابن عباس : ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ، يريد : لا يُنقصون فتيلاً من الثواب ، وروى مجاهد عن ابن عباس قال : الفتيل : ما خرج بين إصبعك فتفتله ، كالشيء الحقير[٢] ، وهو فعيل ، من الفتل .

٧٢. قوله تعالى : ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ﴾ الآية . قال عكرمة : جاء نفر من أهل اليمن إلى ابن عباس فسأله رجل عن هذه الآية ، فقال : اقرأ ما قبلها : ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى﴾ إلى قوله : ﴿تَفْضِيلًا﴾ فقال ابن عباس : من كان أعمى في هذه النِّعَم -التي قد رأى وعاين- فهو في أمر الآخرة -التي لم ير ولم يعاين- أعمى وأضل سبيلاً[٣] .

وروى أبو رَوْق عن الضحاك عن ابن عباس قال : من كان في الدنيا أعمى عما يرى من قدرتي في خلق السماء والأرض والبحار والجبال والناس والدواب ، فهو عما وصفت لك في الآخرة ، ولم تره أعمى وأضل سبيلاً[٤] ، يقول : وأبعد

---

(١) ورد في تهذيب اللغة (فتل) ٣/ ٢٧٣٨ ، بنصه ، انظر : مقاييس اللغة (فتل) ٤/ ٤٧٢ ، والصحاح ٥/ ١٧٨٨ ، واللسان ٦/ ٣٣٤٤ .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (فتل) ٣/ ٢٧٣٨ ، بنحوه ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢١/ ١٨ ، وتنوير المقباس ٣٠٣ .

(٣) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٧٧ ، بنحوه ، والثعلبي ٧/ ١١٤ب ، بنصه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ١١٠ ، وابن الجوزي ٥/ ٦٦ ، والفخر الرازي ٢١/ ١٨ ، والقرطبي ١٠/ ٢٩٨ ، والدر المنثور ٤/ ٣٥٧ وعزاه إلى الفريابي وابن أبي حاتم ، من طريق عكرمة جيدة .

(٤) أخرجه أبو الشيخ في العظمة ٣٦ ، ٥٦ بنصه من طريق الضحاك ، (منقطعة) ، ورد بمعناه في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٥ ، والطوسي ٦/ ٥٠٤ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٩/ ١٥٠ ، وابن الجوزي ٥/ ٦٦ ، والفخر الرازي ٢١/ ١٩ ، والقرطبي ١٠/ ٢٩٨ ، والدر المنثور ٤/ ٣٥٢ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

حجة ، قال قتادة : من عاين الشمس والقمر فلم يؤمن ، فهو أعمى عما يغيب عنه أن يؤمن به[١] ، هذا قول المفسرين في هذه الآية .

وقوله تعالى : ﴿فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ الإشارة إلى النِّعَم التي ذكرها على رواية عكرمة ، وبه قال السدي[٢] ، وعلى قول الآخرين : الإشارة إلى الدنيا[٣] ، وبه قال مجاهد[٤] .

وقوله تعالى : ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾؛ أي في أمرها على تقدير المضاف ، وقال الحسن : من كان في الدنيا ضالًّا كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً؛ لأنه[٥] في الدنيا تقبل توبته ، وفي الآخرة لا تقبل توبته[٦] .

واختار أبو إسحاق هذا القول ، فقال : تأويله أنه إذا عَمِيَ في الدنيا وقد عَرَّفَه الله الهدى وجعل له إلى التوبة وُصْلَةً ، وفَسَح له في ذلك إلى وقت مماته ، فعمي عن رشده ولم يَتُبْ ، ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾؛ أي أشد عمى ، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ لأنه لا[٧] يجد طريقاً إلى الهداية[٨] .

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ١٢٨ ، بمعناه ، وأبو الشيخ في العظمة ٥٥ ، بنحوه ، وورد بمعناه في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٥ ، والسمرقندي ٢/ ٢٧٨ ، والطوسي ٦/ ٥٠٤ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٩/ ١٥٠ ، وابن كثير ٢/ ٥٩ .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٦٦ .

(٣) وقد رجح هذا القول الطبري ١٥/ ١٢٩ ، وابن عطية ٩/ ١٥١ .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٢٨ ، بلفظه ، وورد بلفظه في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٥ ، والسمرقندي ٣/ ٢٧٧ ، والطوسي ٦/ ٥٠٥ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٩/ ١٥٠ ، وابن الجوزي ٥/ ٦٥ ، وابن كثير ٢/ ٥٩ .

(٥) في (أ) و(د) : (الآية) ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح .

(٦) ورد في تفسير هود الهواري ٢/ ٤٣٣ ، بمعناه ، والثعلبي ٧/ ١١٤ب ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ١١٠ ، وابن الجوزي ٥/ ٦٦ ، والفخر الرازي ٢١/ ١٩ ، والقرطبي ١٠/ ٢٩٨ .

(٧) في (د) : (لم) .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٣ ، بتصرف يسير .

وقال أبو علي : معنى قوله : ﴿فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾؛ أي أشد عمى ، إنه في الدنيا كان مُمَكَّناً من الخروج عن عَماه بالاستدلال ، ولا سبيل له في الآخرة إلى الخروج من عماه؛ لأنه قد حصل على عمله ، ولذلك قوله : ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ لأن ضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه[١] .

وعلى هذا القول : لا يُحتاج إلى تقدير المضاف في قوله : ﴿فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ ، وهذا قول الحسن وقتادة؛ روينا ذلك عنه في مسند التفسير ، والعمى في الآية المراد منه : عمى القلب ، ولذلك جاز ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ بمعنى أشد عمى ، ولو كان من عمى العين لم يجز أعمى بمعنى أشدُّ عمى .

قال الفرَّاء : [العرب إذا قالوا : هو أفعل منك ، قالوه في ما كان فعله على ثلاثة أحرف ، فإذا زاد على ثلاثة أحرف لم يقولوا : هو أفعل منك ، حتى يقولوا : هو أشدُّ حمرة منك؛ لأنه يقال في الفعل منه : أحمر ، وأما في العمى فإنه يقال : فلان أعمى من فلان في القلب ، ولا يقال : هو أعمى منه في العين؛ وذلك أنه لما جاء على مذهب أحمر وحمراء تُرك فيه أفعل منه كما ترك][٢] في كثير من أشباهه .

قال : وبعض النحويين يقول : أجيزه في الأعمى والأعشى والأعرج والأزرق[٣]؛ لأنا نقول : عَمِي وزَرِق وعَرِج وعَشِي ، ولا نقول : حَمِر ولا بَيِض ولا صَفِر .

---

(١) الحجة للقراء ٥/ ١١٣ ، بتصرف .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٣) هذه من مسائل الخلاف المشهورة بين البصريين والكوفيين ، فذهب الكوفيون إلى جواز استعمال ما أفعله في التعجب من البياض والسواد خاصة من بين سائر الألوان ، وذهب البصريون إلى أن ذلك لا يجوز فيهما مثل غيرهما من سائر الألوان . انظر التفصيل حول هذه المسألة في : الإنصاف ١٢٤ ، وشرح المفصل ٦/ ٩٣ ، والمقرب ١/ ٧٢ ، والخزانة ٨/ ٢٣٠ .

قال الفرَّاء : وليس ذلك بشيء؛ إنما يُنظر في هذا إلى ما يجوز أن يكون أقل أو أكثر ، فيكون أفعل دليلاً على قلة الشيء وكثرته ، ألا ترى أنك تقول : فلان أجمل من فلان؛ لأن جماله يزيد على جماله ، ولا تقول للأعشى : هذا أعمى من ذلك ، ولا لميتين هذا أموت من ذا ، فأمَّا قول الشاعر[١] :

أمَّا الملوكُ فأنتَ اليومَ ألأَمُهُم لُؤمًا وأبيضُهُم سِرْبالَ طبَّاخِ[٢]

فهو شاذ ، هذا كلامه[٣] ، وعلى هذا التحديد إنما يجوز أن يقال : أفعل منك في ما يكون فعله على ثلاثة أحرف ، وذلك الشيء مما يقل ويكثر ، وما عدا هذا فإنما يقال فيه : أفعل منه ، شاذًّا .

وقرأ أبو عمرو : (في هذه أعمِى) بكسر الميم ، ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ بفتح الميم[٤] ، قال أبو علي الفارسي : أمال الألف من الكلمة الأولى ولم يملها من الثانية؛ لأنها بمعنى أفعل من كذا ، مثل أَبْلَه من فلان ، وليست عبارة عن الموؤفِ[٥] الجارحةِ المصاب ببصره ، فإذا كان كذلك لم تقع الألف في آخر الكلمة؛ لأن آخرها إنما هو من كذا ، وإنما تحسنُ الإمالةُ في الأواخر؛ لأنها موضع الوقف ، والألف تخفى في الوقف ، فإذا أمالها نحا بها نحو الياء ليكون أظهر لها وأبين ،

---

(١) هو طرفة بن العبد (جاهلي) .

(٢) ديوانه ١٨ ، واللسان (بيض) ١/ ٣٩٧ ، وورد بلا نسبة في إعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٧٩ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١١٤ب ، والطوسي ٦/ ٥٠٥ ، والقرطبي ١٠/ ٢٩٩ ، واللسان (عمي) ٥/ ٣١١٥ ، وشرح التصريح ١/ ٣٢٤ ، وله رواية أخرى استشهد بها النحاة في باب أفعل التفضيل ، وهي :

إذا الرجالُ شتَوْا واشتدَّ أَكلهُم فأنتَ أبيضُهُمْ سِربالَ طبَّاخِ

وردت هذه الرواية في الإنصاف ١٢٤ ، وشرح المفصل ٦/ ٩٣ ، والمقرب ١/ ٧٣ ، والخزانة ٨/ ٢٣٠ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٨ ، نقل طويل تصرف فيه .

(٤) انظر : السبعة ٣٨٣ ، وعلل القراءات ١/ ٣٢٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٧٨ ، والحجة للقراء ٥/ ١١٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٩ .

(٥) في (ش) و(ع) : (المألوف) ، وفي هامش (ش) كتب : (أحسبه المؤوف) .

ومما يقـوِّي ذلك أن من العرب من يقلب هذه الألفات ياءات في الوقف فيقول : أَفْعي ، بإظهار اليـاء في اللفظ ، وحُبْلي ، وقد حذف في الآية من أفعل -الذي هو للتفضيل- الجار والمجرور ، وهما مرادان في المعنى مع الحذف ، وذلك نحو قوله : ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طـه :٧] ، المعنى : وأخفى من السر ، فلذلك قوله : ﴿فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾؛ أي منه في الدنيا .

ومعنى العمى في الآخرة : أنه لا يهتدي إلى طرق الثواب ، ويدل على أن المراد بقوله : ﴿فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ أشـد عمى ، قوله : ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ، فكما أن هذا لا يكون إلا على أفعل من كذا ، كذلك المعطوف عليه ، انتهى كلامه .[1] فأراد أبو عمرو أن يفرق بين ما هو اسـم وبين ما هو بمعنى أفعل منه ، فغاير بينهما بالإمالة وتركها .

٧٣. قوله تعالى : ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ الآية . قـال ابن عباس في رواية عطاء : نزلت في وفد ثقيف ، أتوا رسـول الله ﷺ فسـألوه شـططاً ، وقالـوا : متِّعْنا باللات سـنة وحرِّم وادينا كما حَرَّمت مكة؛ شـجرها وطيرها ووحشـها ، فأبى ذلك رسـول الله ﷺ ، ولم يجبهم ، فأقبلوا يردون على النبي ﷺ مسألتهم ويكررون ، وقالوا : إنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم ، فإن كرهت ما نقول وخشـيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل : الله أمرني بذلك ، فأمسـك رسـول الله ﷺ عنهم وداخلهم الطمع ، فصـاح عليهم عمر رضي الله عنه : أما ترون

(١) الحجـة للقـراء ٥/ ١١٢ ، وهو نقـل طويل تصرف فيـه بالحـذف والإضافة والتقديـم والتأخير والاختصار .

رسول الله قد أمسك عن جوابكم كراهية لما تجيئون[١] به ، وقد هَمَّ رسول الله ﷺ ليعطيهم ذلك ، فأنزل الله هذه الآية .[٢]

قال أبو إسحاق : معنى الكلام : كادوا يفتنونك ، ودخلت (إن) واللام للتوكيد[٣] ، وذكرنا معنى (إن) إذا دخل على الفعل أنها مخففة من الثقيلة في قوله : ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم :٤٦] ، وقيل : إنه بمعنى قد ، وقد مرَّ هذا في مواضع[٤] ، ومعنى كادوا : هَمُّوا وقاربوا ذلك .

وقوله تعالى : ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾؛ أي ليستزلونك عن الذي أوحينا إليك؛ أي يزيلونك ويصرفونك عن الذي أوحينا إليك ، يعني القرآن ، والمعنى عن حكمه ، وذلك في إعطائهم ما سألوا مخالفة لحكم القرآن .

وقوله تعالى : ﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾؛ أي لتختلق علينا غير ما أوحينا إليك ، وهو قولهم : قل : الله أمرني بذلك ، ﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ ، قال أبو إسحاق أي لو فعلت ما أرادوا لاتخذوك[٥] [خليلاً .

---

(١) في النسخ جميعها : (تحبون) ، والتصويب من أسباب النزول للمؤلف .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ١٣٠ مختصراً من طريق العوفي (ضعيفة) ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٥أ ، بنحوه ، والماوردي ٣/ ٢٥٩ مختصراً ، وأورده المؤلف في أسباب النزول ٢٩٧ ، بنصه ـ بلا سند ـ من طريق عطاء (منقطعة) ، انظر : تفسير البغوي ٣/ ١١١ ، وابن الجوزي ٥/ ٦٧ ، والفخر الرازي ٢١/ ٢٠ ، والأثر ضعيف من الطريقين؛ طريق العوفي وعطاء .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٣ ، بنصه .

(٤) في (أ) و(د) : (موضع) .

(٥) في (أ) و(د) : (اتخذوك) .

٧٤. قولـه تعالى : ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾؛ أي على الحق بعصمتنا إيَّاك ، ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ][1] إِلَيْهِمْ﴾؛ أي تميل ، ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ ، شـيئاً : عبارة عن المصدر؛ أي ركوناً قليلاً .

قال ابن عباس : يريد : حيث سكت عن جوابهم ، والله أعلم بنيته[2] .

وروي عن قتادة : أن النبي ﷺ قال لما نزلت هذه الآية : «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»[3] .

٧٥. ثم توعده في ذلك أشدَّ التوعد لو فعله ، فقال : ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾؛ أي ضعـف عذاب الحيـاة وضعف عذاب الممات ، يريد عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، قال ابن عباس والمفسرون كلهم[4] ، ومعنى ضِعفِ العذاب : ضِعفُ ما يعذب غيره .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٦٨ ، بنصه ، والفخر الرازي ٢١/ ٢١ .

(٣) أخرجـه الطـبري ١٥/ ١٣١ بنصـه ، وورد بنصـه في تفسـير الثعلبـي ٧/ ١١٥ب ، والماوردي ٣/ ٢٦٠ ، والطوسي ٦/ ٥٠٧ ، و البغوي ١٥/ ١١٢ ، والكافي الشـاف في تخريج أحاديث الكشاف [ذيل الكشـاف] ٤/ ١٠١ ، وهذا الأثر مرسل كما قال ابن حجر ، وورد في المجمع ١٠/ ١٨١ متصلاً عن ابن عمر ، وقال : رواه البزار ،لم أجده ، وفيه راوٍ متروك ، وورد في كشف الخفاء ١/ ٢١٧ ، والكنز ٢/ ١٨٦ ، وورد نحـوٌ من هذا الدعاء ضمن حديث أبي بكرة ، قال : قال رسـول الله ﷺ : «دعوات المكروب : اللهم رحمتـك أرجو ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شـأني كله» . أخرجه أحمـد ٥/ ٤٢ ، والبخاري في (الأدب المفرد) : باب الدعاء عند الكرب ٢٤٢ ، وأبو داود (٥٠٩٠) في الأدب ، باب : ما يقول إذا أصبح ، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢٤٢ ، ٧٠١) .

(٤) ورد في تفسـير مقاتل ١/ ٢١٨أ ، بنصه ، وأخرجه عبدالـرزاق ٢/ ٣٨٣ بنصه عن قتادة ، والطبري ١٥/ ١٣١ بنصه عن ابن عباس من طريق العـوفي (ضعيفة) ، وعن قتادة ومجاهد والضحاك ، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٧٩ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٩ ، عن ابن عباس ومجاهد وأبي الشعثاء ، وتفسـير الثعلبي ٧/ ١١٥ب ، والماوردي ٣/ ٢٦٠ ، والطوسي ٦/ ٥٠٦ في الأخيرين عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك .

قال أبو إسحاق : لأنه نبيٌّ يضاعف له العذاب على عذاب غيره لو جنى هذه الجناية ، كما قال : ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠]؛ لأن درجة النبي ﷺ ودرجة آله الذين وصفهم الله فوق درجة غيرهم[١] ، قال ابن عباس : ورسول الله معصوم ، ولكن هذه مخاطبة لأمته لئلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من أحكام الله وشرائعه[٢] .

٧٦. قوله تعالى : ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ الآية . قال قتادة : هَمَّ أهلُ مكة بإخراج نبي الله ﷺ من مكة ، ولو فعلوا ذلك ما نوظروا؛ ولكن الله كَفَّهم عن إخراجه[٣] حتى أمره الله بالخروج ، ولَقَلَّ ما لبثوا بعد خروج النبي ﷺ من مكة حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر[٤] ، وهذا قول مجاهد[٥] .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : حسدت اليهود مقام النبي ﷺ بالمدينة ، فقالوا : إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام فإن كنت نبيّاً فالحق بها ، وإن خرجت إليها صدقناك وآمنا بك ، فوقع ذلك في قلبه لما يحب من إسلامهم ، فرحل من المدينة

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٤ ، بنصه تقريباً .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٣٠٠ ، وأبي حيان ٦/ ٦٥ ، وحمل الآية على ظاهرها أولى ، ولها نظائر في القرآن وهو ما أشار إليه الطبري ١٥/ ١٣١ ، والبغوي ٥/ ١١٢ ، والقرطبي ١٠/ ٣٠١ .

(٣) في النسخ جميعها : إخراجهم والصواب ما أثبته؛ لأن الضمير يعود على الرسول ﷺ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٣ : بمعناه ، والطبري ١٥/ ١٣٢ ، بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٥ب ، بنحوه ، والماوردي ٣/ ٢٦١ ، مختصراً ، والطوسي ٦/ ٥٠٨ ، مختصراً ، وأورده المؤلف في أسباب النزول ٢٩٨ ، مختصراً ، وأورده السيوطي في الدر ٤/ ٣٥٣ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ١٣٣ ، بمعناه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٥ب ، بنحوه ، والماوردي ٣/ ٥٠٨ ، مختصراً ، والمؤلف في أسباب النزول ٢٩٨ ، مختصراً .

عـلى مرحلة ، فأنزل الله هذه الآية[١] ، وهذا قـول الكلبي وعبدالرحمن بن غنم ، واختيار الفرَّاء[٢] .

والقول الأول اختيار أبي إسحاق[٣] ، وهو الوجه؛ لأن السورة مكية[٤] ، فإن صح القول الثاني كانـت الآية مدنية ، وقد قال عبدالرحمـن بن غنم : هذه الآية

---

(١) أورده المؤلف في أسـباب النزول ٢٩٨ ، بنصه ـبلا سـندـ بهذه الرواية (منقطعة) ، وقد ضعف هذا القول ابن عطية ، وقال : وهذا ضعيف لم يقع في سـيرة ولا كتـاب يعتمد عليه . كما ضعف ابن كثير القولين قائلاً : قيل : نزلت في اليهود إذ أشـاروا على رسول الله ﷺ بسكنى الشام بلاد الأنبياء وترك سكنى المدينة ، وهذا القول ضعيف؛ لأن هذه الآية مكية ، وسكنى المدينة بعد ذلك ، وقيل : إنها نزلت بتبوك ، وفي صحته نظر . انظر : تفسير ابن عطية ٩/ ١٥٧ ، وابن كثير ٣/ ٦٠ .

(٢) أخرجـه البيهقي في الدلائـل ٥/ ٢٥٤ ، عن ابن غنم بزيـادة منكرة؛ هي : فصدَّق مـا قالوا ، فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشـام ، فلما بلغ تبوك أنزل الله الآية ، وورد في تفسـير الثعلبي ٧/ ١١٥ب ، بنحوه عنهما ، وأورده المؤلف في أسـباب النزول ٢٩٨ ، بنحوه عن ابن غنم ، انظر : تفسـير البغوي ٥/ ١١٢ ، عن الكلبي ، وذكره ابن كثير ٣/ ٦٠ وقال : وفي هذا الإسـناد نظر ، والأظهر أن هذا ليس بصحيح ، فإن النبي ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود ، وإنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى : ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [التوبـة :٢٩] ، وغزاها ليقتص وينتقـم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه ، والله أعلم . وأورده السـيوطي في لباب النزول ١٣٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم ، وقال : هذا مرسل ضعيف الإسناد وله شاهد من مرسل سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم .

وعبدالرحمن بن غَنْم الأشـعري ، اختلف في صحبته ، فأثبت له الصحبة البخاري وابن لهيعة والليث ورجحه ابن حجر ، وذكره ابن سـعد وابن حبان في ثقات التابعين ورجحه ابن عبدالبر وابن الأثير ، وقالا : كان مسـلماً على عهد النبي ﷺ ، ولم يره ، ولم يفد عليه ، وقـال الذهبي : ويحتمل أن تكون له صحبة ، ويعرف بصاحب معاذ ، لملازمته له ، وهو أفقه أهل الشـام ، وكانت له جلالةٌ وقَدْر ، مات سنة ٧٨هـ .

انظـر : الاسـتيعاب ٢/ ٣٩٠ ، وأسـد الغابة ٣/ ٤٨٢ ، وسـير أعلام النبـلاء ٤/ ٤٥ ، والإصابة ٢/ ٤١٧ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ٥٤٣ ، وانظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٩ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٤ .

(٤) وهو ما رجحه جمهور المفسرين ، وقال الطبري : لأن الآية جاءت في سـياق خبر الله ـعز وجلـ عن قريـش وذكره إياهم ، ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر . .فهو بأن يكون خبراً عمن جرى له ذكر أولى من غيره . تفسير الطبري ١٥/ ١٣٣ .

أنزلت بعد ما ختمت السورة[١] ، والأرض في قوله : ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ على القول الأول : مكة ، وعلى القول الثاني : المدينة ، وكثر في التنزيل ذكر الأرض ، والمراد منها مكان مخصوص ، كقوله : ﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة :٣٣] يعني : من حيث كانوا يتصرفون فيه لمعاشهم ، وقوله : ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ [يوسف :٨٠] يعني : الأرض التي كان قَصَدَها للامتيار[٢] منها ، ومثله كثير[٣] .

فإن قيل : أليس قال الله تعالى : ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد :١٣] يعني مكة ، والمراد أهلها فذكر أنهم أخرجوه ، وقال في هذه الآية : ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ فكيف الجمع بينهما ، على قول من قال : الأرض في هذه الآية : مكة ؟! قلنا : هَمُّوا وقصدوا إخراجه ، كما قال الله عز وجل : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال :٣٠] ، ثم قبل أن يُتِمُّوا ذلك أمر الله تعالى نبيه -عليه السلام- بالخروج ، فخرج منها بأمر الله خائفاً منهم ومن مكرهم ، وكان خروجه بأمر الله سبباً لسلامته مما كانوا يدبرونه في ما بينهم ، ألا ترى أن قتادة قال : هموا بإخراجه ولو فعلوا ذلك ما نوظروا على ما حكينا عنه في هذه الآية ، وجاز إضافة الإخراج إليهم في قوله : ﴿أَخْرَجَتْكَ﴾؛ لأنهم هموا بذلك وأُمر بالخروج منها لقصدهم إخراجه ، فلما كانوا سبباً في خروجه أضيف ذلك إليهم .

﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ، أعلم الله أنهم لو فعلوا ذلك لم يلبثوا بعده إلا قليلاً؛ أي لو أخرجوك لاستأصلناهم كسُنَّتنا في من قبلهم ، وقرئ :

---

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٥ب ، بنصه ، انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٣٠١ ، وهو بهذا القول يؤكد مدنية السورة ، وفي القرطبي زيادة بيان ، وهو قوله : وأنها نزلت في تبوك .

(٢) في النسخ جميعها : (الامتيار) ، والتصويب من الحجة للقراء . المِيرَةُ : جلب الطعام للبيع وللعيال ، قال الأصمعي : يقال : ماره يَمُورُه إذا أتاه بمِيرة؛ أي بطعام . انظر : المحيط في اللغة (مير) ١٠/ ٢٨٥ ، واللسان ٧/ ٤٣٠٦ .

(٣) ورد نحوه في الحجة للقراء ٥/ ١١٥ .

﴿خِلَفَكَ﴾[١] ، و﴿خِلَافَكَ﴾[٢] ، وهو في القراءتين جميعاً على تقدير حذف المضاف كأنه لا يلبثون بعد خروجك .

وزعم الأخفش : أن خلافك في معنى خلفك ، وروى ذلك يونس عن عيسى[٣] ، وهذا كقوله : ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة :٨١] ، وقد مرَّ .

قال أبو علي الفارسي : الآية على تقدير حذف المضاف ، كقول ذي الرُّمَّة :

له واحفٌ فالصُّلْبُ حتى تَقَطَّعَتْ خِلَافَ الثُّرَيَّا من أرِيكٍ مآرِبُه[٤]

المعنى : خلاف طلوع الثريا[٥] ، وذكرنا الكلام في إذاً وإلغائها في سورة النساء[٦] .

---

(١) بفتح الخاء وسكون اللام ، قرأ بها : ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر .
انظر : السبعة ٣٨٣ ، وعلل القراءات ١/ ٣٢٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٣٨٠ ، والحجة للقراء ٥/ ١١٣ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٠ .

(٢) بكسر الخاء وفتح اللام وبعدها ألفٌ ، قرأ بها : ابن عامر حمزة والكسائي وحفص عن عاصم . انظر : المصادر السابقة .

(٣) ورد في الحجة للقراء ٥/ ١١٣ ، بنصه ، وزاد : وأن معناه : بَعْدَكَ .

(٤) ديوانه ٢/ ٨٤٢ ، وورد في الحجة للقراء ٥/ ١١٤ ، (واحف والصلب) : هما موضعان للرعي ، خلاف الثريا : يريد بعد طلوع الثريا ، (أريك) : اسم جبل بالبادية ، يقول : تقطعت حوائج هذا الحمار من هذا الموضع؛ لأنه يبس مرعاه ، فتحوَّل إلى غيره .

(٥) الحجة للقراء ٥/ ١١٤ ، بنصه تقريباً .

(٦) أشار الواحدي ـ رحمه الله ـ في سورة النساء : [٦٧] أنه استوفى الكلام في أحكام (إذا) عند قوله تعالى : ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [آية :٥٣] ، وهذه الآية داخلة في السقط الذي وقع في التفسير .
وقد ذكر السمين ثلاثة أوجه في رفع ﴿لَا يَلْبَثُونَ﴾ وإعمال (إذاً) ، فقال : أحدهما : أنها توسطت بين المعطوف والمعطوف عليه ، فيكون ﴿لَا يَلْبَثُونَ﴾ عطفاً على قوله : ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ .
الثاني : أنها متوسطة بين قسم محذوف وجوابه فألغيت لذلك ، والتقدير : والله إذا لا يلبثون .
الثالث : أنها متوسطة بين مبتدأ محذوف وخبره ، فألغيت لذلك ، والتقدير : وهم إذا لا يلبثون .
وفي قراءة أبي شاذاً (لا يلبثوا) على إعمال (إذا) ووجه النصب أنه لم يجعل الفعل معطوفاً على ما تقدم ولا جواباً ولا خبراً ، لأنه قد يقع مستأنفاً ، والتقدير : إن فعلوا ذلك إذاً لا يلبثوا خلافك . انظر : الدر المصون ٧/ ٣٩٤ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٩٣ ، والقراءات الشاذة لابن خالويه ٨٠ .

٧٧. قوله تعالى : ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾ . قال الفرَّاء : نصب سُنَّة على العذاب المضمر؛ أي يعذبون كسنَّة من قد أرسلنا[١] .

وقال الزَّجَّاج : سُنَّة منصوب بمعنى لا يلبثون[٢] ، هذا كلامها ويحتاج إلى شرح وبيان في هذا ، وهو أن يقول : سُنَّة منصوبة؛ لأنها وضعت موضع المصدر ، ومعنى السنَّة هاهنا : التعذيب ، وتأويل الآية : أنهم يعذبون تعذيب الأمم قبلهم إذا أخرجوا رسلهم أو قُتلوا ، ودل قوله : ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ﴾ على تعذيبهم ، وكأنه قيل : وإذاً يعذبون تعذيب غيرهم ، ومعنى قول الزَّجَّاج : سُنَّة منصوب بمعنى لا يلبثون ، هو ما ذكرنا من أنه يدل على يعذبون ، ومعنى قول الفرَّاء : أنه منصوب بالعذاب المضمر هو هذا سواء ، فاعرفه فإنه مشكل الظاهر .

وقال صاحب النظم : أضاف هذه السنة إلى الرسول ، والسنة لله عز وجل كما قال في أثره : ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ ، وإنما حسن أن ينسبها إلى الرسل؛ لأنه من أجلهم سَنَّها ، فأضافها إليهم ، هذا كلامه ، وهو على ما قال ، فإن التعذيب يقع بالأمم لا بالرسل ، ولكن أضيف إلى الرسل لما كان بسببهم ومن أجلهم ، وتحقيق هذا أن يقال : إنه حذف المضاف ، على معنى : سنة أمم من قد أرسلنا ، فحذف المضاف ، وحَسَّن حذف المضاف هاهنا ما ذكره صاحب النظم ، وهو : أن هذه السنة كانت لأجلهم ، يدل على صحة ما ذكرنا قول ابن عباس والمفسرين في هذه الآية .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٩ ، بنصه .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٥ ، بمعناه .

قال ابن عباس : يريد هذه سنتي في من كذب أوليائي ، وتَقوَّل عليَّ الباطل .

وقال سفيان بن عيينة : يقول : لم نرسل قبلك رسولاً فأخرجه قومه إلا أُهلكوا[١] .

وقال أبو إسحاق : يقول : إنا سننا هذه السُّنَّة في من أرسلنا قبلك إليهم أنهم إذا أخرجوا نبيهم من بين أظهرهم وقتلوه[٢] ، لم يلبثهم العذاب أن ينزل بهم[٣] ، والسُّنَّة لله -عز وجل- في الأمم ، ولما كان المراد بالسُّنَّة هاهنا التعذيب أضيف مرة إلى المفعول على حذف المضاف كما بينا ، ومرة إلى الفاعل في قوله : ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ ، قال ابن عباس : يريد لا خُلف لسُنَّتي ولا لقضائي ولا لموعدي[٤] .

وقال أهل المعاني أي ما أجرى الله به العادة لم يتهيأ[٥] لأحد أن يقلب تلك العادة[٦] .

---

(١) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٠ ، بنصه .

(٢) في (ش) : (قتلوهم) ، وفي (ع) : (قتلوا) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٥ ، بنصه .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٠ ، بنصه .

(٥) في (أ) و(د) : (ننهنا) .

(٦) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٠ ، بنصه بلا نسبة .

٧٨. قوله تعالى : ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ . اختلف أهل المعاني والمفسرون في معنى (دلوك الشمس) على قولين؛ أحدهما : أن دلوكها غروبها ، وهو اختيار الفرَّاء[١] وابن قتيبة[٢] ، واحتج الفرَّاء بقول الشاعر[٣] :

غُدْوَةً حتَّى دَلَكَتْ بِرَاحِ[٤]

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٩ .

(٢) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٦١ .

(٣) نسب إلى قطرب في تفسير القرطبي ١٠/ ٣٠٣ ، واللسان (برح) ١/ ٢٤٥ .

(٤) وصدره :

هذا مَقَامُ قدَمَيْ رَبَاحِ

ورد بلا نسبة في مجاز القرآن ١/ ٣٨٧ ، ونوادر أبي زيد ٣١٥ ، وتفسير الطبري ١٥/ ١٣٦ ، وجمهرة اللغة ١/ ٢٧٤ ، والأزمنة والأمكنة ٢٨٦ ، والمخصص ٩/ ٢٥ ، وتهذيب الألفاظ ٣٩٣ وفيه : (اليوم) بدل (غدوة) ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١١٦أ ، وابن عطية ٩/ ١٦٣ ، وأبي حيان ٦/ ٦٨ ، وورد برواية (ذبَّبَ) بدل (غُدْوَة) في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٩ ، وتهذيب اللغة (برح) ١/ ٣٠٢ ، (دلك) ٢/ ١٢٢٠ ، والصحاح (برح) ١/ ٣٥٦ ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٦٣ ، وشرح المفصل ٤/ ٦٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٠٣ ، واللسان (برح) ١/ ٢٤٥ ، وورد برواية : (للشمس) بدل (غدوة) في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٥ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٥٠٩ ، (رباح) : اسم ساقٍ على بئر ، قال الفرَّاء : يعني الساقي ، ذَبَّب : طرد الناس ، (براح)؛ يقول : حتى قال بالراحة على العين ، فينظر هل غابت ، وقال الطبري ١٥/ ١٣٦ : (براح) يروى بفتح الباء ، فمن روى ذلك بكسرها ، فإنه يعني : أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها لينظر ما لقي من غبارها ، وهذا تفسير أهل الغريب . . . ، ومن روى بفتح الباء ، فإنه جعله اسماً للشمس ، (دلكت) : مالت للغُيوب .

أي غابت ، واحتج ابن قتيبة بقول ذي الرُّمَّة :

ولا بالآفلات[١] الدَّوالِكِ[٢]

القول الثاني : أن دلوك الشمس زوالها وزيغوغتها عن كبد السماء ، والصحابة مختلفون في هذا ، فروى نافع وسالم عن ابن عمر قال : دلوك الشمس : زيغها حين تزول[٣] ، هذا قول ابن عباس في رواية داود بن الحصين[٤] قال : دلوكها إذا فاء الفيء[٥] .

---

(١) في النسخ جميعها : (بالأفلاق) ، والتصويب من الديوان والمصادر جميعها .

(٢) وتمامه كما في الديوان ٣/ ١٧٣٤ :

مصابيحُ ليسَتْ باللَّواتي تقودُها نُجومٌ . . . . . .

وورد في الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٦١ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١١٦أ ، والماوردي ٣/ ٢٦٢ ، وابن عطية ٩/ ١٦٣ ، وابن الجوزي ٥/ ٧٢ ، والقرطبي ١٠/ ٣٠٣ ، واللسان (دلك) ٣/ ١٤١٢ ، وتفسير أبي حيان ٦/ ٦٨ ، وفي اللسان (صبح) ٤/ ٢٣٨٩ : المصباح من الإبل : الذي يبرك في معرَّسه فلا ينهض حتى يصبح وإن أثير ، وقيل : المِصْبَحُ والمِصْباح من الإبل : التي تُصبحُ في مبركها لا ترعى حتى يرتفع النهار ، وهو مما يستحب من الإبل؛ وذلك لقوتها وسمنها . والمقصود هنا : أنها من الشبع لا تبالي ألّا ترحل ، (الآفلات) : الغائبات .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٤ بمعناه من طريق سالم ، وابن أبي شيبة ٢/ ٤٤ بمعناه من طريق نافع ، والطبري ١٥/ ١٣٥ بمعناه من طريق نافع ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨١ بمعناه من طريقها ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٨٠ ، بنحوه من طريق سالم .

(٤) داود بن الحصين ، أبو سليمان المدني ، مولى عثمان بن عفان ، محدِّث مشهور ، ثقة إلا في عكرمة ، رُمي برأي الخوارج ، روى عن أبيه والأعرج ، وروى عنه : إسحاق ومالك ، مات سنة ١٣٥هـ . انظر : الجرح والتعديل ٣/ ٤٠٨ ، وميزان الاعتدال ٢/ ١٩٥ ، والكاشف ١/ ٣٧٩ ، وتقريب التهذيب ١٩٨ ، (١٧٧٩) .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٤٤ ، بنصه من هذه الطريق ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٤ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

وقال في رواية عطاء: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ يريد لزوالها[١]، ونحو هذا روى مجاهد عنه، وهذا قول الحسن وعمر بن عبدالعزيز والشعبي وعطاء ومجاهد وقتادة[٢].

ويدل على هذا ما روي عن جابر أنه قال: طعم عندي رسول الله ﷺ وأصحابه، ثم خرجوا حين زالت الشمس، فقال النبي ﷺ: «هذا حين دلكت الشمس»[٣].

---

(١) ورد في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٩، بمعناه، أخرجه الطبري ١٥/ ١٣٥، بلفظه من طريق الشعبي، وورد في تفسير الماوردي ٣/ ٥٠٨، بلفظه، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٤، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور.

(٢) تفسير مجاهد ١/ ٣٦٨، بمعناه، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٤، بمعناه عن قتادة وعطاء، وابن أبي شيبة ٢/ ٤٥، بلفظه عن الشعبي، وبنحوه عن مجاهد، والطبري ١٥/ ١٣٥، بلفظه عن الشعبي عن ابن عباس والحسن وقتادة، وبنحوه عن مجاهد، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨١ بلفظه عن الشعبي عن ابن عباس، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٨٠، بمعناه عن قتادة والشعبي عن ابن عباس، والثعلبي ٧/ ١١٦أ بلفظه عن مجاهد والحسن وعطاء، والماوردي ٣/ ٢٦٢، بلفظه عن الشعبي عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد، والطوسي ٦/ ٥٠٨، عن الحسن ومجاهد وقتادة.

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ١٣٧، بنحوه، من طريق ابن أبي ليلى عن رجل عن جابر ـرضي الله عنهـ قال: دعوت نبي الله ﷺ ومن شاء من أصحابه، فطعموا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس، فخرج النبي ﷺ، فقال: «اخرج يا أبا بكر قد دلكت الشمس»، وفيه رجل مجهول، وأخرجه ـكذلكـ من طريق الأسود بن قيس عن نُبيح العَنزي عن جابر ـرضي الله عنهـ عن النبي ﷺ بنحوه. ورجاله ثقات، لكن الطبري لم يجزم بصحته؛ حيث قال في ترجيح هذا القول: وبذلك ورد الخبر عن رسول الله ﷺ، وإن كان في إسناد بعضه بعض نظر، وقال بعد إيراد هذه الأخبار: فإذا كان صحيحاً ما قلنا بالذي به استشهدنا. . . . ، وقد استشهد بالحديث كذلك: ابن عطية ٩/ ١٦١، وابن الجوزي ٥/ ٧٢، وأبي حيان ٦/ ٧٠، وابن كثير ٣/ ٦١، والحديث ضعيف.

وروى جماعة عن ابن مسعود أنه قال حين غربت الشمس : هذا والذي نفسي بيده وقت الصلاة حين دلكت الشمس ، ثم قال : ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾[١] .

وروى زِرُّ بن حُبَيْش[٢] أن عبدالله بن مسعود قال : دلوك الشمس غروبها[٣] ، وقال علي رضي الله عنه : دلوك الشمس غيبوبتها[٤] ، وهذا قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير ، وإبراهيم والسدي وابن زيد[٥] ، وهذا قول المفسرين واختلافهم .

وأما المحققون من أهل اللغة : فإنهم ذهبوا إلى أن دلوك الشمس ميلها في الوقتين .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٤ ، بمعناه ، وابن أبي شيبة ٢/ ٤٥ ، بنحوه ، والطبري ١٥/ ١٣٤ ، بنحوه من طرق ، والطبراني في الكبير ٩/ ٢٦٢ ، بنحوه من طرق عدة ، والحاكم : التفسير ، الإسراء ٢/ ٣٦٣ ، بنحوه وصححه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٦أ ، بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٤ وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق .

(٢) أبو مريم زِر بن حبيش الأسدي الكوفي ، ثقة جليل مخضرم ، سمع عمر وعليا ـ رضي الله عنهما ـ وعنه : عاصم بن أبي النجود والشعبي ، مات سنة ٨٢هـ ، وله (١٢٧) سنة . انظر : الجرح والتعديل ٣/ ٦٢٢ ، والكاشف ١/ ٤٠٢ ، وتقريب التهذيب ٢١٥ ، (٢٠٠٨) .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٩/ ٢٦٣ بلفظه من هذه الطريق ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨١ ، وتهذيب اللغة (دلك) ٢/ ١٢٢٠ ، وتفسير الجصاص ٣/ ٢٠٦ ، والسمرقندي ٢/ ٢٨٠ ، وهود الهواري ٢/ ٤٣٦ ، والماوردي ٣/ ٢٦٢ ، والطوسي ٦/ ٥٠٨ .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٥) عنه ، بمعناه ، قال : دلوكها غروبها ، وانظر : تفسير أبي حيان ٦/ ٧٠ ، بمعناه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٤ ، بمعناه وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم . وفي النسخ جميعها : (غيبوبته) مذكراً ، وحقها التأنيث؛ لأن الضمير يعود على الشمس وهي مؤنثة .

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ١٣٤ ، بمعناه عن ابن عباس من طريق مجاهد (صحيحة) ، وابن زيد ، وورد في تفسير الماوردي ٣/ ٢٦٢ ، بمعناه عن ابن عباس وابن زيد ، والطوسي ٦/ ٥٠٨ بمعناه عن ابن عباس وابن زيد ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٧٢ ، عنهم ، ما عدا السدي ، والخازن ٣/ ١٧٤ ، عن إبراهيم والسدي .

قال الزَّجَّاج : دلوك الشمس زوالها ومَيْلها في وقت الظهر ، وكذلك ميلها للغروب ، وهو دلوكها أيضاً[١] .

وقال المبرِّد : دلوك الشمس من لدن زوالها إلى غروبها عند العرب[٢] .

وقال الأزهري : القول عندي في دلوك الشمس أنه زوالها نصف النهار لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس ، والمعنى : أقم الصلاة؛ أي أدمها من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل ، فيدخل فيها الأولى والعصر وصلاتا غسق الليل؛ وهما العشاءان ، ثم قال : ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ ، فهذه خمس صلوات ، وإذا جعلت الدلوك : الغروب ، كان الأمر في الآية مقصوراً على ثلاث صلوات .

قال : ومعنى الدلوك في كلام العرب : الزوال ، ولذلك قيل للشمس إذا زالت نصف النهار : دالكة ، وقيل لها إذا أفلت : دالكة؛ لأنها في الحالتين زائلة ، انتهى كلامه .[٣] واللام في قوله : ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ لام الأجل والسبب؛ وذلك أن الصلاة إنما تجب بزوال الشمس ، فيجب على المصلي إقامتها لأجل دلوك الشمس .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٥ ، بنصه .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٠ ، بنصه .

(٣) تهذيب اللغة (دلك) ٢/ ١٢٢٠ بتصرف يسير . وقد رجح الطبري هذا القول ، قائلاً : وأولى القولين بالصواب قول من قال : عنى بقوله : ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ صلاة الظهر؛ وذلك أن الدلوك في كلام العرب : الميل . ثم قال : فإذا كان معنى الدلوك في كلام العرب هو الميل ، فلا شك أن الشمس إذا زالت عن كبد السماء ، فقد مالت للغروب ، وذلك وقت صلاة الظهر ، وكذلك رجحه البغوي ٥/ ١١٤ ، وابن عطية ٩/ ١٦٢ ، وذهب بعضهم إلى أن اللفظ يشمل الأمرين؛ لأن أصل الدلوك في اللغة هو الميل ، والشمس تميل عند زوالها وغروبها ، فلذلك انطلق على كل واحدٍ منهما . انظر : تفسير الماوردي ٣/ ٢٦٣ .

وقوله تعالى : ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ ، غسق الليل : سواده وظلمته ، قاله الفرَّاء والزَّجَّاج وأبو عبيدة وابن قتيبة[١] .

قال الكسائي : غسق الليل غسوقاً ، والغسق الاسم بفتح السين[٢] .

وقال ابن شميل : غَسقُ الليلِ دخولُ أولِه ، وأتيته حين غسق الليل؛ أي حين يختلط ويَسُدُّ المناظر[٣] .

وقال الفرَّاء في المصادر : أغسق الليل إغساقاً وغسق غسوقاً[٤] .

وقال الزَّجَّاج في باب الوفاق : غسق الليل وأغسق[٥] .

وأصل هذا الحرف من السَّيَلان ، قال أبو زيد : غَسَقت العينُ تَغْسِقُ ، وهو هَملانُ العينِ بالغَمَص والماء[٦] ، والغاسق السائل ، وأنشد شمر :

أبْكي لِفَقْدِهِمُ بِعَيْنٍ ثَرَّةٍ تَجْرِي مَسَارِبُها بِعَيْنٍ غاسِقٍ[٧]

أي سائلٍ ، وليس من الظلمة في شيء ، ومن هذا قيل لما يسيل من أهل النار : الغَسَّاق ، فمعنى غسق الليل أي انصب بظلامه ، وذلك أن الظلمة تنزل من فوق .

---

(١) جاء بنحوه في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٥ ، ومجاز القرآن ١/ ٣٨٨ ، والغريب لابن قتيبة ١/ ٢٦١ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٢٦ ، وأبي حيان ٦/ ٦٨ ، والقرطبي ١٠/ ٣٠٤ بلا نسبة .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (غسق) ٣/ ٢٦٦٤ ، بنصه .

(٤) انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٣٠٤ ، وأبي حيان ٦/ ٦٨ .

(٥) (فعلت وأفعلت) ٦٩ ، بنحوه .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (غسق) ٣/ ٢٦٦٤ ، بنصه .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (غسق) ٣/ ٢٦٦٤ ، واللسان (غسق) ٦/ ٣٢٥٥ .

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي : الغَسَـقان : الانْصِبَابُ ، وغَسَقَتِ السماء : أرشَّتْ[١] .

ومنه قول عُمرَ حين غسـقَ الليلُ عـلى الظِّرابِ[٢]؛ أي انصـبَّ الليلُ على الجبال[٣] .

وأما قول المفسرين ، فقال ابن عباس : غسق الليل : اجتماع الليل وظلمته[٤] . وقال ابن جريج : قلت لعطاء : ما غسق الليل؟ قال : أوله حين يدخل[٥] .

وقال ابن مسعود : غسق الليل إظلام الليل[٦] .

وسـأل نافع بن الأزرق ابن عباس : ما الغسق؟ قال : دخول الليل بظلمته ، وأنشد بيت زهير :

---

(١) الراء والشـين أصلٌ واحد يدلُّ على تفريق الشيء ، والرشُّ يكون للماء والدم والدمع ، ويقال : رشَّت السماءُ وأرشت ، وكذلك أرشَّت الطعنةُ الدم ، وأرشَّت العينُ الدمع . انظر : مقاييس اللغة ٢/ ٣٧٣ ، واللسان (رشش) ٣/ ١٦٥٠ .

(٢) ورد أثر عمر ـ رضي الله عنه ـ في النهاية ٣/ ١٥٦ ، واللسان (ظرب) ٥/ ٢٧٤٥ ، (غسق) ٦/ ٣٢٥٥ . والظِّراب : جمع ظَرِب بوزن كَتِف ، وهي الـروابي الصغار . قال الليث : الظَّربُ من الحجارة ما كان ناتئاً في جبلٍ أو أرضٍ خَربة .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (غسق) ٣/ ٢٦٦٤ ، بنصه .

(٤) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨٢ ، بنصه ، وتفسـير الجصاص ٣/ ٢٠٦ بنصه ، انظر : تفسـير ابن العربي ٣/ ١٢١٩ ، والقرطبي ١٠/ ٣٠٤ ، وأورده السـيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٤ وعزاه إلى ابن المنذر .

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٤ بنصه ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٢٧ .

(٦) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٣١ .

ظلَّتْ تَجُوب يَدَاهَا وهي لاهِيَةٌ حتَّى إذا جَنَحَ الإظلامُ والغَسَقُ[١][٢]

وقال الأزهري : غسق الليل عندي : غَيْبُوبةُ الشَّفق الأحمر حين تحِلُّ صلاةُ عِشاء الآخرة ، يدل على ذلك سِيَاقُ الآية في الأمر بالصلوات الخمس ، فيدخل الظهر والعصر والمغرب والعشاء في قوله : ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾[٣]

وقوله تعالى : ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ قال ابن عباس : يريد صلاة الصبح[٤] ، وكذلك قال ابن مسعود ومجاهد ومسروق وقتادة وجميع المفسرين[٥] ، وانتصابه على أنه معطوف بالعطف على الصلاة في قوله : ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قاله الفرَّاء[٦] والزَّجَّاج ، قال الزَّجَّاج : أي وأقم قرآن الفجر ، قال : وفي هذا الموضع فائدة عظيمة؛ تدل على أن الصلاة لا تكون إلا بقراءة؛ لأنه قال : ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ، وأقم قرآن الفجر ، فأمر أن يقيم الصلاة بالقراءة ، حيث سميت الصلاة قرآناً ، فلا تكون صلاةٌ إلا بقراءة؛ انتهى كلامه[٧] .

---

(١) لم أجده في ديوانه ، وورد في إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٨٩ ، والإتقان ٢/ ٨٦ ، والدر المنثور ٤/ ٣٥٤ ، وبرواية : (تجود) في تفسير الماوردي ٣/ ٢٦٣ ، والقرطبي ١٠/ ٣٠٤ ، وأبي حيان ٦/ ٦٨ ، وشرح القصائد السبع الطوال ٥٥٩ بلا نسبة .

(٢) ورد في إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٨٩ ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٢٧ ، وأبي حيان ٦/ ٦٨ ، من دون الشعر فيهما ، والإتقان ٢/ ٨٦ ، وتفسير الألوسي ١٥/ ١٣٢ ، ومسائل ابن الأزرق ، [ذيل الإعجاز البياني لبنت الشاطئ] ٥٧٤ .

(٣) تهذيب اللغة (غسق) ٣/ ٢٦٦٤ ، بتصرف .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٤٠ ، بنصه من طريق العوفي (ضعيفة) ، وأورده في الدر المنثور ٤/ ٣٥٥ .

(٥) تفسير مجاهد ٣٦٨ بنصه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٣٩ ـ ١٤٠ ، عنهم ، عدا مسروق ، أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٥ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر عن مجاهد .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٩ ، بمعناه .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٥ ، بنصه .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ، كلهم قالوا : صلاة الفجر تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار[١] .

وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال : «تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح» ، ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم : ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ .[٢]

وقال ابن مسعود : يتدارك الحارسان؛ حارس الليل وحارس النهار من الملائكة في صلاة الفجر ، وإن شئتم فاقرؤوا : ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٣] .

وقال الكلبي : ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلاة الغداة خلف الإمام ، تنزل ملائكة النهار عليهم ، وهم في صلاة الغداة قبل أن تعرج ملائكة الليل ، فإذا فرغ الإمام من صلاته عرجت ملائكة الليل ومكثت ملائكة النهار ، فتقول ملائكة الليل إذا صعدت إلى ربها : ربنا إنا تركنا عبادك يصلون لك ، ويقول الآخرون : ربنا أتينا عبادك وهم يصلون ، فيقول الله لملائكته : اشهدوا أني قد غفرت لهم[٤] ، وهذا معنى قول ابن عباس ، ويريد أن ذلك كفارة لما صنعت ،

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٥/ ١٣٩ ، وابن عطية ٩/ ١٦٦ .

(٢) وطرف الحديث : «فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ، وتجتمع ملائكة الليل . . . .» . الحديث ، أخرجه عبدالرزاق في المصنف ١/ ٥٢٢ بنصه ، وأحمد ٢/ ٤٧٤ ، بنحوه ، والبخاري (٤٧١٧) ، كتاب : التفسير ، سورة الإسراء ، باب : قوله : ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ﴾ ، بنصه ، ومسلم ٦٤٩/ ٢٤٦ ، كتاب : المساجد ، فضل الجماعة ، وابن ماجه ٦٧٠ ، كتاب : مواقيت الصلاة ، وقت صلاة الفجر ، بنحوه ، والترمذي (٣١٣٥) ، كتاب : التفسير ، الإسراء ، بنحوه وقال : حسن صحيح ، والنسائي : الصلاة ، فضل صلاة الجماعة ١/ ٢٤١ بنصه ، والطبري ١٥/ ١٤١ ، بنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨٣ ، بنحوه ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١١٧أ ، بنصه ، والدر المنثور ٤/ ٣٥٥ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ١٤١ ، بنحوه ، والطبراني في الكبير ٩/ ٢٦٥ ، بنحوه ، وورد في تفسير هود الهواري ٢/ ٤٣٧ ، بنحوه ، والدر المنثور ٤/ ٣٥٥ وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .

(٤) لم أقف عليه ، وقد ورد بهذا المعنى حديث صحيح مشهور ، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ ، وطرفه : «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار . . . .» . أخرجه البخاري (٥٥٥) ، كتاب : مواقيت =

وفي هذا أيضاً دليل على أن السُـنَّة التبكير بهذه الصلاة؛ لأنه إنما يشهدها القبيلان مـن الملائكة إذا بُكِّرَ بها ، فـإذا لم يُبَكَّر بها في أول الفجـر كانت ملائكة الليل قد عرجت فلم تشهدها ، والسُنَّة أن يصلى في الوقت الذي يشهدها القبيلان جميعاً .

٧٩. قولـه تعـالى : ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ﴾ ، أصل معنى الهجـود في اللغة النوم[١] ، وهو معروفٌ كثيرٌ في الشعر ، وأهجدته وهجدته؛ أي أنمته ، ومنه قول لبيد قال :

هجِّدْنا فقدْ طالَ السُّرى[٢]

كأنه قال : نَوِّمْنَا فإن السُّرى قد طال علينا النوم ، هذا هو الأصل ، وروى أبو عبيد عن أبي عبيدة : الهاجد النائم ، والهاجد : المصلِّي بالليل[٣] .

= الصلاة ، باب : فضل صلاة العصر ، ومسـلم (٦٣٢) ، كتاب : المسـاجد ومواضع الصلاة ، باب : فضل صلاتي الصبح والعصر .

(١) انظر : المحيط في اللغة(هجد) ٣/ ٣٧٠ ، والصحاح ٢/ ٥٥٥ ، واللسان ٨/ ٤٦١٦ .

(٢) وتمامه :

قـال هَجِّـدْنـا ..... وقَـدَرْنَـا إن خَـنَـا الـدَّهْـرِ غَفَل

شرح ديـوان لبيد ١٨٢ ، وورد في الأضداد لابن السِّـكيت [ثلاثة كتـب في الأضداد] ١٩٤ ، ومجاز القـرآن ١/ ٣٨٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٦ ، والأضـداد لابن الأنباري ٥١ ، وتهذيب اللغة (هجد) ٤/ ٣٧١٦ ، والصحاح (هجد) ٢/ ٥٥ ، وتفسـير الطوسي ٦/ ٥١١ ، وتفسـير ابن الجوزي ٥/ ٧٤ ، واللسـان (هجد) ٤/ ٤٦١٦ (خنا) ٣/ ١٢٨٣ . (السُّرى) : سير الليل عامة ، (قدرنا)؛ أي وقدرنا على ورود الماء ، وذلك إذا قربوا منه ، (الخنى) : الآفة والفسـاد؛ أي إن غفل عنا فسـاد الدهر فلم يعقنا ، وقيل : قدرنا؛ أي على التهجد ، وقيل : على السير ، والشاعر يصف نفسه بالجلد في السفر وكثرة السـهر حتى تأذى رفيقه بذلك ، وقال له : خلنا ننام ونستريح ، قد قدرنا على ما نريد ووصلنا إلى ما نحب إن غفل عنا الدهر ولم يفسد علينا أمرنا .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (هجد) ٤/ ٣٧١٦ ، بنصه .

وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي : هجَّد الليلَ الرجلُ إذا صلى من الليل ، وهَجَّد : إذا نام بالليل ، قال : والمتهجد يكون مُصلِّياً ويكون نائماً[١] .

وروى عمرو عن أبيه قال : هَجد وهَجَّد : إذا قام مُصلِّياً ، وهَجَد : إذا نام[٢] ، وقال الليث : تهجد إذا استيقظ للصلاة[٣] .

وقال ابن بُزُرْج : هَجَّدْتُه أيقظته[٤] ، وهذا قول أهل اللغة[٥] في تفسير هذا الحرف ، وعلى ما ذكروا هو من الأضداد[٦] ، كما بيَّنَّا ، وأجاد الأزهري في تفسير التهجد ، فقال : المعروف في كلام العرب : أن الهاجد : النائم ، وقد هجد هجوداً إذا نام ، وأما المتهجِّد فهو القائم إلى الصلاة من النوم ، وكأنه قيل له : متهجد؛ لإلقائه الهجود عن نفسه ، كما قيل للعابد : متحنث؛ لإلقائه الحِنْثَ عن نفسه ، وهو الإثم[٧] ، وعلى ما ذكر ، التهجد : بمعنى الصلاة ، هو من باب تَحَرَّج وتأثَّم وتحوَّب ، وهو ترك الهجود ، ثم صار بمعنى الصلاة لمَّا كان المصلي بالليل يترك النوم .

---

(١) ورد في تهذيب اللغة (هجد) ٤/ ٣٧١٦ ، بنصه تقريباً .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (هجد) ٤/ ٣٧١٦ ، بنصه .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (هجد) ٤/ ٣٧١٦ ، بنصه .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (هجد) ٤/ ٣٧١٦ بلفظه ، انظر : تفسير الألوسي ١٥/ ١٣٨ .

(٥) في (أ) و(د) : (الليل) ، وهو خطأ ظاهر ، والمثبت من (ش) و(ع) هو الصواب .

(٦) انظر : ثلاثة كتب في الأضداد للأصمعي ٤٠ ، والسجستاني ١٢٣ ، وابن السكيت ١٩٤ ، والأضداد لابن الأنباري ٥٠ .

(٧) تهذيب اللغة (هجد) ٤/ ٣٧١٦ ، بنصه .

قال ابن عباس في قوله : ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ فَصَلِّ بالقرآن[١] ، وقال مجاهد : التهجد : بعد النوم[٢] ، وهذا قول عبدالرحمن بن الأسود[٣] وعلقمة وإبراهيم وجميع المفسرين[٤] .

قال الحجاج بن عمرو المازني[٥] أيحسب أحدكم إذا قام من الليل فصلى حتى يصبح أنه قد تهجد؟! إنما التهجد : الصلاة بعد رقدة ثم صلاة بعد رقدة ثم صلاة بعد رقدة ، وتلك كانت صلاة[٦] رسول الله ﷺ[٧] ، وهذا يدل على صحة قول الأزهري في تفسير التهجد ، حيث لم يجعلوا الساهر ليله كله متهجداً ، وجعلوا التهجد بعد النوم ، ولو كان ضداً للنوم لكان الساهر جميع ليله متهجداً .

---

(١) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٧٤ ، بنصه .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٧٤ ، بنصه .

(٣) عبدالرحمن بن الأسود بن يزيد بن قيس النخعي ، أبو حفص ، ثقة ، روى عن أبيه وعلقمة ، وروى عنه الأعمش وهارون بن عنترة ، مات سنة ٩٩هـ ، انظر : الجرح والتعديل ٥/ ٢٠٩ ، والكاشف ١/ ٦٢١ ، ٣١٤١ ، وتقريب التهذيب (٣٨٠٣) .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٤١ـ١٤٢ ، بنصه من طرق عنهم ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨٣ ، بنصه عن علقمة والأسود ، وتفسير الجصاص ٣/ ٢٠٧ ، بنصه عن الأسود وعلقمة ، والثعلبي ٧/ ١١٧أ ، بنصه ، والطوسي ٦/ ٥١١ ، بنصه عن الأسود وعلقمة ، انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٦١ ، عنهم ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٥ وزاد نسبته إلى ابن المنذر ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة عن علقمة والأسود .

(٥) الحجاج بن عمرو المازني الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه ، له صحبة ، روى عن النبي ﷺ حديثين؛ أحدهما في الحج ، والآخر في التهجد ، وهو الذي ضرب مروان يوم الدار ـيوم حصر عثمان ـرضي الله عنهـ في داره ـ فأسقطه ، وشهد صفين مع علي .
انظر : الاستيعاب ١/ ٣٧٨ ، وأسد الغابة ١/ ٦٩٢ ، والإصابة ١/ ٣١٣ ، وتقريب التهذيب ١٥٣ ، (١١٣٢) .

(٦) ساقطة من (د) .

(٧) أخرجه الطبري ١٥/ ١٤٢ مختصراً ، وورد في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٧ ، بنصه ، وانظر : تفسير ابن عطية ٩/ ١٦٨ ، والفخر الرازي ٢١/ ٣٠ ، والقرطبي ١٠/ ٣٠٨ ، والألوسي ١٥/ ١٣٨ .

وقوله تعالى : ﴿بِهِۦ﴾ . قالوا : بالقرآن نافلة لك ، معنى النافلة في اللغة : ما كان زيادة على الأصل ، ذكرنا هذا في قوله : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال :١] ، ومعناها أيضاً في هذه الآية : الزيادة .

قال مجاهد : النافلة للنبي ﷺ خالصة؛ من أجل أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فما عمل من عمل سوى المكتوبة فهي نافلة له ، من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب ، فهي نوافل له خاصة وزيادة ، والناس يعملون ما سوى المكتوبة لذنوبهم في كفارتهم فليس لهم نوافل[١] .

وقال السدي : نافلة لرسول الله ﷺ خاصة؛ لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وليست لنا بنافلة لكثرة ذنوبنا إنما نعمل لكفاراتها[٢] ، وهذا قول أكثر المفسرين .

قال أبو أمامة : إنما النافلة للنبي ﷺ[٣] .

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ١٤٣ ، بنصه ، والبيهقي في الدلائل ٥/ ٤٨٧ ، بنصه تقريباً ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨٤ ، بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٨٠ مختصراً ، والثعلبي ٧/ ١١٧أ ، بنحوه ، والماوردي ٣/ ٢٦٤ مختصراً ، والطوسي ٦/ ٥١٢ مختصراً ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٦ وزاد نسبته إلى ابن المنذر ومحمد بن نصر ، ولم ير الطبري هذا القول ، ورده وحكم عليه بالفساد ، وقال : لا معنى له؛ لأن النبي ﷺ في ما ذكر عنه ـ أكثر ما كان استغفاراً لذنوبه بعد نزول قول الله عز وجل : ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح :٢] ، وكان يعد له في المجلس الواحد استغفار مائة مرة ، ومعلوم أن الله لم يأمره أن يستغفر إلا لما يغفر له باستغفاره ذلك . ا .هـ . نعم كان النبي ﷺ يكثر من الاستغفار ، لكن لا على أنه استغفار من الذنوب كذنوبنا ، بل كما قال : «إنه ليُغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» . رواه مسلم (٢٧٠٢) ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب استحباب الاستغفار ، قال ابن الأثير : الغين : الغيم ، أراد ما يغشاه من السَّهو الذي لا يخلو منه بشر؛ لأن قلبه أبداً كان مشغولاً بالله تعالى . النهاية ٣/ ٤٠٣ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٣٠ ، بنحوه ، وأبي حيان ٦/ ٧١ .

(٣) أخرجه الطيالسي ١٥٥ ، بنصه تقريباً ، والطبري ١٥/ ١٤٣ ، بنصه ، والطبراني في الكبير ٨/ ١٤٥ ، بنصه ، والبيهقي في الشعب ٣/ ٢٨ ، بنصه ، وورد في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٧ بنصه ، والسمرقندي ٢/ ٢٨٠ ـ بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٦ وزاد نسبته إلى ابن نصر وابن مردويه .

وقال الحسن : لا تكون نافلة إلا للنبي ﷺ[١] .

وقال ابن عباس : خاصة[٢] ، وهذا كله مما ذكره مجاهد والسدي : أن صلاة الليل كانت زيادة للنبي ﷺ للدرجات لا للكفارات .

ولا يدل قوله : ﴿نَافِلَةً﴾ على أنها لم تكن واجبة عليه ، فقد روى عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ يريد فريضة عليك زائدة على الفرائض خُصِصتَ بها من بين أمتك[٣] ، هذا الذي ذكرنا مذهب أكثر أهل التفسير[٤] .

وذهب قوم إلى أن معنى النافلة : التطوع الذي يتبرع به الإنسان ، وقالوا : إن صلاة الليل كانت واجبة عليه ، ثم نُسخت عنه فصارت نافلة؛ أي تطوعاً وزيادة على الفرائض يتبرع بها ، وهو قول قتادة والمبرِّد وعبدالله بن مسلم[٥] ، وانتصب نافلة بوقوع التهجد عليه؛ لأن معنى التهجد : صل بالليل نافلة؛ أي صلاة نافلة .

---

(١) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٧٥ ، بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٦ وعزاه إلى محمد بن نصر .

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٧أ ـ بلفظه ، انظر : تنوير المقباس ٣٠٤ .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ١٤٢ ، بنحوه من طريق العوفي (ضعيفة) ، ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٧أ ، بنحوه ، والماوردي ٣/ ٢٦٤ ، مختصراً ، والطوسي ٦/ ٥١١ ، بنحوه ، أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٥ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٥/ ١٤٢ـ١٤٣ ورجحه ، وهود الهواري ٢/ ٤٣٧ ، والثعلبي ٧/ ١١٧أ ، والسمعاني ٣/ ٢٦٩ ، والبغوي ٥/ ١١٥ .

(٥) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٦١ قال : تطوعاً ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٦ ، والطبري ٨/ ١٣٠ ، عن قتادة ، قال : تطوعاً وفضيلة لك ، وورد عن قتادة ـ كرواية الطبري ـ في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٧ ، والثعلبي ٧/ ١١٧أ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٦ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ومحمد بن نصر عن قتادة .

وقوله تعالى : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ . قال ابن عباس : عسى من الله واجب[١] ، وكذلك قال المفسرون كلهم في عسى من الله[٢] .

قال أهل المعاني : وإنما كان كذلك لأن معنى عسى في اللغة : التقريب والإطماع ، ومَنْ أطمع إنساناً في شيء ثم حَرَمَه كان غارَّاً ، والله أكرم من أن يُطمع أحداً في شيء ثم لا يعطيه ذلك[٣] .

قوله تعالى : ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ . أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة[٤] ، كما قال النبي ﷺ في هذه الآية : «هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي»[٥] ، رواه أبو هريرة .

---

(١) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨٥ ، بنحوه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) ، انظر : تنوير المقباس ٣٠٤ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١/ ٤٣٨ بنصه ، وعزاه إلى ابن المنذر والبيهقي في سننه .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢١٨ب ، والطبري ١٥/ ١٤٣ ، وهود الهواري ٢/ ٤٣٧ ، والطوسي ٦/ ٥١٢ .

(٣) ورد نحوه في تفسير الطبري ١٥/ ١٤٣ ، والثعلبي ٧/ ١١٧أ ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٣١ ، والخازن ٣/ ١٧٥ .

(٤) انظر : تفسير مجاهد ١/ ٣٦٩ ، وتفسير مقاتل ١/ ٢١٨ب ، وعبدالرزاق ٢/ ٣٨٦ ، والطبري ٨/ ١٣١ـ١٣٢ ، وهود الهواري ٢/ ٤٣٧ ، والثعلبي ٧/ ١١٧أ ، والماوردي ٣/ ٢٦٥ ، والطوسي ٦/ ٥١٢ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٦ـ٣٥٩ بروايات عدة عن ابن عمر وأبي هريرة وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وكعب بن مالك وحذيفة وابن مسعود وأبي سعيد الخدري وجابر بن عبدالله وسلمان .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ٦/ ٣٢٣ ، بمعناه ، وأحمد ٢/ ٤٤١ ، ٥٢٨ ، بنصه ، والترمذي (٣١٣٧) ، كتاب : التفسير ، باب : ومنه سورة بني إسرائيل . بمعناه وحسنه ، والطبري ١٥/ ١٤٦ بنصه ، والبيهقي في الدلائل ٥/ ٤٨٤ ، بمعناه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨٥ ، بنصه ، أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٦ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه . والحديث ضعيف ، كما قال شاكر في شرح المسند ٩/ ٢٠٤ ؛ لضعف داود الأَوْدِيِّ الذي روى الحديث عن أبيه عن أبي هريرة ، وقد ضعفه كثير من العلماء ، انظر ترجمته في : ميزان الاعتدال ٢/ ٢١١ ، وتهذيب التهذيب ١/ ٥٧٢ .

قال ابن عباس : عسى من الله واجب ، يريد أعطاك الله يوم القيامة مقاماً محموداً ، يحمدك فيه الأولون والآخرون ، تَشْرُف فيه على جميع الخلائق ، وتَسأل فتُعطى وتَشفع فتُشَفَّع ، ليس أحدٌ إلا تحت لوائك[١] .

وروي عن مجاهد في تفسير قوله : ﴿يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ . قال : يجلسه معه على العرش[٢] .

وروي عن ابن مسعود أنه قال في هذه الآية : يقعده على العرش[٣] ، وهذا تفسير فاسد وقول رذل ، وقول مجاهد : معه قولٌ موحش فظيع ، ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير ، وهو قوله : ﴿يَبْعَثَكَ﴾ ، والبعث لا يكون بمعنى الإجلاس ، ومن فَسَّر البعث بالإجلاس فقد فَسَّره بضد ما وُضع له؛ لأن البعث وضع للإثارة ، يقال : بعثت البارك والقاعد فانبعث ، هذا هو الأصل ، ثم يقال : بعث الله الميت ، وبعث بمعنى أرسل راجع إلى هذا؛ لأنه يقيمه إلى ما يرسله إليه وله ، ولأن الله تعالى قال : ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ، ولم يقل : مقعداً ، والمقام موضع القيام ، يدل على هذا قوله : ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران :٩٧] ، وهو موضع قدميه في حال قيامه ، وقول الشاعر :

هَـذَا مُقَـامُ قَـدَمَيْ رَبَـاحِ[٤]

---

(١) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٤ ، انظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٧٢ ، وتنوير المقباس ٣٠٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٦/ ٣٠٨ ، بنحوه ، والطبري ١٥/ ١٤٥ ، بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٨أ ، بنصه ، والماوردي ٣/ ٢٦٥ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ١٢١ ، وابن الجوزي ٥/ ٧٦ ، والعلو للذهبي ٩٤ .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٨أ بنصه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٧٦ ، والعلو للذهبي ٧٥ .

(٤) سبق .

وإذا فسد هذا الفساد الظاهر لم يُعتد به[1] .

(١) لقد أجاد الواحدي ـ رحمه الله ـ في رد هذا القول ، لكن الغريب أن الطبري ـ مع ترجيحه لقول الجمهور ـ لم يستنكر هذا القول ، بل قال : إن ما قاله مجاهد قول غير مدفوع صحته ، لا من جهة خبر ولا نظر؛ وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من أصحابه ، ولا عن التابعين بإحالة ذلك . تفسير الطبري ١٥/ ١٤٧ ، ومعلوم أن عدم ورود الخبر عن المعصوم بذلك يكفي لإبطال هذا القول لا العكس ، ولأن هذا الخبر غيبي عقدي ، فلا يثبت إلا بالخبر الصحيح ، ولا يجدي النظر في إثبات هذه القضية ، لذلك لا محيد عن قول الجمهور في هذه القضية ، وهو الذي أيَّدته الأخبار الصحيحة ، وكذلك الأخبار التي اعتمد عليها الطبري في تسويغ الجلوس لا تثبت؛ فقد ردها علماء الحديث ، وفي مقدمتهم الذهبي ، فقد أورده في العلو ٧٥ من طريقين عن أحمد بن يونس عن سلمة الأحمر عن أشعث بن طليق عن ابن مسعود بنحوه ، ثم قال : هذا حديث منكر لا يفرح به ، وسلمة هذا متروك الحديث ، وأشعث لم يلحق ابن مسعود ، وذكر الذهبي للأثر شاهداً بنحوه عن عبدالله بن سلام موقوفاً عليه ، وقال : هذا موقوف ولا يثبت إسناده ، وإنما هذا شيء قاله مجاهد . كما أن له شاهداً آخر من حديث ابن عباس أخرجه الطبراني في الكبير ١٢/ ٦١ ، بنحوه ، من طريق ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن ابن جبير عن ابن عباس ، وأورده الهيثمي في المجمع ٧/ ٥١ وقال : وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف إذا لم يتابع ، وعطاء بن دينار قيل : لم يسمع من سعيد بن جبير .

أما أثر مجاهد فقد أورده الذهبي في العلو ٩٤ ، وقال : لهذا القول طرق خمسة ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ، وعمل فيه المروزي مصنفاً . وفي سند الطبري ليث بن أبي سليم ، وهو ضعيف مختلط ، كما في ميزان الاعتدال ٣/ ٤٢٠ ، وهذا الأثر مما أُنكر على مجاهد حتى قُرن في ترجمته ، قال الذهبي في ترجمة مجاهد في ميزان الاعتدال ٤/ ٣٥٩ : ومن أنكر ما جاء عن مجاهد في التفسير في قوله : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ . قال : يُجلسه معه على العرش . وقال ابن عبدالبر : مجاهد وإن كان أحد الأئمة بالتأويل ، فإن له قولين مهجورين عند أهل العلم؛ أحدهما هذا القول ، والثاني في تأويل : ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة :٢٢ـ٢٣] . قال : معناه تنتظر الثواب . انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٣١١ ، وأبي حيان ٦/ ٧٢ ، والشوكاني ٣/ ٣٦٠ .

فالحديث باطل لا يثبت لا من جهة الخبر ولا النظر ، والأغرب من قول الطبري تشبث بعض المحدثين بهذا الخبر والمبالغة في قبوله إلى حد الغلو ، فقد ذكر الذهبي في العلو ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٧ ، ١١٨ أن بعض المحدثين قال : لو أن حالفاً حلف بالطلاق ثلاثاً أن الله يقعد محمداً ﷺ على العرش واستفتاني ، لقلت له : صدقت وبررت! وعقب الذهبي قائلاً : فابصر ـ حفظك الله من الهوى ـ كيف آل الغلو بهذا المحدث إلى وجوب الأخذ بأثر منكر . . . . ، وذكر النقاش عن أبي داود السجستاني أنه قال : من أنكرَ هذا الحديث فهو عندنا متهم ، ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا . انظر : تفسير ابن عطية ٩/ ١٧١ ، والقرطبي ١٠/ ٣١١ ، وأبي حيان ٦/ ٧٢ ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٦٥ حاشية رقم (٤٤٩) ، وسلسلة الأحاديث الضعيفة ، رقم (٨٦٥) ، ٢/ ٢٥٥ .

وفي القول الذي عليه الناس معنى قوله : ﴿يَبْعَثَكَ﴾ يقيمك في ذلك المقام ، يدل على هذا ما رُوي في حديث الشفاعة : « . .فأكون أول من يدعى وأول من ينادى فأقول : لبيك وسعديك . . . . » . الحديث[١] .

وانتصب قوله : ﴿مَقَامًا﴾ على الظرف ، كأنه قيل : في مقام .

وقوله تعالى : ﴿مَّحْمُودًا﴾ يجوز أن يكون انتصابه على الحال مِنْ ﴿يَبْعَثَكَ﴾؛ أي يبعثك محموداً يحمدك فيه الخلق ، ويجوز أن يكون نعتاً في اللفظ ، وهو في المعنى لمحمد ﷺ ، تقديره : مقاماً محموداً فيه أنت ، ويدل على هذا الوجه ما رُوي في الحديث : «وابعثه المقام المحمود حتى يغبطه به الأولون والآخرون»[٢] ، والمعنى : ابعثه المقام المحمود فيه هو .

---

(١) أحاديث الشفاعة كثيرة وبروايات عدة في الصحيحين وغيرهما ، لكني لم أقف على حديث بهذا اللفظ ، وأقرب لفظ وجدته حديثان؛ أحدهما : موصول ، والآخر : مرسل ، أما الحديث الموصول ، فعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال : «يُجْمَعُ الناس في صعيد ، فلا تكلم نفسٌ ، فأول من يتكلم محمد ﷺ ، فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك . . قال حذيفة : فذلك المقام المحمود» ، أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٧ ، وابن أبي شيبة ٦/ ٣٢٣ ، ٧/ ١٥٣ ، والنسائي في تفسيره ١/ ٦٦٠ ، والبزار [البحر الزخار] ٧/ ٣٢٩ ، والطبري ١٥/ ١٤٤ ، والحاكم : التفسير/ الإسراء ٢/ ٣٦٣ وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٧٨ ، وأورده الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٧٧ وقال : رواه البزار موقوفاً ورجاله رجال الصحيح ، أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث والخطيب في المتفق والمفترق . أما الحديث المرسل؛ فأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٧ ، عن معمر عن الزهري عن علي بن الحسين ، أن النبي قال : «إذا كان يوم القيامة مدَّ الله الأرض مد الأديم . . قال النبي ﷺ : فأكون أول من يدعى ، وجبريل عن يمين الرحمن ، والله ما رآه قبلها .» . الحديث .

(٢) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ ، وأقرب لفظ لهذا الحديث ما ورد في فضل الدعاء عند النداء ، وروايته : عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال : «من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة» أخرجه أحمد ٣/ ٣٥٤ ، والبخاري (٦١٤) : الأذان ، الدعاء عند النداء ، والنسائي : الأذان ، الدعاء عند الأذان ٢/ ٢٧ ، سنن البيهقي : الصلاة ، ما يقول إذا فرغ من ذلك ١/ ٤١٠ .

٨٠. قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الآية. روى قابوس[١] عن أبيه عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ بمكة، ثم أُمر[٢] بالهجرة، وأُنزل عليه هذه الآية[٣]، فعلى هذا يريد ﴿أَدْخِلْنِي﴾ المدينة واصرفني من مكة، وهذا قول الحسن وقتادة[٤].

وقال الكلبي: هذا حين خرج من المدينة يريد الشام لقول اليهود، وقد ذكرنا القصة[٥]، فقال الله له: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ يعني المدينة، ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ [منها إلى مكة][٦]، ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾؛ أي افتحها، واختار الفرَّاء هذا القول[٧].

---

(١) قابوس بن أبي ظَبْيان بالكسر والفتح، وأبو ظبيان والده هو حُصين بن جُنْدب الجَنْبي الكوفي، ضعيف الحديث، قال أبو حاتم: لين يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال ابن حبان: كان رديء الحفظ، ينفرد عن أبيه بما لا أصل له، وربما رفع المراسيل وأسند الموقوف، روى عنه الثوري وجرير، مات سنة ١٢٩هـ.
انظر: المجروحين لابن حبان ٢/ ٢١٥، والجرح والتعديل ٧/ ١٤٥، والكاشف ٢/ ١٢٦، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٨٧، وتقريب التهذيب ٤٤٩.

(٢) في (د): (أمرنا).

(٣) أخرجه الترمذي (٣١٣٩): التفسير، الإسراء ٥/ ٣٠٤، وقال: حديث حسن صحيح، والطبري ١٥/ ١٤٨ـ١٤٩، بنصه (طريق ضعيفة لضعف قابوس)، وورد عند الثعلبي ٧/ ١١٨ب، بمعناه، والطوسي ٦/ ٥١٢، بمعناه، وأورده المصنف في أسباب النزول ٢٩٨ بلا سند عن الحسن، وورد في لباب النقول ١٣٩.

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٩، بنحوه عن قتادة، والطبري ١٥/ ١٤٩، بنحوه عنهما، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨٥، عنهما، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٨١، عن الحسن، والثعلبي ٧/ ١١٨ب، عنهما، والماوردي ٣/ ٢٦٦، عن قتادة، والطوسي ٦/ ٥١٢، بنحوه عنهما.

(٥) عند آية [٧٦].

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د).

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٩، وهو ما رجحه الطبري ١٥/ ١٥٠ وأيَّده بالسياق.

وقال مجاهد : أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مُدْخل صدق ، وأخرجني منه مُخْرج صدق[١] ، ومُدخل بضم الميم مصدر الإدخال ، يقال : أدخلته مُدخلاً ، كما قال : ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ [المؤمنون :٢٩] ، ومعنى إضافة المدخل والمخرج إلى الصدق؛ مزجهما؛ كأنه سأل الله تعالى إدخالاً حسناً لا يرى فيه ما يكره ، وكذلك الإخراج .

قال الليث : يقال : هذا رجل صدق ، مضافٌ ، بكسر الصاد ، معناه : نِعْم الرجل هو ، وامرأة صدق كذلك[٢] .

وذكرنا في ما تقدم أن موضوع (ص د ق) للصحة والكمال ، فكأنه سأل الله أن يخرجه من مكة إخراجاً لا يلتفت إليها قلبُه ، ويدخله المدينة إدخالاً يطمئن فيها قلبُه ، ولذلك كان يدعو فيقول : «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة»[٣] ، وكل شيء أضفت إلى الصدق ، فقد مدحته وجودته .

وقوله تعالى : ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ . قال ابن عباس ومجاهد : أي حُجَّة بينة تنصرني بها على جميع من خالفني[٤] .

---

(١) تفسير مجاهد ٤٤١ ، بنحوه ، أخرجه الطبري ١٥/ ١٤٩ ، بنحوه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨٦ بمعناه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٨١ ، بنحوه ، والثعلبي ٧/ ١١٨ب ، بنصه ، والماوردي ٣/ ٢٦٦ ، بنحوه .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (صدق) ٢/ ١٩٩٠ ، بنصه .

(٣) أخرجه أحمد ٦/ ٥٦ ، والبخاري (١٨٨٩) : فضائل المدينة ، كراهية النبي ﷺ أن تُعْرَى المدينة ، ومسلم (١٣٧٦) : الحج ، الترغيب في سكنى المدينة واللفظ له ، والبيهقي : الجنائز ، قول العائد للمريض : كيف تجدك ٣/ ٣٨٢ ، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٥٦٦ ، والبغوي في شرح السنة ٧/ ٣١٧ ، وكلهم عن عائشة ، وكلهم ـإلا مسلمـ بلفظ : «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة . . . .» .

(٤) تفسير مجاهد ١/ ٣٦٨ مختصراً ، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٥١ مختصراً عن مجاهد من طريقين ، وورد مختصراً عن مجاهد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨٦ ، عن مجاهد ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٤٣٨ ، والثعلبي ٧/ ١١٨ب ، والماوردي ٣/ ٢٦٧ ، والطوسي ٦/ ٥١٢ .

وقال الحسن وقتادة : ملكاً قويًّا تنصرني به على من ناوأني ، وعزًّا ظاهراً أقيم به دينك[١] ، وهذا معنى قول الحسن : اجعلني أقيم الحدود[٢] ، وعلى هذا القول : سأل الله تعالى سلطان القدرة ، وعلى القول الأول : سأل الحجة . وقد جمع بينهما أبو إسحاق فقال أي اجعل نصرتي من عندك تسليطي بالقدرة والحجة .

وقد أجاب الله دعاءه ، وأعلمه أنه يعصمه من الناس ، فقال : ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة :٦٧] ، وقال : ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة :٥٦] ، وقال : ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[٣] [الصف :٩] ، وذهب الكلبي أيضاً إلى سلطان القدرة ، فَفسَّر السلطان النصير هاهنا بِعَتَّاب بن أَسيد حين استعمله نبيُّ الله ﷺ على أهل مكة ، فاشتد عليهم ، وقال : لا يبلغني من محتلم ترك الصلاة إلا ضربت عنقه[٤] .

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء :٨١] .

٨١. قوله تعالى : ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ . قال المفسرون في معنى ﴿وَزَهَقَ﴾ بطل واضمحل[٥] ، وأصله من قولهم : زَهَقَتْ نَفْسُه تَزْهَقُ

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ١٥١ ، بمعناه عنهما ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨٦ ، بمعناه عن الحسن ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١١٨ب ، بنصه عن الحسن ، والماوردي ٣/ ٢٦٧ بمعناه عن قتادة ، والطوسي ٦/ ٥١٢ ، بمعناه عنهما ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٢٢ ، بنصه عن الحسن .

(٢) ورد في تفسير الماوردي ٣/ ٢٦٧ ، بمعناه ، انظر : تفسير أبي حيان ٦/ ٧٣ ، وفيهما تقيد إقامة الحدود على المنافقين ، وفيه نظر .!

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٧ ، بنصه .

(٤) أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير ٤/ ٣٣٩ مختصراً من طريق الكلبي عن ابن عباس ، ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٨ب ، بنحوه ، انظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٧٢ ، وتفسير مبهمات القرآن للبلنسي ٢/ ١٣٣ ، والإصابة ٢/ ٤٥١ .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (زهق) ٢/ ١٥٧١ ، بنصه ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٤٣٨ ، بمعناه ، والطوسي ٦/ ٥١٢ ، بنحوه .

زُهُوقاً ، وأزهقتها أنا؛ أي أهلكتها[١] ، فكأن معنى : ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ خرج إلى الهلاك ، قال الليث : وكل شيء هلك وبطل فقد زهق[٢] .

واختلفوا في معنى الحق والباطل هاهنا ، فقال السدي : الحق : الإسلام ، والباطل : الشرك[٣] .

وقال قتادة : الحق : القرآن ، والباطل : الشيطان[٤] .

وقال ابن جريج : الحق : الجهاد والقتال ، والباطل : الشرك وما هم فيه[٥] .

قال ابن عباس[٦] : أمر الله نبيه ﷺ إذا دخل مكة أن يقف على الأصنام التي كانوا يعبدونها ويقول : ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ .

---

(١) انظر : المحيط في اللغة (زهق) ٣/ ٣٣٨ ، والصحاح ٤/ ١٤٩٣ ، ومجمل اللغة ١/ ٤٤٣ ، واللسان ٣/ ١٨٧٩ .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (زهق) ٢/ ١٥٧١ ، بنصه .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٩أ ، بنصه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٢٢ ، بنصه .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٩ ، بنصه ، والطبري ١٥/ ١٥٢ ، بنصه ، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨٦ ، والثعلبي ٧/ ١١٩أ ، والماوردي ٣/ ٢٦٧ ، وأورده السيوطي في الدر ٤/ ٣٦٠ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ١٥٢ بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٩أ مقتصراً على معنى الحق بنصه ، والماوردي ٣/ ٢٦٧ ، بنصه .

(٦) في (أ) و(د) و(ش) : (قال الله تعالى) ، والصواب المثبت من (ع) .

وروي عن ابن مسعود أنه دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون نُصُباً ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ ، فجعل الصنم ينكب لوجهه[١] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ . قال ابن عباس : يريد كل ما كان من الشيطان كان خارجاً من الحق[٢] .

٨٢. قوله تعالى : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، (من) هاهنا ليست للتبعيض بل هو للجنس ، [كقوله : ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج :٣٠] ، والمعنى : ﴿وَنُنَزِّلُ﴾ من هذا الجنس][٣] الذي هو قرآن ، ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ ، فجميع القرآن شفاء للمؤمنين ، قال قتادة : إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه[٤] ، فعلى هذا ، معنى كونه شفاءً : أنه[٥] ببيانه يزيل عمى الجهل وحَيْرَة الشك ، يُستشفى به من الشبهة ، ويهتدى به من الحيرة ، فهو شفاء من داء الجهل .

---

(١) أخرجه بنحوه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٨ ، وابن أبي شيبة ٧/ ٤٠٣ ، عن جابر ، والبخاري (٤٧٢٠) ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ ، ومسلم (١٧٨١) ، كتاب : الجهاد ، باب : إزالة الأصنام من حول الكعبة ، والترمذي (٣١٣٨) : التفسير ، الإسراء ، والنسائي في تفسيره ١/ ٦٦٥ ، والطبري ١٥/ ١٥٢ ، والبغوي ٣/ ١٣٣ ، وورد بنصه تقريباً في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٨١ ، والثعلبي ٧/ ١١٩أ ، والطوسي ٦/ ٥١٢ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦٠ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٧ ، بنصه .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٥٣ بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٩أ بنصه ، انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٦٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦٠ وزاد نسبته إلى عبدالرزاق ـ لم أجده ـ وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) ساقطة من (ع) .

وقال ابن عباس : يريد شفاءً من كل داء[١] ، وعلى هذا ، معناه : أنه يُتَبَرَّك به ، فيدفع الله به كثيراً من المكاره والمضار ، ويؤكد هذا الوجه ما روي أن النبي ﷺ قال : «من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس : يريد ثواباً من الله لا انقطاع له[٣] ، يعني : في تلاوته ، يرحمهم الله بها ، ويثيبهم عليها .

قوله تعالى : ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ يعني لا يزيد ما هو شفاء للمؤمنين إلا خساراً للظالمين ، والفعل الذي هو (يزيد) مسند إلى ما في قوله : ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ ، المراد بـ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المشركين ، قاله ابن عباس .

قال قتادة : لأنه لا يحفظه ولا ينتفع به ولا ينتفعون بمواعظه[٤] ، فالقرآن سبب لهداية المؤمنين وزيادة لخسار الكافرين .

---

(١) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٧ ، وورد بلا نسبة في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٩أ .

(٢) وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٩أ ، بنصه عن رجاء الغنوي ، والزمخشري ٢/ ٣٧٣ ، والفخر الرازي ٢١/ ٣٤ ، وأسد الغابة ٢/ ٢٧١ في ترجمة رجاء ، وورد في تفسير القرطبي ١٠/ ٣١٥ ، وكنز العمال ١٠/ ٩ وعزاه إلى الدار قطني في الأفراد ، وقد أشار إلى ضعف الحديث الذهبي ـ في ما نقله المناوي عنه في الفيض ١/ ٤٩١ في تاريخ الصحابة ـ فقال في ترجمة رجاء : هذا له صحبة ، نزل البصرة ، وله حديث لا يصح في فضل القرآن . أما الشوكاني فقد ذكره في الموضوعات [الفوائد المجموعة] ٢٩٦ ، وقال : هو موضوع ، وقال الألباني : ضعيف جدّاً . سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٥٢) ، (١/ ٢٨٣) .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٧ .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٥٣ ، بنحوه ، انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٦٧ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦٠ وزاد نسبته إلى عبدالرزاق ـ لم أجده ـ وابن المنذر وابن أبي حاتم .

٨٣. قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ . قال ابن عباس: يريد الوليد بن المغيرة[١]، ﴿أَعْرَضَ﴾، معنى أعرض في اللغة: وَلَّى عَرْضَه؛ أي ناحيته[٢]، والمعنى: أنه لا يُقْبِل على الدعاء والابتهال على حسب ما يُقْبل في حال البلوى والمحنة[٣].

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾، قال مجاهد وابن عباس: تباعد[٤].

وروى شِبْل عن مجاهد: بَعُدَ مِنَّا[٥]، وقال عطاء: تَعَظَّم وتَكَبَّر[٦].

وقال أهل المعاني: بَعَّد نفسه عن القيام بحقوق نعم الله عز وجل[٧]، ومعنى النَّأْي في اللغة: البُعْد، ونَأَى الشيءَ إذا بَعَّده[٨]، وذكرنا الكلام في النَّأْي عند قوله: ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]، ومعنى ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ كمعنى أعرض، وفيه زيادة معنى البعد، وفي قوله: ﴿وَنَـَٔا﴾ وجوه من القراءة؛ أحدها: وهو قراءة

---

(١) ورد في تفسيره الوسيط، تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٨، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٥/ ٨٠، والفخر الرازي ٢١/ ٣٥، والآية عامة في كل من اتصف بما فيها، وذكر الوليد من قبيل التفسير بالمثال.

(٢) انظر: عرض في المحيط في اللغة ١/ ٣٠٦، والصحاح ٣/ ١٠٨٤، واللسان ٥/ ٢٨٨٩.

(٣) ورد في الحجة للقراء ٥/ ١١٦، بنصه تقريباً.

(٤) تفسير مجاهد ١/ ٣٦٨، بلفظه، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٥٣، بلفظه عن مجاهد من طريقين، وورد بلفظه عن مجاهد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨٧، وتفسير هود الهواري ٢/ ٤٣٨، والطوسي ٦/ ٥١٤، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦١ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٦٧.

(٦) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٩أ، بنصه، انظر: تفسير البغوي ٥/ ١٢٣، وتفسير ابن الجوزي ٥/ ٨٠ بلا نسبة.

(٧) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٥١٤، بنصه، انظر: تفسير القرطبي ١٠/ ٣٢١.

(٨) انظر: تهذيب اللغة (نأء) ٤/ ٣٤٧٢، والمحيط في اللغة (نأى) ١٠/ ٤١٩، واللسان (نأي) ٧/ ٤٣١٤.

العامــة (نَئَا) بفتحتين[١] ، وقرأ ابن عامر : (نآء) مثــل بَاعَ[٢] ، وهذا على القلب ، وتقديره : فلعَ[٣] ، ومثل هذا في القلب : رأى وراءَ ، قال كثير :

وكلُّ خليلٍ راعني فهــو قائــلٌ مِن أجلِكِ هذا هامَةُ اليومِ أو غَدِ[٤][٥]

قال أبو عبيدة : والعرب تقول ذلك؛ تُقَدِّم الهمزة وتؤخِّرها[٦] ، وأنشد[٧] :

ولقد أراكَ تُشَآءُ بالأَظْعَانِ[٨]

---

(١) قرأ بها : ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص وغيرهم . انظر : السبعة ٣٨٤ ، وعلل القراءات ١/ ٣٢٧ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٨٢ ، والحجة للقراء ٥/ ١١٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٠ .

(٢) انظر : المصادر السابقة .

(٣) أي مقلوب الميزان فعل : فلع .

(٤) ديوانه ١٣٣ ، وورد في الكتاب ٣/ ٤٦٧ ، والكامل ٢/ ٨٠٦ ، والحلبيات ٤٧ ، وأمالي ابن الشــجري ٢/ ٢٠٢ ، واللســان (هوم) ٨/ ٤٧٢٣ ، (رأي) ٣/ ١٥٤٥ . هامةُ اليــوم أو غد : كناية عن اقتراب المريض من أجله؛ أي سيموت اليوم أو غداً ، وذلك من تأثير الشوق والحزن فيه ، وأصل الهامة : طائر يخرج من رأس الميت ـ كما تزعم العرب . والشاهد : راعني يريد رآني ، ولكنه قلب فأخَّر الهمزة .

(٥) ورد في الحجة للقراء ٥/ ١١٧ ، بنصه .

(٦) ليس في مجازه .

(٧) للحارث بن خالد المخزومي (جاهلي) .

(٨) وصدره :

مرَّ الحُمُولُ فما شَأَوْنَكَ نَقْرَةً

شــعر الحارث بن خالد ١٠٧ ، وورد في المعاني الكبير ١/ ٧٠ ، وتهذيب اللغة (شــأي) ٢/ ١٨١٧ ، والمنصف ٣/ ٧٧ ، واللســان (شــأي) ٤/ ٢١٧٩ ، والمزهر ١/ ٤٧٩ ، ونوادر أبي زيد ٢٢٤ نســبه إلى الأصمعي ، وورد بلا نســبة في المخصص ١٤/ ٢٧ ، والخزانــة ٨/ ١٦٧ . الحمول : الإبل عليها النساء ، (شَأَوْنَكَ) : شَآني الشيءُ شَأْواً : أعجبني ، وقيل : حَزَنَني ، (نقرة)؛ النقر هو الصوت العالي ، كضرب الرَّحى والحجــر ، (الأظعان) : واحده ظعينة ، وهو الهودج تكــون فيه المرأة ، يقول : مرت الحمول فما هيجن شوقك ، وكنت قبل ذلك يهيج وجدك بهن إذا عاينت الحمول . انظر : اللسان (نقر) ٨/ ٤٥١٨ ، (ظعن) ٥/ ٢٧٤٨ .

أراد تُشَـاء فأَخَّر الهمزة ، ومما[١] قدَّموا قولهـم في جمع البِئْر : آبار ، وأصلها : أبآر[٢] ، فقدَّموا الهمزة مثل : جِذْع وأجْذَاع ، وقِطع وأقطاع .

وقرأ حمزة والكسائي : (نِئى) بإمالة الفتحتين[٣] ، ووجه ذلك : أنه أمال فتحة الهمزة لأن الألف منقلبة من الياء التي في (النَّأي) ، فأراد أن ينحو نحوها ، فأمال فتحة النون لإمالة فتحة الهمزة ، ولم يمل خلَّاد[٤] عن سُـلَيْم[٥] فتحة النون لأجل إمالة فتحة الهمزة ، وقرأ : (نَئِيَ) بفتح النون وكسر الهمزة[٦] .

وقولـه تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ . قال ابـن عباس : يريد إذا أصابه مرض أو فقر يئس من رحمة الله[٧] .

---

(١) ساقطة من (ع) .

(٢) ساقط من (أ) و(د) .

(٣) انظر : السبعة ٣٨٤ ، وعلل القراءات ١/ ٣٢٧ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٨٢ ، والحجة للقراء ٥/ ١١٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٠ .

(٤) في النسـخ جميعهـا : «خلف» ، والصحيح (خـلَّاد) ، كما ورد في المصدر؛ الحجة ، والسـبعة ٣٨٤ ، والمبسـوط في القراءات ٢٣٠ ، أما رواية خلف عن سُـليم فهي : بإمالـة النون وكسر الهمزة ، كما في السبعة والحجة .
وخلَّاد هو : ابن خالد ، أبو عيسى الصَّيرفي الكوفي ، الأحول ، إمام في القراءة ثقة عارف محقق أستاذ ، أخذ القراءة عرضاً عن سـليم ، وهو من أضبـط أصحابه وأجلهم ، روى القـراءة عنه عرضاً أحمد الحلواني وعنبسة بن النضر ، حدث عنه أبو زرعة وأبو حاتم ، مات سنة ٢٢٠هـ .
انظر : معرفة القراء الكبار ١/ ٢١٠ ، وغاية النهاية ١/ ٢٧٤ ، والنشر ١/ ١٦٦ .

(٥) سُلَيْم بن عامر بن غالب ، أبو عيسـى الحنفي الكوفي ، المقرئ صاحب حمزة الزيات وأخص تلامذته وأحذقهم بالقراءة ، وهـو الذي خلف حمزة في الإقراء بالكوفة ، قرأ عليه خلف وخلاد ، ولد سـنة ١٣٠هـ ، وتوفي سنة ١٨٨هـ . انظر : معرفة القراء الكبار ١/ ١٣٨ ، وغاية النهاية ١/ ٣١٨ ، والنشر ١/ ١٦٦ .

(٦) ورد في الحجة للقراء ٥/ ١١٧ ، باختصار وتصرف .

(٧) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٩ ، انظر : تنوير المقباس ٣٠٤ .

وقال أهل المعـــاني : هذا من صفة الجاهل بالله ، وهو ذمٌّ له بأنه لا يثق بفضل الله على عباده ، فيطمع في كشـــف تلك البلية من جهته ، وحَسِـــب أن الشَّرَّ ضَرْبَة لازب[١] ، ويـــؤوس : فعول من اليـــأس ، ومضى الكلام في اليـــأس عند قوله : ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ﴾ [يوسف : ٨٠] .

٨٤. قوله تعالى : ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ . اختلفت العبارة في تفســـير الشـــاكلة ، فقال ابن عباس في رواية الوالبـــي وعطاء : على ناحيته[٢] ، وهو قول الأخفش[٣] ، والفرَّاء قال : ومِثْلُه الطريقة والجَدِيلة[٤] .

وقال مجاهد : على جديلته[٥] ، وروي عنه : على طبيعته[٦] .

---

(١) أي لازم ، يقول الفرَّاء : اللَّازب واللَّاتب واللَّاصـــق واحد ، والعرب تقول : ليس هذا بِضَرْبةِ لازم ولازب ، يبدلون الباءَ ميماً . ورد في تهذيب اللغة (لزب) ٤/ ٣٢٥٨ .

(٢) أخرجـــه الطبري ١٥/ ١٥٤ ، بلفظـــه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) ، وورد في تفســـير الثعلبي ٧/ ١١٩ب ، بلفظه ، انظر : تفســـير البغوي ٥/ ١٢٣ ، وابن عطية ٩/ ١٧٨ ، والدر المنثور ٤/ ٣٦١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) ليس في معانيه ، وورد في تهذيب اللغة (شكل) ٢/ ١٩١٥ ، بلفظه .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٠ ، بلفظه .

(٥) أخرج الطبري عنه ١٥/ ١٥٤ ، بمعناه ، قال : على ناحيته . الجديلة : هي الشـــاكلة والناحية . انظر : المحيط في اللغة (جدل) ٧/ ٤٣ ، والقاموس المحيط ٩٧٧ .

(٦) أخرجـــه الطـــبري ١٥/ ١٥٤ ، بلفظه ، وورد بلفظـــه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨٨ ، وتفســـير الجصاص ٣/ ٢٠٧ ، والطوسي ٦/ ٥١٤ ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٣٢٢ .

قال شمر : ما رأيت تصحيفاً أشبه بالصواب مما قرأ مالك بن سليمان الهروي[١] في التفسير عن مجاهد في قوله : ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾؛ أي جديلته ، فصَحَّفَ وقال : حَدٍ يليه ، وهو قريب بعضه من بعض[٢] .

وقال الحسن وقتادة : على نيته[٣] ، وقال ابن زيد : على دينه[٤] .

وقال الزَّجَّاج : على مذهبه[٥] .

وقال أبو عبيدة والقتيبي : على خليقته[٦] ، هذا كلامهم ، وأصل هذا في اللغة من المشابهة؛ يقال لِشِبْهِ الشيء : شَكْلُه ، يقال : في فلان شَكْلٌ من أبيه ، وأَشْكَلَةٌ وشُكْلَةٌ وشاكلٌ ومشاكلةٌ[٧] ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ [ص :٥٨]؛ أي من مثل ذلك الأول .

وقال الأخفش : يقال : هذا من شكل هذا؛ أي من ضربه ونحوه[٨] .

---

(١) في المصدر سليمان بن مالك والصحيح ما ذكره الواحدي ، ومالك بن سليمان الهروي ، قاضي هراة ، روى عن إسرائيل وشعبة ، قال عنه العقيلي : فيه نظر ، وضعفه الدار قطني ، وقال أبو حاتم : لا أعرفه . انظر : الجرح والتعديل ٨/ ٢١٠ ، والضعفاء الكبير ٤/ ١٧٣ ، وميزان الاعتدال ٤/ ٣٤٧ .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (جدل) ١/ ٥٦٠ ، بنصه تقريباً .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ١٥٤ ، بنحوه عن قتادة ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨٨ ، عن الحسن ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١١٩ب ، عن قتادة ، والماوردي ٣/ ٢٦٩ ، وانظر : تفسير البغوي ٣/ ١٣٣ ، عنهما ، وابن الجوزي ٥/ ٨٠ ، عن الحسن ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦١ وعزاه إلى هناد وابن المنذر عن الحسن .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٥٤ بلفظه ، وورد بلفظه في تفسير الماوردي ٣/ ٢٦٩ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٩/ ١٧٨ ، وابن الجوزي ٥/ ٨٠ ، والقرطبي ١٠/ ٣٢٢ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٧ ، بلفظه .

(٦) مجاز القرآن ١/ ٣٨٩ ، بلفظه ، والغريب لابن قتيبة ١/ ٢٦١ ، بلفظه .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (شكل) ٢/ ١٩١٥ ، بنصه .

(٨) ورد في تهذيب اللغة (شكل) ٢/ ١٩١٦ ، بنصه .

وقال الليث : الشـاكلة من الأمور ما وافـق فاعله[١] ، والمعنى : أن كل أحد يعمل على طريقته التي تُشـاكل أخلاقه ، وعبارات المفسرين في تفسـير الشاكلة متقاربة ، والكل ينبئ عما يشـاكل طبيعة الإنسان ، وكل إنسان يجري على مذهبه وطريقتـه وعادته التي أَلِفَها وجُبِل عليها ، والإشـارة في هذا أن الكافر يعمل ما يشبه طريقته من الشـكر عند الرخاء ، والصبر والاحتساب عند البلاء ، ألا ترى أنه قال : ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾؛ أي بالمؤمن الذي لا يعرض عند النعمة ولا ييأس عند المحنة .

٨٥. قولـه تعالى : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الآية . قـال ابن عباس في رواية عطـاء : اجتمعت قريش فقـال بعضهم لبعـض : والله ما كان محمد بكذاب ، ولقد نشـأ فينا بالصدق والأمانة ، فإن شئتم فأرسلوا منكم جماعة إلى يهود يثرب حتى يسألوهم عنه ، فخرج منهم طائفة حتى لقوا أحبار اليهود فسألوهم عنه ، فقال لهم اليهود : سلوه[٢] عن ثلاثة ، فإن أخبركم عن اثنين وأمسـك عن الثالثة فهو نبي؛ سلوه عن فتية فُقِدوا ، وسلوه عن ذي القرنين ، وسلوه عن الروح ، فقدم النفر من قريش إلى مكة ثم اجتمعوا فسـألوا النبي ﷺ ، فقال لهم رسـول الله ﷺ : «غداً أخبركم» ولم يسـتثن ، فأبطأ عنه الوحي أربعين يومـاً لِمَا أراد الله ، ثم نزل الوحي عليه بعـد أربعين يوماً : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهـف :٢٣-٢٤] ، ثـم فَسَّر لهـم أمر الفتية الذين فُقِدوا في سـورة الكهف ، وفَسَّر لهـم قصة ذي القرنين ، وأبهم قصة الـروح؛ وذلك أنه ليـس في التوراة قصته ولا تفسـيره إلا ذكر اسـمه الروح ، وأنزل قوله تعـالى : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾[٣] الآية ،

---

(١) ورد في تهذيب اللغة (شكل) ٢/ ١٩١٦ ، بنحوه .

(٢) في (أ) و(ش) و(د) : (سلوهم) ، والمثبت من (ع) وهامش نسخة (أ) هو الصحيح .

(٣) ورد في السيرة لابن هشام ١/ ٣٢١ ، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٥٥ مطولاً من طريق عكرمة ، والبيهقي =

فعلى هذا القول سألته قريش عن الروح ، ونحو هذا روى عكرمة عن ابن عباس[١] .

وقال ابن مسعود : سألته اليهود عن الروح وذَكر في[٢] ذلك قصة[٣] ، ونحو هذا قال مجاهد[٤] .

= في الدلائل ٢/ ٢٧٠ من طريق سعيد بن جبير ، وورد في دلائل النبوة للأصبهاني ٢١٦ ، وأورده السيوطي في الدر ٤/ ٣٦١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وفي لباب النقول ١٤٣ ، والحديث ضعيف بسبب الجهالة والاضطراب؛ إذ رواه ابن إسحاق في رواية الطبري عن رجل من أهل مصر ، وفي رواية البيهقي عن رجل من أهل مكة ، لكن في سورة الكهف آيات تشير إلى حدوث الأسئلة .

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٥٥ ، والترمذي (٣١٤١) في التفسير ، باب : ومن سورة بني إسرائيل ، وقال حسن صحيح ، وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٢٦٤ ، وأبو يعلى في مسنده ٤/ ٣٨١ ، وأبو الشيخ في العظمة ١٩٢ ، والحاكم ٢/ ٥٣١ وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٢٦٩ ، وأورده المصنف في أسباب النزول ٢٩٩ .

(٢) في (أ) و(د) : (وذكرو ذلك) ، والمثبت من : (ش) و(ع) .

(٣) ورد لهذه القصة روايات عدة ، منها ما رواه الشيخان؛ البخاري (١٢٥) ، كتاب : العلم ، باب : قول الله تعالى : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ، ومسلم (٢٧٩٤) ، في الجنة والنار ، باب : سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح . عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : بينا أنا مع النبي ﷺ في حرْثٍ وهو متكئٌ على عسيب إذ مرَّ اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، فقال : ما رابكم إليه؟ [أي ما إربكم وحاجتكم إلى سؤاله] وقال بعضهم : لا يستقبلُكم بشيء تكرهونه ، فقالوا : سلوه ، فسألوه عن الروح ، فأمسك النبي ﷺ ، فلم يردَّ عليهم شيئاً ، فعلمت أنه يوحى إليه ، فقمت مقامي ، فلما نزل الوحيُ قال : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ، أخرجه أحمد ١/ ٣٨٩ ، والبخاري (٤٧٢١) ، التفسير ، الإسراء ، ومسلم (٢٧٩٤) ، الموضع السابق ، والترمذي (٣١٤١) في التفسير ، باب : ومن سورة بني إسرائيل ، وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٢٦٣ ، والنسائي في تفسيره ١/ ٦٧٠ ، والطبري ١٥/ ١٥٥ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٥٩ ، وأبو نعيم في الدلائل ٢/ ٣٥٧ ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨٩ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٨٢ ، والثعلبي ٧/ ١١٩ب ، وأوردها المصنف في أسباب النزول ٢٩٩ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦١ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن حبان وابن مردويه والبيهقي في الدلائل ، وليس فيها؛ بل في الأسماء والصفات .

(٤) تفسير مجاهد ١/ ٣٦٩ ، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٥٦ من طريقين .

واختلفوا في الروح المسؤول عنه ، فقال علي بن أبي طلحة : هو مَلَك[١] ، وهو قول علي رضي الله عنه ، قال : هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه ، لكل وجه سبعون ألف لسان ، لكل لسان سبعون ألف لغة يُسَبِّح الله عز وجل بتلك اللغات كلها ، يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة[٢] ، ونحو هذا قال سعيد بن جبير ، قال : ولم يخلق الله خلقاً أعظم من الروح غير العرش ، لو شاء أن يبلع السموات السبع والأرضين السبع ومن فيها بلقمة واحدة لفعل ، وهو المذكور في قوله عز وجل : ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[٣] [النبأ :٣٨] .

(١) أخرجه عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة الطبري ١٥/ ١٥٦ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٦٢ .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ١٥٦ بنصه ، وابن الأنباري في الأضداد ٤٢٣ ، بنصه ، وأبو الشيخ في العظمة ١٩٤ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٦٢ ، بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٩ب ، بنصه ، والماوردي ٣/ ٢٦٩ ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٥١٥ ، بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، والأثر ضعيف؛ لجهالة أحد الرواة ، وهو شيخ أبي هران الذي لم يسم ، فقد قال : . . . حدثني أبو هران يزيد بن سمرة القيساري عمن حدثه عن علي ـرضي الله عنهـ أنه قال : الحديث . وقال ابن عطية : وما أظن القول يصحُّ عن علي رضي الله عنه ، وقد ضعفه الفخر الرازي ـكذلكـ من وجوه عدة ، وقال ابن كثير : وهذا أثر غريب عجيب . انظر : تفسير ابن عطية ٩/ ١٨١ ، والفخر الرازي ٢١/ ٣٩ ، وابن كثير ٣/ ٦٩ .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٠أ مطولاً ، وانظر : البغوي ٥/ ١٢٥ ، والخازن ٣/ ١٧٩ ، وقد ورد في هذا الأثر أشياء غيبيَّة غريبة لا يصح القول بها إلا بخبر صحيح عن المعصوم ، وهو ما لم أقف عليه ، وحسبك لرده أن مصدره الثعلبي!

وقال الحسن وقتادة : هو جبريل[١] ، قال أبو إسحاق : ومن تأول ذلك فدليله قوله : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [الشعراء :١٩٣ ، ١٩٤] ، وقال مجاهد : الروح : خَلْقٌ ليسوا بالملائكة على صورة بني آدم ، يأكلون ، ولهم أيد وأرجل ورؤوس[٢] .

وقال أبو صالح : يشبهون الناس ، وليسوا بالناس[٣] .

وقال قوم : هو القرآن[٤] ، وذلك أن المشركين قالوا : يا محمد ، من أتاك بهذا القرآن ، فبين الله أنه من عنده ، فقال : ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ . قال أبو إسحاق : ودليل هذا القول قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى :٥٢] ، وتأويل تسمية القرآن بالروح أن القرآن حياة القلوب وحياة النفوس[٥] في ما تصير إليه من الخير عند الله عز وجل[٦] .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٨ بلفظه عنهما ، والطبري ١٥/ ١٥٦ بلفظه عن قتادة ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٩٠ ، عن الحسن ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٨٢ ، عنهما ، والثعلبي ٧/ ١١٩ب ، عنهما ، ولا وجه البتة لتفسيره بجبريل هنا .

(٢) أخرجه الطبري ٣٠/ ٢٣ ، بنحوه ، وأبو الشيخ في العظمة ١٩٧ ، بنحوه ، وورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٨٢ ، والثعلبي ٧/ ١١٩ب ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٢٥ ، قال الفخر الرازي تعقيباً على هذا القول والذي يليه : ولم أجد في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة شيئاً يمكن التمسك به في إثبات هذا القول ، وأيضاً فهذا شيء مجهول فيبعد صرف هذا السؤال إليه . تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٣٩ .

(٣) أخرجه الطبري ٣٠/ ٢٣ ، بنصه ، وأبو الشيخ في العظمة ١٩٥ ، بنصه ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٦٣ ، بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٩ب ، بنحوه ، وهو مثل سابقه .

(٤) أخرجه بلفظه الطبري ٣٠/ ٢٣ ، عن ابن زيد ، وأبو الشيخ في العظمة ١٩٦ ، عن الضحاك ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٩٠ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٨٢ ، وهود الهواري ٢/ ٤٤٠ ، عن الحسن ، والثعلبي ٧/ ١٢٠أ ، والماوردي ٣/ ٢٦٩ ، عن الحسن ، والطوسي ٦/ ٥١٥ ، عن الحسن ، وهو أيضاً بعيد هنا .

(٥) في (د) : (النفس) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٨ ، بنصه تقريباً .

وقال آخرون : هو روح الحيوان[١] ، وهو الأظهر في الكلام الذي يسبق إلى الأفهام[٢] ، ونذكر هاهنا الكلام في الروح واشتقاقه ومعناه وبالله التوفيق ، الروح الذي يحيا به البدن يُذَكَّر ويُؤَنَّث ، وأكثر الناس على أنَّ اشتقاقه من الريح ، والريح في الأصل روح ، والعرب تسمي النفخ والنفس الذي يخرج من الإنسان روحاً .

قال ذو الرُّمَّة :

فقلتُ له ارفَعْها إليكَ وأحْيِهـا بِرُوحِكَ واجعلْهُ لهـا قِيتَةً قدْرَا[٣]

يذكر ناراً ناولها صاحبه ، وقوله : (أحيها بروحك)؛ أي بنفخك ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر :٢٩] ، وقال آخرون : سمي روحاً لأنه يهتز وينبسط وينتشر في جميع البدن ، من قولهم : رجُلٌ أروح ، ورِجلٌ روحاء ،

---

(١) ورد في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٧ ، بلفظه ، والثعلبي ٧/ ١٢٠ ، بمعناه ، والماوردي ٣/ ٢٧٠ ، بلفظه ، والطوسي ٦/ ٥١٥ ، بلفظه .

(٢) وهذا هو القول المشهور والصحيح ، وعليه أكثر المفسرين ، ذكره البيهقي في الأسماء والصفات ٤٥٩ ، والسمعاني في تفسيره ٣/ ٢٧٤ ، وقال أبو حيان ٦/ ٧٥ : هو قول الجمهور ، وقد ذهب إليه : الجصاص ٣/ ٢٠٧ ، والطوسي ٥/ ٥١٥ ، والسمعاني ٣/ ٢٧٤ ، والبغوي ٥/ ١٢٦ ، والخازن ٣/ ١٧٩ ، وابن حجر في الفتح ٨/ ٢٥٥ وقال : وجنح ابن القيم ـ في كتاب الروح ٢/ ٥٢٤ ـ إلى ترجيح أن المراد بالروح المسؤول عنها في الآية ما وقع في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ :٣٨] قال : وأما أرواح بني آدم فلم يقع تسميتها في القرآن إلا نفساً . ثم قال : ولا دلالة في ذلك لما رجحه ، بل الراجح الأول ، وأيَّده بما رواه الطبري ١٥/ ١٥٦ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق العوفي هذه أنهم سألوه عن الروح : وكيف يعذب الروح الذي في الجسد ، وإنما الروح من الله؟ فنزلت الآية .

(٣) ديوانه ٣/ ١٤٢٩ برواية : (واقْتَتْهُ) بدل : (واجعله) ، وورد في تهذيب اللغة (راح) ٢/ ١٣١٣ ، والأسماء والصفات ٤٦١ ، والأساس ١/ ٣٧٨ ، واللسان (روح) ٣/ ١٧٦٦ ، والمفردات ٦٨٧ بلا نسبة .
(ارفعها)؛ أي ارفع النار ، (اقتته) : افتَعلهُ من القوت ، وقاته يقوته قُوتاً : أطعمه قُوتَه ، وأقاته يُقِيتُهُ : جعل له ما يقوته ، ويقال : ما له قوت ليلة ، وقِيتُ ليلة ، وقيتَةُ ليلة ، نحوُ : الطَّعْمِ والطِّعْمَةِ .

هي التي في صَدْرِ قدمها انبساط ، وقَصْعَةٌ رَوْحَاءُ قريبة القَعْرِ منبسطة ، وإناء أروح[١] ، وسميت الخمر رَاحاً لاهتزاز البدن وخفته وانبساطه عند شربها[٢] .

واختلفوا في ماهية[٣] الروح[٤] ، فقال قوم : إن الروح هو الدم ، ألا ترى أن من نزف دمه مات ، والميت لا يفقد جِسْمُه إلا الدم[٥] ، وزعمت طائفة أن الروح هو استنشاق الهواء ، ألا ترى أن المخنوق ومن مُنع عن استنشاق الهواء يموت[٦] .

وأخبرني العروضي عن الأزهري قال : سمعت المنذري يقول : سمعت أبا الهيثم يقول : الروح إنما هو النَّفَسُ الذي يتنفسه الإنسان ، وهو جار في جميع الجسد ، فإذا خرج لم يتنفس بعد خروجه ، وإذا تَتَامَّ خروجه بقي بصره شاخصاً نحوه حتى يُغْمض ، وهو بالفارسية جان[٧] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (راح) ٢/ ١٣١٣ ، والمحيط في اللغة ٣/ ١٩٨ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٥٤ ، والصحاح ١/ ٣٦٧ ، واللسان ٣/ ١٧٦٦ .

(٢) انظر : التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ٢/ ٥٠٤ .

(٣) في النسخ جميعها : (مائية) ، والصواب المثبت كما دلَّ عليه التفصيل بعده .

(٤) ليت الواحدي ـ رحمه الله ـ لم يخض في هذا الموضوع الفلسفي الذي لا طائل من ورائه ولا يقوم عليه عمل ، وبحث لا يستند إلى علم ، لذلك كان الأولى ، بل الواجب أن يفوض أمر ماهية الروح ومسكنه ومدخله ومخرجه ـ مما تكلم عنه ـ إلى الله تعالى ، كما قال : ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وما أحسن ما قاله ابن الجوزي ، قال : وقد اختلف الناس في ماهية الروح ، ولا يُحتاج إلى ذكر اختلافهم؛ لأنه لا برهان على شيء من ذلك ، وإنما هو شيء أخذوه عن الطب والفلاسفة ، فأما السلف فإنهم أمسكوا عن ذلك؛ لقوله تعالى : ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ . انظر : البغوي ٥/ ١٢٦ ، وابن الجوزي ٥/ ٨٣ .

(٥) انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٢٦ ، والخازن ٣/ ١٧٩ .

(٦) انظر : تفسير الخازن ٣/ ١٧٩ .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (راح) ٢/ ١٣١٣ ، بنصه .

وزعم ابن الروندي[١] أنه جسم لطيف أُسكن البدن[٢] .

وقال عامة المعتزلة والنجارية[٣] :

الروح عرض[٤] ، ومثله حكى القلانسي[٥] من أصحابنا عن عبدالله بن سعيد[٦] .
وقال بعض الحكماء : إن الله تعالى خلق الأرواح من ستة أشياء : من جوهر النور

---

(١) أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي ، وقيل : الرِّيوَنْديُّ ، الزنديق الشهير ، كان من متكلمي المعتزلة ، ثم تزندق واشتهر بالإلحاد ، وقيل : كان لا يستقر على مذهب ، كان غاية في الذكاء ولم يك زكي النفس ، صنَّف كتباً كثيرة يطعن فيها على الإسلام ، وألَّف لليهود والنصارى يحتجُّ لهم في إبطال نبوة سيد البشر ، وكان يلازم الرافضة والملاحدة ، قيل : كان أبوه يهودياً فأسلم هو ، فكان بعض اليهود يقول للمسلمين : لا يفسد هذا عليكم كتابكم كما أفسد أبوه علينا التوراة ، قال ابن الجوزي : وإنما ذكرته ليعرف قدر كفره ، وقال ابن حجر : إنما أوردته لألعنه ، مات سنة ٢٩٨هـ .
انظر : المنتظم ١٣/ ١٠٨ ، ووفيات الأعيان ١/ ٩٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٩ ، ولسان الميزان ١/ ١٩٤ .

(٢) ورد في مقالات الإسلاميين ٣٣٢ ، بنحوه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٢٦ ، والخازن ٣/ ١٧٩ بلا نسبة فيهما .

(٣) هم أتباع الحسين بن محمد النجَّار ، من فرق المرجئة ، يعتقدون أن الإيمان بالقول من دون العمل ، وأن من كان مؤمناً لا يزول عنه اسم الإيمان إلا بالكفر ، ويثبتون للفعل فاعلين؛ الله تعالى والعبد ، واتفقوا مع المعتزلة في نفي بعض الصفات والقول بخلق القرآن ، وهم أكثر من عشر فرق بالري . انظر : مقالات الإسلاميين ١٣٥ ، والفرق بين الفرق ٢٥ ، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ٣٩ .

(٤) ورد في مقالات الإسلاميين ٣٣٤ بلا نسبة ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٢٦ بلا نسبة ، والروح لابن القيم ٢/ ٥٧٣ بلا نسبة .

(٥) أبو أحمد مصعب بن أحمد البغدادي القلانسي [نسبة إلى القلانس ـ جمع قلنسوة ـ وعملها] ، شيخ الصوفية ، صاحب أبي حمزة وعليه تخرج ، وكان أبو حمزة والجنيد وجماعة المشايخ يكرمونه ويقدمونه على غيره ، وكان أبو سعيد ابن الأعرابي ينتمي إليه في التصوف وصحبه إلى أن مات ، حج سنة ٢٧٠هـ ، فمات في مكة . انظر : حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٦ ، واللباب في تهذيب الأنساب ٣/ ٦٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٧٠ .

(٦) عبدالله بن سعيد بن حصين الكندي الكوفي المفسِّر ، أبو سعيد الأشج ، حدث عن هُشيم وأبي بكر بن عياش ، وعنه الأئمة الستة وابن خزيمة ، قال الذهبي : رأيت تفسيره مجلدٌ ، مات سنة ٢٥٧هـ . انظر : الجرح والتعديل ٥/ ٧٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٨٢ ، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٣٥ .

والطِّيبِ والبقاء والحياة والعلم والعلو ، ألا ترى أنه ما دام في الجسد كان الجسد نورانيّاً؛ تبصر العينان وتسمع الأذنان ، ويكون طَيباً فإذا خرج نَتِنَ الجسدُ ، ويكون باقياً فإذا زايله الروح لم يعلم شيئاً ، ويكون الجسد علويّاً لطيفاً ما دام فيه الروح ، فإذا خرج صار سفليّاً كثيفاً[١] .

وقال محمد بن موسى الواسطي[٢] : خلق الله الأرواح من[٣] بين الجمال والبهاء ، فلولا أنه سترها لسجد لها كل كافر[٤] .

وقال أبو قِلابَة : ما خلق الله شيئاً أطيب من الروح وما انتزع من شيء إلا نتن[٥] ، والاختيار في ماهية الروح أنه جسم لطيف توجد به الحياة ، وقوله : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ﴾ إلى قوله : ﴿يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ﴾ [آل عمران :١٦٩ــ١٧٠] يدل على أن الروح جسم؛ لأن الارتزاق والفرح من صفات الأجسام ، والمراد بهذا أرواحهم لأن أبدانهم قد بليت في التراب ، وكذلك ما روي : «أن أرواح الشهداء تَعْلُقُ من شجر الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش»[٦] ، وهذا الفعل لا يتأتَّى من العَرَض .

---

(١) انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٢٦ مختصراً ، والخازن ٣/ ١٧٩ مختصراً .

(٢) محمد بن موسى الواسطي ، قاضي الرملة ، قال ابن يونس في تاريخ مصر : كان عالماً بالفقه والتفسير ، ويتفقه على مذهب أهل الظاهر ، وقد رمي بالقدر ، مات سنة ٣٢٠هـ . انظر : طبقات المفسرين للسيوطي ١١٧ ، وطبقات المفسرين للداودي ٢/ ٢٦٤ .

(٣) في د : (ما) .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) لم أقف على هذه الرواية بنصها ، بل وردت مفرداتها في أحاديث متفرقة ، أقربها : عن ابن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : «إن أرواح الشهداء في طير خُضر تَعْلُقُ من ثمرة الجنة أو شجر الجنة . . . .» . أخرجه أحمد ٦/ ٣٨٦ ، والترمذي (١٦٤١) ، كتاب : فضل الجهاد ، باب : ما جاء في ثواب الشهداء ٤/ ١٧٦ ، وقال : حديث حسن صحيح ، والطبراني في الكبير ١٩/ ٦٦ ، بنحوه ، وفي رواية عن ابن مسعود أن النبي ﷺ سئل عن قوله تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ =

وأما مدخل الروح ومخرجه ، فقال قـــوم : يدخل من المنافذ كلها ويخرج من المنافذ كلها ، وقال بعضهم : يدخل من الأنف ويخرج من الفم .

وحكى علي بن مهدي[١] -من أصحابنا- أنه يدخل من حيث شاء الله ويخرج من الأنف ، لقولهم : مات حتف أنفه[٢] ، وأما مســـكنه فقال قوم : مسكن الروح القلب ، وعمله شـــائع في جميع البدن كقرصة الشمس مســـكنها الفلك ونورها ينتشر في الدنيا .

وقال آخرون : مسكنها الدماغ ، وقيل : مســـكنه الدم ، وقال بعضهم : هو يشتمل جميع البدن ، ففي كل بعضٍ من أبعاضِ البدن بعضٌ مِن أبعاضِ الروح ،

= [آل عمران :١٦٩] ، فقال : «أرواحهـــم في جوف طير خُضرٍ لها قناديل معلقةٌ بالعرش . .» . أخرجه مســـلم (١٨٨٧) ، في كتاب : الإمارة ، باب : بيان أن أرواحَ الشهداء في الجنة ٣/ ١٥٠٢ ، والترمذي (٣٠١١) ، كتاب : تفســـير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران ، وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (٢٨٠١) ، كتاب : الجهاد ، باب : فضل الشـــهادة في ســـبيل الله ، والبيهقي ، كتاب : السير ، باب : فضل الشهادة في سبيل الله ٩/ ١٦٣ ، (تَعْلُقُ)؛ أي تتناول .

(١) علي بن محمد بن مهدي الطبري الأشعري ، أبو الحسن ، تلميذ أبي الحسن الأشعري ، صحبه بالبصرة وأخذ عنه ، كان من المبرزين في علم الكلام والقوَّامين بتحقيقه ، وله كتاب تأويل الأحاديث المشكلات الواردات في الصفات ، كان حافظا للفقه والتفاســـير والمعاني وأيام العرب ، فصيحا مبارزا في النَّظر ، توفي في حدود سنة ٣٨٠هـ . انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٤٦٦ ، وتبيين كذب المفتري ١٩٥ ، والوافي بالوفيات للصفدي ٢٢/ ١٤٣ ، وطبقات الفقهاء الشافعية للعبادي ٨٥ .

(٢) جـــزء من حديث رواه عبدالله بن عتيك رضي الله عنه ، وطرفه : «من خرج من بيته مجاهدا في ســـبيل الله . . . -إلى أن يقول- أو مات حتف أنفه ، فقد وقع أجره على الله عز وجل» ، ثم يقول الرواي : والله إنها لكلمة ما ســـمعتها من أحد من العرب قبل رسول الله ﷺ . . . . ، أخرجه ابن أبي شيبة ٤/ ٢١٠ ، وأحمد ٤/ ٣٦ ، والطبراني في الكبير ٢/ ١٩١ ، والحاكم ٢/ ٨٨ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وورد في تهذيب اللغة (حتف) ١/ ٧٣٧ ، وأورده في المجمع ٥/ ٢٧٧ ، وقال : وفيه محمد بن إسحاق مدلس ، وبقية رجال أحمد ثقات ، انظر : مجمع الأمثال ٢/ ٢٦٦ ، والمستقصى ٢/ ٣٣٨ ، ويُروى : حتف أنْفَيْه ، ومعنـــاه أي مات بلا ضرب ولا قتل ، قال أبو عبيد : هو أن يموت موتاً على فراشـــه من غير قتل ولا غرق ولا سَبُع ولا غيره .

واحتج بقوله : ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [إبراهيم :١٧] ، وهذا كله إذا رجعت إلى التحقيق ضرب من التكلُّف[١]؛ لأن الله تعالى أبهم على ذلك[٢] .

قال عبدالله بن بُريدة : ما يبلغ الجن والإنس والملائكة والشياطين علم الروح ، ولقد مات رسول الله ﷺ وما يدري ما الروح[٣] .

وقال الفرَّاء : الروح هو الذي يعيش به الإنسان ، لم يخبر الله به أحداً من خلقه ، ولم يعط علمه أحداً من عباده[٤] .

وقال في قوله : ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ من علم ربي لا تعلمونه[٥] ، وقيل : من خلق ربي؛ أي إنه مخلوق له .

وقوله تعالى : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي بالإضافة إلى علم الله تعالى ، وذلك أن اليهود كانت تدَّعي علم كل شيء بما في كتابهم التوراة ، فقال الله تعالى : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ . قال أبو إسحاق : وقليل وكثير لا يصلح إلا بالإضافة ، وإنما يَقِلُّ الشيء عند ما هو أكثر منه ، وكذلك يكثر عند ما هو أقل منه[٦] ، ويجوز أن يكون الخطاب في قوله : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ للنبي ﷺ والمؤمنين ، وذلك حين لم يعرف رسول الله ﷺ علم الروح ، ولم

---

(١) في النسخ جميعها : (التكليف) . والصواب ما أثبته .

(٢) لذلك كان الأولى ألَّا يخوض في هذه المسألة أصلاً .

(٣) ورد في الأضداد لابن الأنباري ٤٢٦ مختصراً ، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة ١٩٣ ، بنصه ، انظر : تفسير السمعاني ٣/ ٢٧٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦٢ مختصراً ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (راح) ٢/ ١٣١٣ ، بنصه تقريباً .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٠ ، بنحوه .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٨ ، بتصرف يسير .

يبين الله له ذلك ، قال له : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ، يدل على هذا : قوله : ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ .

٨٦. قال أبو الفتح الموصلي : ليست اللام في ﴿لَئِنِ﴾ بجواب القسم ، وإنما الجواب : لنذهبنَّ ، وعليه وقع الحَلِف ، واللام في ﴿لَّئِنِ﴾ زائدة مؤكدة ، ويدل على أن اللام الأولى زائدة أن الثانية هي التي تلقت القسم[١] ، [ونظير][٢] جواز سقوط الأولى في قوله تعالى : ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المائدة :٧٣] ، وإذا قلتَ : والله لئن[٣] قمت لأقومن ، كان اعتماد القسم على اللام في لأقومن ، واللام في لئن[٤] زائدة مؤكدة[٥] .

ومعنى الآية أي إني أقدر أن آخذ [ما أعطيتك؛ كأنه يقول : لم تؤت إلا قليلاً من العلم ، وإن شئتُ أن آخذ ذلك][٦] قدرت .

قال أبو إسحاق : لو شئنا لمحونا من القلوب ومن الكتب حتى لا يُوجَد له أثر[٧] ، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾؛ أي لا تجد من يُتَوكَّل عليه في رد شيء منه ، كقوله : ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء :٦٨] .

---

(١) في (أ) و(د) و(ش) : (الاسم) ، والمثبت من (ع) وهو الصواب .

(٢) هذه إضافة يقتضيها السياق ، وقد وردت هذه الكلمة في المصدر بنحو هذا السياق .

(٣) في (أ) و(د) و(ش) : (لأن) ، والمثبت من (ع) وموافق لما في المصدر .

(٤) في (أ) و(د) و(ش) : (لأن) ، والمثبت من (ع) وموافق لما في المصدر .

(٥) سر صناعة الإعراب ١/ ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، باختصار وتصرف .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٨ ، بنصه .

٨٧. ثم قال : ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ . قال الفرَّاء : هو استثناء ، كقوله : ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾[١] [يوسف :٦٨] .

وقال أبو إسحاق : ﴿رَحْمَةً﴾ استثناء ليس من الأول[٢] ، المعنى لكن الله رَحِمَك ، فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين[٣] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ . قال ابن عباس : يريد حيث جعلتك سيِّدَ ولد آدم ، وختمت بك النبيين ، وأعطيتك المقام المحمود[٤] .

٨٨. قوله تعالى : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟﴾ هذا احتجاج من الله تعالى عليهم بالمعجزة ، أعلمهم -وهم أهل البيان وتأليف الكلام- عجزهم عن الإتيان بمثل ما أتى به الرسول ﷺ ، وإن تعاونوا عليه ، قال المفسرون : هذا تكذيب للنضر بن الحارث حين قال : ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾[٥] [الأنفال :٣١] .

وقال مقاتل : إن نبيَّ الله ﷺ تحدَّاهم أولاً فقال : ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [هود :١٣] ، فعجزوا عن ذلك ، فتحداهم وقال : ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة :٢٣] ، فعجزوا ، فآيسهم الله تعالى عن معارضته بمثل ما أتى به في هذه الآية[٦] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٠ ، بنصه .

(٢) أي إنه ليس متصلاً ، بل هو استثناء منقطع .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٩ ، بنصه .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٤٦ بنصه ، وبلا نسبة في تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٥٤ ، والقرطبي ١٠/ ٣٢٥ ، والخازن ٣/ ١٨٠ .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٠ب ، بنحوه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٨٤ .

(٦) تفسير مقاتل ١/ ٢١٩أ ، بنحوه .

قال أهل المعـــاني : والمثل الذي طُلب منهم في التحـــدي كلام له نظم كنظم القرآن في أعلى طبقات البلاغة ، إذا قُوبل به ظهر أنه في تلك المنزلة ، كما يكون بين الشـــعراء من معارضة القصيدة بالقصيدة ، كمعارضة علقمة[١] لامرئ القيس ، ومعارضة جرير للفرزدق[٢] ، ثم لـمَّـا عرضوا القرآن على جميع أجناس كلامهم عجزوا عن المعارضة في النظم بَلْهَ البلاغة ، وذلك أن كلامهم لم يخرج من أجناس ثمانيـــة؛ أربعة معقودة وأربعة منثورة؛ فالمنثورة منهـــا أربعة أجناس : منها الكلام الذي يدور بين النـــاس في ما يحتاجون إليها ، ومنها الرســـائل ، ومنها الخُطَب ، ومنها الســـجع ، فلم يكن واحد من هذه الأجناس يشـــبه نظم القرآن ، وبعض ما يُحتَاج إليه في هذه الآية قد ذكرنا في قوله : ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ في ســـورة البقرة[٣] .

وقوله تعالى : ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ هذا جواب (لئن) بالرفع[٤] .

قـــال الفرَّاء : والعرب إذا أجابت (لئن) بـ (لا) جعلوا ما بعد (لا) رفعاً؛ لأن (لئن) كاليمين ، وجواب اليمين بـ (لا) مرفوعٌ ، وربما جزم الشـــاعر بـــــ (لئن) وجوابها؛ لأن (لئن) : (إن) التي يجازى بها زيدت عليها لام ، وأنشد للأعشى :

لَئِنْ مُنِيْتَ بنا عن غِبِّ معركـــةٍ ... لا تُلْفِنـــا منْ دماءِ القـــومِ ننتَفِلُ[٥]

---

(١) علقمة بن عَبَدَة بن النعمان ، شاعر جاهلي من بني تميم ، لقب بالفحل لأنه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له بأنه أشعر منه ، فطلقها ، عدّه الجمحي في الطبقة الرابعة من فحول شعراء الجاهلية ، وله قصيدة طويلة في معارضة امرئ القيس . انظر : طبقات فحول الشعراء ١/ ١٣٧ ، والشعر والشعراء ١٢٥ ، والأغاني ٢١/ ٢٠٥ ، والمنتخب في محاسن أشعار العرب ١/ ١٧ ، والخزانة ٣/ ٢٨٢ .

(٢) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٥١٧ ، بنحوه .

(٣) آية :[٢٣] .

(٤) قال الطـــوسي ٦/ ٥١٧ : «وإنما رفعه لأنه غلب جواب القســـم على جـــواب (إن) لوقوعه في صدر الكلام» .

(٥) ديوانه ١٤٩ ، وفيه : «لم تلفنا» ، وورد في تفسير الطبري ١٥/ ١٥٩ ، والطوسي ٦/ ٥١٧ ، وابن عطية ٩/ ١٨٦ ، واللسان (نفل) ٨/ ٤٥١٠ ، وتفسير أبي حيان ٦/ ٧٨ ، والدر المصون ٧/ ٤٠٧ ، والخزانة =

فجزم الجواب بـ (لا)[١] .

قال : وأنشدني الكسائي[٢] :

لَئِنْ تَكُ قدْ ضَاقتْ عليكم بلادُكُم لَيَعْلَمْ ربي[٣] أنَّ بيتي لـواسعُ[٤][٥]

فجزم بلئن[٦] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ . الظهير : المعين المظاهر لك ، وهو فعيل بمعنى المظاهر .

قـال ابن عباس : يريـد معيناً[٧] ، مثل ما يتعاون الشـعراء على بيت شـعر فيقيمونه .

= ١١/ ٣٢٩ ، وورد بلا نسبة في شرح ابن عقيل ٤/ ٤٥ ، وشرح الأشموني ٤/ ٦٩ ، (منيت) : ابتليت ، ننتفل؛ الانتفال : التبرؤ ، يقال : انتفل من الشيء تبرأ منه .

(١) وكان حقه الرفع لا تلفينا بإثبات الياء ، جواباً للقسـم المتقدم على الشرط ، لكنه جزمه بحذفها؛ لأنه جعله جواباً للشرط بإنْ ولم يُجِب القسم ، بل حذفه لدلالة جواب الشرط عليه . انظر : شرح ابن عقيل ٤/ ٤٥ .

(٢) البيت للكميت بن معروف .

(٣) ساقطة من (د) .

(٤) ورد في الخزانـة ١٠/ ٦٨ ، ١١/ ٣٣١ وفيه : (بيوتكم ، وواسـع) ، وورد بلا نسـبة في الدر المصون ٢/ ٤٦ ، وشرح التصريح ٢/ ٢٥٤ ، وشرح الأشموني ٣/ ٣٩٧ ، ٤/ ٧٢ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣١ ، بتصرف واختصار .

(٦) يقول السـمين : ولا يحذف جـواب الشرط إلا وفعله ماض ، وقد يكـون مضارعاً . وهنا قد حذف للـضرورة ـ كما قال البغـدادي ـ لأن القياس يقتضي أن يقول : لئن كانـت . وأن يقول في الجواب : ليعْلَمـنَّ . انظر : الـدر المصـون ٢/ ٤٦ ، وشرح التصريح ٢/ ٢٥٤ ، وشرح الأشـموني ٤/ ٧٢ ، والخزانة ١٠/ ٦٨ ، ١١/ ٣٥١ .

(٧) لم أقف عليه منسـوباً إليه ، وأخرجه الطـبري ١٥/ ١٥٩ ، عن ابن جريـج ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٩٣ ، وبلا نسبة في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٨٣ .

٨٩ـ٩٠ . قولـه تعـالى : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾؛ أي بَيَّنَّـا ، وذكرنا الكلام في هذا في هذه السـورة[١] ، قال ابن عباس : وأراد بالناس أهل مكة[٢] ، ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾؛ أي من كل نوع وشِبْه ، يريد من الأمثال التي يجب بها الاعتبار ، ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس : يريد أكثرَ أهلِ مكة[٣] .

﴿إِلَّا كُفُورًا﴾؛ يريـد جحوداً للحق وإنـكاراً ، وذلك أنهم أنكروا القرآن وكونه معجزة بعد قيام الحجة عليهـم ، واقترحوا من الآيات ما ليس لهم ، وهو قوله : ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ . قال ابن عباس : لن نصدقك[٤] .

قال المفسرون : نزلت في رؤسـاء مكة اقترحوا عليه ما ذكر الله عنهم في هذه الآيات[٥] .

---

(١) عند آية [٤١] .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٣٠٥ ، وتفسير الفخر الرازي ٢١/ ٥٥ ، والألوسي ١٥/ ١٦٧ بلا نسبة فيهما .

(٣) ورد بلا نسبة في زاد المسير ٥/ ٨٥ ، والفخر الرازي ٢١/ ٥٥ ، والقرطبي ١٠/ ٣٢٧ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٣٠٥ ، وورد بلا نسبة في تفسير الطبري ١٥/ ١٥٩ ، والسمرقندي ٢/ ٢٨٣ .

(٥) ورد في تفسـير مقاتل ١/ ٢١٩ب ، والسيرة لابن هشام ١/ ٣١٥ مطولاً ، أخرجه الطبري ١٥/ ١٥٩ من طريق عكرمة عن ابن عباس ، وورد في تفسـير هود الهـواري ٢/ ٤٤٢ ، والثعلبي ٧/ ١٢٠ب ، وأورده المصنف ـبلاسـندـ في أسـباب النزول ٣٠٠ ، وتفسـير البغوي ٥/ ١٢٨ ، وابن الجوزي ٥/ ٨٥ ، والفخر الرازي ٢١/ ٥٦ ، والقرطبي ١٠/ ٣٢٨ ، وابن كثير ٣/ ٧٠ ، وأورده السـيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم . والحديث في إسناده رجل مجهول ، فقد رواه ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر قدم منذ أربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس ، كما في رواية الطبري .

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا﴾ وذلك أنهم سألوه أن يُجري لهم نهراً كأنهار الشام والعراق ، وقرئ : ﴿تَفْجُرَ﴾ بالتخفيف[١] ، يقال : فَجَرْتُ الماءَ فَجْراً وفَجَّرتُه تفجيراً وتَفْجرةً ، «فمن ثَقَّل[٢] أراد كثرة الانفجار من الينبوع ، وهو وإن كان واحداً فَلِتَكَرُّر الانفجار فيه يحسن أن يثقل ، كما تقول : ضُرِّب زيد ، إذا كثر الضرب فيه ، فَيُكَثَّرُ فِعْلُه وإن كان الفاعل واحداً ، ومن خفَّف فلأن الينبوع واحد ، ودليل التشديد من التنزيل قوله : ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف :٣٣] ، ودليل التخفيف قوله : ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة :٦٠] والانفجار مطاوع الفجر»[٣] .

ومضى الكلام في الفجر والانفجار في سورة البقرة[٤] .

وقوله تعالى : ﴿يَنْبُوعًا﴾ يعني عيناً يَنْبَع الماء منه ، وهو مفعول من نَبَع الماءُ يَنْبَعُ ويَنْبُعُ نَبْعاً ونُبوعاً ونَبْعَاناً ، ذكره الفرَّاء[٥] والليث[٦] .

قال أهل المعاني : وإنما لم يجابوا إلى ما سألوا؛ لأنهم طلبوا ذلك دليلاً على صدقه ، وقد أتاهم من القرآن بما يدل على صدقه ، فليس لهم أن يطلبوا دليلاً آخر إلا بعد القدح في الدليل الأول بما يبين أنه شبهة لا يدل على صحة المعنى ، فأما طلبهم الدليل على جهة الإنكار الأول فهو سفه وجهل لا يستحقون أن يجابوا إليه .

---

(١) أي بفتح التاء وتسكين الفاء وضم الجيم مع التخفيف ، قرأ بها : عاصم وحمزة والكسائي ، انظر : السبعة ٣٨٥ ، وعلل القراءات ١/ ٣٢٨ ، والحجة للقراء ٥/ ١١٨ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٠ ، والنشر ٢/ ٣٠٨ .

(٢) أي بضم التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم ، وقرأ بها : ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر . انظر : المصادر السابقة .

(٣) ورد في الحجة للقراء ٥/ ١١٩ ، بتصرف .

(٤) آية [٦٠] .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣١ ، بنحوه .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (نبع) ٤/ ٣٤٩٧ ، بنصه تقريباً .

٩١. قوله تعالى : ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾ هذا أيضاً كان في ما اقترحوا عليه ، وقوله : ﴿فَنُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ عطف على قوله : ﴿أَوْ تَكُونَ﴾ .

٩٢. ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ﴾ ، هذا كان في ما اقترح عليه المشركون ، قالوا له : فأسقط السماء علينا ، قال ابن عباس : يعنون العذاب ، وهو كما زعمت[١] . قال عكرمة : كما زعمت يا محمد أنك نبي ، فأسقط السماء علينا[٢] . وقال آخرون : كما زعمت أن ربك إن شاء فعل[٣] ، وكذا ذكر المفسرون بالقصة[٤] .

وقوله تعالى : ﴿كِسَفًا﴾ فيه وجهان من القراءة؛ جزم السين[٥] وفتحها[٦] .

قال أبو زيد : يقال : كَسَفْتُ الثوبَ أكْسِفُه كَسْفاً ، إذا قَطَّعته قِطَعاً[٧] .

وقال الليث : الكَسْفُ : قَطْعُ العُرْقُوب[٨] ، والكِسْفَة : القطعة .

---

(١) ورد في تفسيره الوسيط ٢/ ٥٤٨ بنصه تقريباً؛ من دون ضمير الفصل وهو .

(٢) انظر : تفسير الرازي ٢١/ ٥٧ .

(٣) انظر : تفسير الرازي ٢١/ ٥٧ ، وتفسير أبي حيان ٦/ ٧٩ .

(٤) عند آية [٩٠] .

(٥) قرأ بها : ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ، انظر : السبعة ٣٨٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٨٢ ، وعلل القراءات ١/ ٣٢٩ ، والحجة للقراء ٥/ ١١٩ ، والمبسوط في القراءات ٢٣١ ، والتيسير ١٤١ ، والنشر ٢/ ٣٠٩ .

(٦) قرأ بها : ابن عامر ونافع وعاصم . انظر : المصادر السابقة .

(٧) ورد في الحجة للقراء ٥/ ١١٩ ، بنصه ، وتفسير الطوسي ٦/ ٥١٨ ، بنصه .

(٨) ورد في تهذيب اللغة (كسف) ٤/ ٣١٤٣ ، بنصه . (العُرْقُوب) : هو العصبُ الغليظُ المُوَتَّر فوق عقبِ الإنسان ، أو خلف الكعبين . انظر : اللسان (عرقب) ٥/ ٢٩٠٩ ، ومتن اللغة ٤/ ٨٣ .

قال الفرَّاء : وسمعت أعرابيّاً يقول لبزاز : أعطني كِسْفة ، يريد قطعة كقولك : خِرْقَة[١] .

روى عمرو عن أبيه : يقال لخِرَق القميص قبل أن يُؤَلَّفَ : الكِسَف ، واحدها كِسْفَة[٢] ، فمن قرأ بسكون السين احتمل قوله وجوهاً؛ أحدها : أن يكون جمع كِسْفة ، على حد دِمْنَةٍ ودِمَن[٣] ، وسِدْرة ، وسِدَر هذا قول الفرَّاء[٤] ، وقال الكسائي : من وَحَّد خفف[٥] .

قال أبو علي : إذا كان المصدرُ الكسْف ، فالكسْفُ[٦] : الشيء المقطوع ، كما يقال في الطَّحْن والطِّحْن ، والسَّقي والسِّقي[٧] ، ويؤكد هذا قوله : ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ [الطور :٤٤] ، وذكر الزَّجَّاج وجهاً ثالثاً ، فقال : من قرأ كِسْفاً فكأنه قال : أو تسقطها طبَقاً علينا ، واشتقاقه من كَسَفْتُ الشيء إذا غَطَّيته[٨] ، ومن فتح السين فهو جمع كِسْفَةٍ مثل قِطْعَةٍ وقِطَع ، وسِدْرَةٍ وسِدَرٍ ، وهو نصب على الحال في القراءتين جميعاً ، كأنه قال : أو تسقطَ السماء علينا مقطعة[٩] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣١ بتصرف يسير ، وورد في تهذيب اللغة (كسف) ٤/ ٣١٤٣ ، بنصه .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (كسف) ٤/ ٣١٤٣ ، بتصرف يسير .

(٣) الدِّمنة : آثار الناس وما سَوَّدوا ، وقيل : ما سوَّدوا من آثار البعر ، والجمع : دمن ، وهو البعر ، ودمَّنت الماشيةُ المكانَ : بعَرت فيه وبالت . انظر : اللسان (دمن) ٣/ ١٤٢٨ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣١ ، بنحوه ، ورد في تهذيب اللغة (كسف) ٤/ ٣١٤٣ ، بنحوه ، وما في التهذيب أقرب .

(٥) لم أقف عليه . قال القرطبي : قال الأخفش : من قرأ : كِسْفاً من السماء ، جعله واحدا ، ومن قرأ : كِسَفاً ، جعله جمعاً . تفسير القرطبي ١٠/ ٣٣٠ .

(٦) في النسخ جميعها : (والكسف) بالواو عطفاً ، والصواب ما أثبته من المصدر بالفاء؛ لأنه جواب شرط قرن بالفاء .

(٧) الحجة للقراء ٥/ ١١٩ ، بنصه .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٩ ، بنصه .

(٩) ورد في الحجة للقراء ٥/ ١٢٠ ، بنحوه .

قال ابن عباس في قوله : ﴿كِسَفًا﴾ قطعاً[١] .

وقال مجاهد : السماء جميعاً[٢] ، وهذا على قراءة من سَكَّن السين ، ومعناه كما قال الزَّجَّاج : طبقاً ، أو كما قال أبو علي : قطعة واحدة .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ . ذكروا في هذا ثلاثة أقوال : قال ابن عباس في رواية الضحاك : عياناً[٣] ، وهو قول قتادة وابن جريج[٤] ، والمعنى : تأتي بهم حتى نراهم مقابلة ، والعرب تُجري القبيل في هذا المعنى مجرى المصدر ، فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ، وذكرنا هذا عند قوله : ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ [الأنعام :١١١] ، وهذا القول منهم يدل على جهلهم بصفة الله؛ حيث لم يعلموا أنه لا يجوز على الله المقابلة .

القول الثاني : ما قاله ابن عباس في رواية عطاء : يريد فوجاً بعد فوج[٥] .

قال الليث : وكل جيل من الجن والناس قبيل[٦] ، ذكرنا ذلك في قوله : ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ [الأعراف :٢٧] ، وهذا قول مجاهد[٧] .

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ١٦١ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) ، ومن طريق العوفي (ضعيفة) ، وورد بلفظه في تفسير الماوردي ٣/ ٢٧٣ ، والطوسي ٦/ ٥١٩ .

(٢) تفسير مجاهد ١/ ٣٧٠ ، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٦١ ، بنصه من طريقين ، انظر : تفسير ابن عطية ٩/ ١٩٦ .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٨٧ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦٧ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٩ ، بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٥/ ١٦٢ ، بنحوه عنهما ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٩٤ بلفظه عن قتادة ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٢١أ ، بلفظه ، والماوردي ٣/ ٢٧٣ ، بنحوه عنهما ، والطوسي ٦/ ٥٢٠ ، بنحوه عنهما .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٥٨ .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (قبل) ٣/ ٢٨٧٦ ، بنصه .

(٧) تفسير مجاهد ١/ ٣٧٠ ، بمعناه ، أخرجه الطبري ١٥/ ١٦٢ ، بمعناه من طريقين ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢١أ ، بمعناه ، انظر : زاد المسير ٥/ ٨٨ .

القــول الثالــث : أن قبيلاً معنــاه هاهنا ضامنــاً وكفيــلاً ، روي ذلك عن ابن عباس[١] ، وذكره الزَّجَّاج وابن قتيبة[٢] .

قال الزَّجَّاج : يقال : قَبُلْتُ به أقْبُل ، كقولك : كَفُلْتُ أكفُل[٣] ، وهو على هذا واحدٌ أريد به الجمع ، وقد جاء [فعيل مفرداً][٤] يُراد به الكثرة ، كقول رؤبة :

دَعْها فما النَّحْوِيُّ من صديقِها[٥]

وكقوله تعالى : ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[٦] [النساء :٦٩] ، واختار أبو علي أن يكــون معناه المعاينة ، قــال : وإذا حملته على المعاينة كان القبيــل مصدراً كالنذير والنكير ، قــال : ولو أريد به الكفيل لكان خليقــاً أن يجمع على فعلاء كما قالوا : كفلاء؛ لأنه في الأصل صفة ، وإن كان قد استعمل استعمال الأسماء ، قال : ويدل على أن المراد بالقبيل المعاينة لا الكفيل قوله : ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقــان :٢١] ، وكما اقترح ذلك غيرهم في قوله : ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النســاء :١٥٣] ، وقد مرَّ[٧] .

---

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢١أ بلفظه ، انظر : زاد المسير ٥/ ٨٨ ، والقرطبي ١٠/ ٣٣١ .

(٢) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٦٢ ، بنحوه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٩ ، بنصه تقريباً .

(٤) ما بين المعقوفين من (ش) و(ع) وفي (أ) و(د) : (فصل مفرد) .

(٥) ديوانــه ١٨٢ ، وورد في جمهرة اللغة ٢/ ٦٥٦ ، والمذكر والمؤنــث لابن الأنباري ١/ ٢٩٠ ، والأغاني ٢٠/ ٣٦٧ ، وأســاس البلاغة ٢/ ١١ ، وشرح شواهد الإيضاح ٥٧٣ ، واللسان (ذبح) ٣/ ١٤٨٦ ، (صدق) ٤/ ٢٤١٨ ، وتخليص الشواهد ١٨٤ .
والشاهد : أنه قال من صديقها؛ أي من أصدقائها ، فهو مفرد وقع موقع الجمع .

(٦) قال الواحدي رحمه الله : قال الفرَّاء : وإنما وحَّد الرفيق وهو حقه الجمع؛ لأن الرفيق والبريد والرسول تذهب به العرب إلى الواحد وإلى الجمع .

(٧) الحجة للقراء ٣/ ٣٨٦ ، بنصه تقريباً .

٩٣. قوله تعالى : ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ . قال المفسرون : كان في ما اقترحوا من الآيات أن يكون له جنان وكنوز وقصور من ذهب ، فذلك قوله : ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي : من ذهب[١] .

قال مجاهد : كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأيت في قراءة عبدالله : «أو يكون لك بيت من ذهب»[٢] .

قال أبو إسحاق : وأصل الزُّخْرُف والزَّخْرَفة في اللغة : الزينة[٣] ، يدل على ذلك قوله : ﴿إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ [يونس :٢٤]؛ أي أخذت كمال زينتها ، ولا شيء في تحسين بيت وتزيينه كالذهب ، فليس يخرج قول المفسرين عن الحق في هذا[٤] . وقال الحسن : الزخرف : النقوش[٥] . وفَسَّرنا الزخرف في سورة الأنعام [١١٢] وسورة يونس [٢٤] .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ . قال المفسرون : قال عبدالله بن أُمَيَّة : لا أؤمن بك يا محمد أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلَّماً ، ثم ترقى فيه وأنا أنظر

---

(١) تفسير مجاهد ١/ ٣٧٠ ، بلفظه ، وأخرجه بلفظه عبدالرزاق ٢/ ٣٩٠ ، عن قتادة ، والطبري ١٥/ ١٦٣ ، عن ابن عباس من طريق العوفي (ضعيفة) وعن مجاهد وقتادة من طرق ، وورد بلفظه في تفسير هود ٢/ ٤٤٢ ، عن ابن عباس ، والماوردي ٣/ ٢٧٣ ، عن ابن عباس وقتادة ، والطوسي ٦/ ٥٢٠ ، عنهم عدا السدي ، وأورده السيوطي في الدر ٤/ ٣٦٧ وعزاه إلى عبد بن حميد عن قتادة .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ١٦٣ ، بنصه ، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٩٥ ، والثعلبي ٧/ ١٢١ب ، والماوردي ٣/ ٢٧٣ ، وأورده السيوطي في الدر ٤/ ٣٦٧ وزاد نسبته إلى أبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وأبي نعيم في الحلية ،لم أقف عليه .
وهذه قراءة شاذة ، تعد من قبيل التفسير ، لمخالفتها سواد المصحف . انظر : تفسير أبي حيان ٦/ ٨٠ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (زخرف) ٢/ ١٥٢٠ ، والمحيط في اللغة ٤/ ٤٦٥ ، واللسان ٣/ ١٨٢١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٦٠ ، بتصرف .

(٥) لم أقف عليه .

حتى تأتيها ، وتأتي بنسخة منشورة معك ، ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، فذلك قوله : ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ ، قال الفرَّاء : يقال : رَقِيتُ ، وأنا أرقى ، رَقْيَاً ورُقْياً ورُقِياً ، وأنشد[١] :

أنتِ الَّتي[٢] كَلَّفتِني رَقْي الدَّرْج على الكِلالِ والـمَشِيبِ والعَرْج[٣]

قال : [والمعنى إلى السماء ، غير أنهم قالوا : أو تضع سُلَّماً فترقى عليه إلى السماء فذهبت (في) إلى السُّلَّم][٤] .

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ وقال ابن عباس ومجاهد : كتاباً نقرأه منشوراً من رب العالمين إلى فلان وفلان ، عند كل رَجُل منا صحيفة يصبح عند رأسه يقرأها[٥] ، (قال سبحان ربي)[٦]؛ أي قال النبي ﷺ ذلك ، وقرئ : ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾[٧] ، على الأمر له بأن يقول ذلك .

---

(١) نسب في اللسان إلى ابن بري .

(٢) في النسخ جميعها : (أنت) ، وفي المصادر جميعها : (الذي) .

(٣) ورد في اللسان (رقا) ٣/ ١٧١١ ، وورد بلا نسبة في الطبري ١٥/ ١٦٣ ، والرازي ٢١/ ٥٨ ، (الكلال) : الضعف والإعياء . ومتن اللغة ٥/ ٩٥ .

(٤) ورد ما بين المعقوفين ـ فقط ـ في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣١ ، بنصه ، وورد قوله بنحوه وبلا نسبة في تفسير الطبري ١٥/ ١٦٣

(٥) تفسير مجاهد ١/ ٣٧٠ ، بنحوه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٦٤ ، بنحوه عن مجاهد من طريقين ، وورد في تفسير هود الهواري ٢/ ٤٤٣ ، بنحوه عن مجاهد ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٨٨ ، عن ابن عباس ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد .

(٦) قرأ بها : ابن كثير وابن عامر . انظر : السبعة ٣٨٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٨٣ ، وعلل القراءات ١/ ٣٣٠ ، والحجة للقراء ٥/ ١٢١ ، والمبسوط في القراءات ٢٣١ ، والنشر ٢/ ٣٠٩ .

(٧) قرأ بها : نافع وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي . انظر : المصادر السابقة .

قال ابن عباس : يقول : عَظُمَ ربي وكَرُمَ ، ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ ، كقوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف :١١٠]؛ أي إن هذه الأشياء ليس في قوى البشر أن يأتوا بها ، فلا وجه لطلبكم هذه الآيات مني مع صفتي أني بشر .

٩٤. قوله تعالى : ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ قال ابن عباس : يريد أهل مكة[١] ، ﴿أَن يُؤْمِنُوٓا﴾؛ أي الإيمان والتصديق ، ﴿إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰٓ﴾ أي البينات والرشاد من الله تعالى على لسان محمد ﷺ ، وهو القرآن ، ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓا﴾؛ أي إلا قولهم في التعجب والإنكار ، ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ قال أهل المعاني : ووجه تعجبهم من بعث الله بشراً رسولاً ، جهلهم في التعظيم ، وهو قولهم : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً ، كما توهموا أن عبادة الأصنام تجوز من طريق التعظيم لله[٢] ، و﴿رَّسُولًا﴾ منصوب على أنه مفعول ثانٍ للبعث ، كقولك : بعثت زيداً رسولاً إلى فلان ، وفي إنكارهم كون البشر رسولاً اقتضاءُ أن يُبْعَثَ إليهم مَلَكٌ ، وكأنه قيل : أبعث الله بشراً رسولاً ؟! هلا بعث مَلَكاً[٣] رسولاً!

٩٥. فقال الله تعالى : ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ . قال الحسن : قاطنين[٤] ، وقال الكلبي : مقيمين[٥] ، وقال الزَّجَّاج : مستوطنين الأرض[٦] ، وأصل الطمأنينة السكون ، وجُعل

---

(١) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٨٩ ، وتنوير المقباس ٣٠٥ ، وورد بلا نسبة في تفسير مقاتل ١/ ٢١٩ب ، والسمرقندي ٢/ ٢٨٤ .

(٢) ورد نحوه في تفسير الطوسي ٦/ ٥٢١ .

(٣) في (د) : (ما كان) ، وفي (أ) : (ما كا) ، ويبدو أنها تصحفت عن (ملكاً) .

(٤) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٥٢٢ ، بلفظه .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٣٠٥ ، وورد بلا نسبة في تفسير مقاتل ١/ ٢١٩ب ، والسمرقندي ٢/ ٢٨٤ ، وهود الهواري ٢/ ٤٤٣ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٦١ ، بنصه .

هاهنا عبارة عن المقام والاستيطان؛ لأنه يقال : سكن فلان بلدة كذا ، وسكن دار فلان ، وإن كان فيها ماشياً منقلباً في حاجاته ، وليس يراد السكون الذي هو ضد الحركة ، كذلك هاهنا ليس المراد بالاطمئنان الذي هو ضد المشي ، إنما المراد به الإقامة ، كما ذكرنا عن أهل التفسير .

وقوله تعالى : ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ . قال أبو إسحاق : أعلمهم الله أن الأعدل والأبلغ في الأداء إليهم بشرٌ[1]؛ لأنه لا يُرْسِل إلى خلق إلَّا ما كان من جنسهم ، فلو كان في الأرض بدل الآدميين ملائكة ، لنزلنا عليهم ملكاً رسولاً[2] .

فإن قيل : لم جاز أن يرسل إلى النبيِّ وهو بشر ملكٌ ليس من جنسه ، ولم يجز أن يرسل غير النبيِّ من البشر؟

الجواب : أن النبيَّ قد اختير للهداية والمصلحة ، وهو صاحب معجزة ، فصارت حاله بذلك مقاربة لحال الملك ، مع أن الجماعة الكثيرة ينبغي أن يُتَخيَّر لها ما يجتمع عليه هَمُّها ، إذا أريد الصلاح لجميعها بما لا يُحتاج إليها في الواحد منها .

٩٦. قوله تعالى : ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ . فسرنا هذا في آخر [الرعد :٤٣] .

٩٧. قوله تعالى : ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ . قال ابن عباس : من يرد الله هُدَاه[3] ، ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ ، ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ قال : ومن يخذل ، ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ يهدونهم من دون الله ، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ ، في حديث أبي هريرة ، قيل : يا رسول الله ، وكيف يمشون على وجوههم ،

(١) في (أ) و(د) : (بشراً) ، وهو خطأ نحوي ظاهر .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٦١ ، بنصه .
(٣) ورد في الوسيط ٢/ ٥٥٢ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٩٠ .

قال : «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم ، إنهم يتقون[١] بوجوههم كل حَدَبٍ وشَوْك»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ . روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية ، ثم قال : ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ [الكهف :٥٣] ، وقال : ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ [الفرقان :١٢] ، وقال : ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان :١٣] ، فكيف قال في هذه الآية : ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ ، ثم أجاب ابن عباس : فقال عمياً لا يرون شيئاً يسرهم ، صُمّاً لا يسمعون شيئاً يسرهم ، بُكماً لا ينطقون بحجة[٣] .

وقال في رواية عطاء : يريد عُمياً عن النظر إلى ما جعله الله لأوليائه ، وبُكماً عن مخاطبة الله تعالى ، وصُمّاً عما مدح الله به أولياءه[٤] .

وقال مقاتل : هذا حين يقال لهم : ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون :١٠٨] ، فيصيرون عمياً بكماً صُمّاً لا يرون ولا يسمعون ولا ينطقون بعد ذلك[٥] .

---

(١) في (ش) : (يتقوه) .

(٢) جزء من حديث طرفه : «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف . . . .» . أخرجه الترمذي (٣١٤٢) ، كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة بني إسرائيل بنصه عن أبي هريرة وحسنه ، والطبري : بنصه من دون الزيادة بين التنصيص ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢١ب ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦٨ وزاد نسبته إلى ابن مردويه وأبي داود والبيهقي في البعث ـلم أجده فيهاـ وللحديث شاهد من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه ـمن دون الزيادة بين التنصيصـ أخرجه أحمد ٣/ ١٦٧ ، والبخاري (٤٧٦٠) ، كتاب : التفسير ، سورة الفرقان ٤/ ١٧٨٤ ، ومسلم (٢٨٠٦) ، كتاب : الجنة والنار ، باب : صفات المنافقين ، يحشر الكافر على وجهه ٤/ ٢١٦١ ، والحاكم ، التفسير ، الفرقان ٢/ ٤٠٢ .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ١٦٨ بنصه (صحيحة) ، وورد بنحوه مختصراً في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٩٧ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٢١ب ، والماوردي ٣/ ٢٧٥ ، والطوسي ٦/ ٥٢٤ ، بنحوه ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٦١ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦٨ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٤) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٩٠ ، والفخر الرازي ٢١/ ٦١ ، وأبي حيان ٦/ ٨٢ بلا نسبة .

(٥) تفسير مقاتل ١/ ٢٢٠أ ، بنحوه .

وقوله تعالى : ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ . الخبو : سكون النار ، يقال : خبت النار تخبو إذا سكن لهيبها ، ومعنى خبت سَكَنت وطَفِئت ، ويقال في مصدره : الخبؤ ، وأخبأها المخبئ؛ أي أخمدها[١] .

قال الكميت :

مؤجِّج نيرانِ المكارم لا الـمُخْبي[٢]

قوله تعالى : ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ . قال ابن عباس : سُعِّر العذابُ عليهم بأشد مما كان[٣] ، وقال ابن قتيبة : زدناهم ناراً تَتَسَعَّر؛ أي تَتَلَهَّب[٤] ، ومضى الكلام في السعير في سورة النساء [١٠] .

٩٨. قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ جَزَآؤُهُم﴾ . هذه الآية مفسرة في هذه السورة[٥] .

---

(١) انظر : الأضداد لابن الأنباري ١٧٧ ، وتهذيب اللغة (خبأ) ١/ ٩٧ ، والمحيط في اللغة (خبو) ٤/ ٤٢٧ ، واللسان (خبا) ٢/ ١٠٩٨ .

(٢) صدره :

ومنَّا ضرارٌ وابْنَماهُ وحاجبٌ

ورد في ديوان الكميت بن زيد ١/ ١٠٧ ، والمقتضب ٢/ ٩٣ برواية :

ومنا لَقِيط . . . . مُؤَرِّث نيران . . . .

وورد في مجاز القرآن ١/ ٣٩١ ، والأضداد لابن الأنباري ١٧٥ ، والأزهية ٢٤ ، واللسان (خبا) ٢/ ١٠٩٨ ، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٣/ ١٣٠٨ ، (ابنماه) : تثنية ابن ، فقد زادوا في (ابن) ميماً للتوكيد وألحقوها الإعراب ، وحركوا النون بحركتها ، فقالوا : جاءني ابنُمٌ ، ورأيت ابنَماً ، ومررتُ بابنِم ، وقالوا في الجمع : هؤلاء ابنُمونَ ، (المخبي) : الذي يطفئ النار ، يقال : خبت النار والحرب ، تَخبُو خَبواً وخُبُواً : سكنت وطفئت وخمد لهبها ، وهي خابية ، وأخْبيتها أنا : أخمدتها .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ١٦٨ بمعناه من طريق العوفي (ضعيفة) ، وابن الأنباري في الأضداد ١٧٦ ، بمعناه من طريق ابن جريج (صحيحة) ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٦٢ ، بنصه .

(٥) عند آية [٩٨] .

٩٩. ثم أجابهم الله عن إنكارهم البعث بقوله : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية . ومعنى ﴿أَوَلَمْ﴾ هاهنا : أولم يعلموا ، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ﴾ [البقرة :٢٥٨] ، والمعنى : ألم يعلموا أن من قدر على خلق السموات في عظمها ، ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾؛ أي على أن يخلقهم ثانياً ، وأراد بمثلهم إيَّاهم ، وذلك أن مثل الشيء مساوٍ له في حالته ، فجاز أن يُعَبِّرَ به عن الشيء نفسه ، وخَلْقُ مِثْلِهم كخلقهم ، والمعنى : قادر على أن يخلق مثلهم في ضعفهم وصغرهم ، هذا معنى قول أكثر المفسرين[١] .

وقال عطاء عن ابن عباس : ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ يريد عبيداً يوحدونني ويعظمونني ولا يعدلون بي شيئاً[٢] ، فالمعنى على هذا يخلق مثلهم في الخلقة والشبه ، ويكون المعنى كقوله : ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم :١٩] .

وقوله تعالى : ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد :٣٨] ، والقول هو الأول[٣]؛ لأنه أشبه بما قبله ، ولأنه لا دليل على توحيد المخلوقين مثلهم في الآية ، وتَمَّ الكلام؛ أي لا دليل في الآية على أن الذين يخلقهم أمثالهم يوحدونه ويعظمونه كما ذكرتم .

قال : ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ . قال ابن عباس : يريد أجل الموت وأجل القيامة[٤] ، وهذا جواب لاستدعائهم العذاب في قولهم : ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٥/ ١٦٩ ، والسمرقندي ٢/ ٢٨٥ ، وهود الهواري ٢/ ٤٤٤ ، والثعلبي ٧/ ١٢٢أ .

(٢) ذكره الفخر الرازي ٢١/ ٦٢ بلا نسبة ، وورد في تفسير الألوسي ١٥/ ١٧٧ بلا نسبة بصيغة التمريض وردَّه .

(٣) وهو الصحيح والذي عليه الجمهور كما ذكر ، ولم يكن بحاجة إلى إيراد القول الثاني المرجوح جداً خاصة أن طريقه مقطوعة .

(٤) ورد في الوسيط ٢/ ٥٥٤ ، بنصه ، وورد بلا نسبة في تفسير الزمخشري ٢/ ٣٧٦ ، وابن عطية ٩/ ٢٠٤ ، والقرطبي ١٠/ ٣٣٤ ، والخازن ٣/ ١٨٢ .

زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ ، ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ أي المشركون ، ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً بذلك الأجل ، وهو البعث والقيامة .

١٠٠. وقوله تعالى : ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ . قال أبو إسحاق : ﴿أَنتُمْ﴾ مرفوعة بفعل مضمر ، المعنى : قل : لو تملكون أنتم؛ لأن (لو) يقع بها الشيء لوقوع غيره ، فلا يليها إلا الفعل ، فإذا وليها الاسم عمل فيه الفعل المضمر[١] ، وأنشد قول المُتَلَمِّس[٢] :

فلو غيرُ أخوالي أرادوا نَقِيصَتِي نَصَبْتُ لَهُمْ فَوقَ العَرانِينِ مِيسَمَا[٣]

المعنى : لو أراد غير أخوالي[٤] .

---

(١) انظر : المقتضب ٣/ ٧٧ ، والكامل ١/ ٢٧٩ ، ومغني اللبيب ٣٥٣ ، والدرر اللوامع ٥/ ٩٩ .

(٢) المتلمس : هو جرير بن عبدالمسيح ، من بني ضُبَيعة ، وأخواله بنو يَشْكُر ، وهو خال طرفة بن العبد ، شاعر جاهلي مُفْلِقٌ مُقِلٌّ ، عدَّه الجمحي في الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية ، دبَّر عمرو بن هند ملك الحيرة قتله هو وطرفة بعد أن هَجَوَاه ، فنجا المتلمس وهرب إلى بني جفنة ملوك الشام وقتل ابن أخته ، قتله عامل البحرين ، توفي نحو سنة ٥٦٩م .
انظر : طبقات فحول الشعراء ١/ ١٥٥ ، والشعر والشعراء ٩٩ ، والأغاني ٢٤/ ٢١٦ ، والخزانة ٦/ ٣٤٥ .

(٣) ديوانه ٢٩ ، وورد في الأصمعيات ٢٤٥ ، ومختارات ابن الشجري ١٢٢ ، وتفسير ابن الجوزي ٥/ ٩١ ، والخزانة ١٠/ ٥٩ ، وورد بلا نسبة في الكامل ١/ ٢٧٩ ، والمقتضب ٣/ ٧٧ ، وتذكرة النحاة ٤٩٠ ، واللسان (نقص) ٨/ ٤٥٢٣ ، وفي الديوان والمصادر جميعها عدا ابن الجوزي : (جعلت) بدل (نصبت) . (نقيصتي) : تنقصي ، (العرانين) : جمع عِرْنين؛ وهو أعلى قصبة الأنف ، (ميسماً)؛ الميسم : هو الآلة التي يوسم بها ، ومقصوده : أَسِمُهم على العرانين؛ أي أهجوهم هجاءً يبقى أثرُه في وجوههم ، ويلزمهم لزوم الميسم للأنف .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٦٢ ، بنصه .

وأنشد غيره لجرير[١] :

لو غَيْرُكُمْ عَلِقَ الزُّبَير بحبلِهِ أدَّى الجوارَ إلى بني العَوَّامِ[٢]

أي لو عَلِقَ غيْرَكُمْ ، والخطاب في هذه الآية للمشركين ، قال ابن عباس : ﴿قُل﴾ يا محمد[٣] ، ﴿لَّوْ أَنتُمْ﴾ يا معشر المشركين ، ﴿تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ﴾ يريد خزائن الرزق ، ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ يريد إذاً لبخلتم .

قال أبو إسحاق : أعلمهم الله أنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لأمسكوا شُحاً وبُخْلاً ، قال : وهذا جواب لقولهم : ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾[٤] يريد أنهم طلبوا عين ما في بلدهم ليكثر مالهم ويتسع عيشهم ، فأعلمهم الله أنهم لو ملكوا الكثير لبخلوا؛ لأنهم جُبِلوا على الإمساك ، والبخيل لا ينفعه كثرة المال .

وقوله تعالى : ﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ خشية منصوب على أنه مفعول له .

قال ابن عباس : خشية الفقر[٥] ، وقال قتادة : خشية الفاقة[٦] .

---

(١) ساقطة من (ش) .

(٢) ديوانه ٤٥٣ وفيه : (ورَحْلَهُ) بدل (بحبله) ، وورد في الكامل ١/ ٢٧٩ ، وشرح شواهد المغني ٢/ ٦٥٧ ، والخزانة ٥/ ٤٣٢ ، والدرر اللوامع ٥/ ٩٨ ، وورد بلا نسبة في المقتضب ٣/ ٧٨ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٥٢٥ ، ومغني اللبيب ٣٥٣ .

(٣) ورد بلا نسبة في تفسير الطبري ١٥/ ١٧٠ ، والطوسي ٦/ ٥٢٥ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٦١ ، بنصه مع تقديم وتأخير .

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ١٧٠ ، بلفظه من طريق الحجاج عن ابن جريج (صحيحة) ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٩٨ .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٩٠ ، بلفظه ، والطبري ١٥/ ١٧٠ ، بلفظه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٩٨ ، بمعناه ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٧٦ ، بمعناه ، والطوسي ٦/ ٥٢٥ ، بمعناه ، أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦٩ـ ٣٧٠ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

قال أبو عبيدة : يقال : قد أملق الرجل إملاقاً ، وأنفق إنفاقاً ، إذا قَلَّ ماله[١] .

قال المبرِّد : المعروف في الإنفاق أنه إخراج المال عن اليد ، فإن كان قد روي في اللغة معنى الإعدام فهو كما قال أبو عبيدة ، وإلا فمعنى الكلام في الآية : خشية أن يستفرغكم الإنفاق ويُجْحِفَ بكم ، فيكون الكلام من باب حذف المضاف على تقدير : خشية ضرر الإنفاق وما أشبهه[٢] ، وهذا معنى قول السدي : خشية أن ينفقوا فيفتقروا[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ . قال ابن عباس وقتادة وغيرهما : بخيلاً[٤] ، يقال : قَتَرَ يَقْتِرُ ويَقْتُر قَتْراً ، وأقْتَرَ إقتاراً ، وقَتَّر تَقْتيراً ، إذا قَصَّر في الإنفاق[٥] .

قال الليث : القَتْرُ : الرُّمْقة في النَّفقة ، وهو أن ينفق ما[٦] يُمْسِك الرَّمَق[٧] .

فإن قيل في الناس : الجواد المُبَذِّر ، فلم قيل : ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾؟ الجواب : أن الأغلب عليهم البخل والاقتصار ، ولا اعتبار بالنادر ، على أن كل

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٢٠٨ وعبارته : ﴿مِنْ إِمْلَٰقٍ﴾ من ذهاب ما في أيديكم ، يقال : أملق فلان؛ أي ذهب ماله .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٥٤ ، بنصه .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٧٠ ، بلفظه عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) ، ومن طريق ابن جريج (صحيحة) ، وعن قتادة ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٩٩ ، عن ابن عباس ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٧٦ ، عنهما ، أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن ابن عباس ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن قتادة .

(٥) انظر : جمهرة اللغة (قتر) ١/ ٣٩٣ ، والمحيط في اللغة ٥/ ٣٦٠ ، ومجمل اللغة ٢/ ٧٤٢ ، واللسان ٦/ ٣٥٢٥ .

(٦) في (أ) و(د) و(ش) : (ماله) ، والمثبت من : (ع) ، وبه يستقيم المعنى ، وهو أقرب لما في المصدر .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (قتر) ٣/ ٢٨٨٢ ، بتصرف .

أحد بخيل بالإضافة إلى جُود الله؛ إذ لو ملك خزائن ربه لادَّخر معظمها لنفسه، والله -عز وجل- يفيضها على عباده لا يمنعه عن ذلك الإبقاء لنفسه؛ لأنه يجلُّ عن لحَاق النفع والضر.

وقال أبو إسحاق: يعني بالإنسان هاهنا الكافر خاصة، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾، ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ [العاديات: ٦-٨]؛ أي المال[1]، ﴿لَشَدِيدٌ﴾ لبخيل[2]، وهذا قول الحسن[3].

١٠١. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ﴾ الآية. وجه اتصال معنى هذه الآية بما قبلها أنه ذكر في هذه الآية إنكارَ فرعونَ آياتِ موسى مع وضوحها، فيكون في ذلك تشبيهاً لحال هؤلاء المشركين بحاله وتسلية للنبي ﷺ. واختلفوا في الآيات التسع مع اتفاقهم أن منها: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فهذه خمس، وأما الأربعة الباقية، فروى قتادة عن ابن عباس قال: هي يده البيضاء عن غير سوء، وعصاه إذا ألقاها، وما ذكر في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٣٠] قال: ﴿ٱلسِّنِينَ﴾ لأهل البوادي حتى هلكت مواشيهم، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ لأهل القرى، وهاتان

---

(١) ساقطة من (ع).

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٦١، بتصرف يسير.

(٣) ورد في تفسير الماوردي ٣/ ٢٧٦، وانظر: تفسير القرطبي ١٠/ ٣٣٥، وورد بلا نسبة في تفسير مقاتل ١/ ٢٢٠أ، وهود الهواري ٢/ ٤٤٥، والجمهور -كما في تفسير الماوردي- على أنها عامة، وهو الصحيح.

آيتان[١] ، ونحو هذا روى أبو صالح وعكرمة[٢] ، وهذا قول مجاهد[٣] .
وقال محمد بن كعب القرظي بدل السنين ونقص من الثمرات فَلْق البحر والطمسة ، وهي أن الله -تعالى- مسخ أموالهم حجارة من النخل والدقيق والأطعمة والدراهم والدنانير[٤] ، وهذا الذي ذكرنا أجود ما قيل في تفسير الآيات[٥] .

وقوله تعالى : ﴿فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ . قال ابن عباس : فاسأل يا محمد بني إسرائيل[٦] ، يريد المؤمنين من قريظة والنضير ، ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾ يريد موسى ، ونظم الآية على غير ما هو عليه في الظاهر ؛ لأن (إذ) تتعلق بالإتيان لا بالسؤال ، وتقدير الآية : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ ، ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾ بني إسرائيل فسألهم ، إلا أنه لـمَّا عُلِّق السؤال ببني إسرائيل كُنِّي عنهم [في قوله : ﴿جَآءَهُمْ﴾ ، والمراد : إذ جاء آباءهم الذين كانوا في ذلك الوقت ، ولكنهم لـمَّا كانوا من بني إسرائيل

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٩٠ ، بنحوه ، والطبري ١٥/ ١٧١ ، بنحوه من طريقين ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٨٥ ، بنحوه ، والثعلبي ٧/ ١٢٢أ ، والماوردي ٣/ ٢٧٧ ، والطوسي ٦/ ٥٢٧ وفي المصادر الثلاثة الأخيرة : العقدة بلسانه [وفيه نظر ؛ لأن وجه الآية فيه غير ظاهر] ، وفَلْق البحر بدل السنين ونقص الثمرات ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٧٠ ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ١٧١ ، بنحوه عن عكرمة ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٢أ ، بنحوه عن عكرمة ، والطوسي ٦/ ٥٢٧ ، بنحوه عن عكرمة عن ابن عباس .

(٣) ورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٠٠ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٢٢أ ، والطوسي ٦/ ٥٢٧ .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٧١ ، بنحوه ، لكنه ذكر الحجر بدل فلق البحر ، وعرَّف الطمسة بقوله : دعا موسى وأمَّن هارون ، فقال : ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس :٨٩] ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٢أ مع زيادات ، والماوردي ٣/ ٢٧٧ ، مثل رواية الطبري ، والطوسي ٦/ ٥٢٧ ، بنحوه .

(٥) قال ابن كثير ٣/ ٧٥ : «وهذا القول ظاهر جلي ، حسن قوي» ، يقصد قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة .

(٦) ورد بلا نسبة في تفسير الطبري ١٥/ ١٧٣ ، والثعلبي ٧/ ١٢٢ب ، وهود الهواري ٢/ ٤٤٥ ، والبغوي ٥/ ١٣٤ ، والخازن ٣/ ١٨٣ .

كنى عنهم][1]؛ لتقدم ذكر بني إسرائيل في الجملة ، وقوله : ﴿فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ اعتراض دخل في كلام متصل .

وقال أهل المعاني في معنى هذا السؤال : إن النبي ﷺ أُمر بأن يسألهم لا ليعرف ذلك من جهتهم ، ولكن لينكشف لعامة اليهود بقول علمائهم صِدقُ ما أتى به وأَخْبَر عنه ، فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد .

وقوله تعالى : ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ . قيل في المسحور هاهنا : إنه بمعنى الساحر كالمشؤوم والميمون ، وذكرنا هذا في قوله : ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء :٤٥] . وهذا قول الفرَّاء وأبي عبيدة[2] ، وقيل : إنه مفعول من السحر؛ أي إنك قد سُحِرت فأنت تحمل نفسك على هذا الذي تقوله للسحر الذي بك[3] .

وقال محمد بن جرير أي مُعْطَى عِلْم السحر ، فهذه العجائب التي تأتي بها من سحرك[4] ، فأجابه موسى :

١٠٢. بقوله : ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني الآيات ، ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ : أي عِبرٌ أو دلالات ، وذكرنا معنى البصائر في آخر سورة الأعراف [٢٠٣] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (د) .

(٢) ليس في المعاني ولا المجاز ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٢ب ، بنحوه عنهما ، وهو مصدره ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ١٣٥ ، والقرطبي ١٠/ ٣٣٦ ، عنهما ، وابن الجوزي ٥/ ٩٤ ، والفخر الرازي ٢١/ ٦٥ ، كلاهما عن الفرَّاء .

(٣) ورد نحوه في تفسير الطبري ١٥/ ١٧٣ـ١٧٤ ، والماوردي ٣/ ٢٧٨ ، والطوسي ٦/ ٥٢٨ .

(٤) تفسير الطبري ١٥/ ١٧٣ـ١٧٤ ، بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٢ب ، بنصه ، والظاهر أنه اقتبسه منه لا من الطبري .

وقراءة العامة بفتح التاء[١] ، [وقرأ الكسائي : علمتُ بضم التاء[٢] ، والاختيار عند الجميع فتح التاء ، وهو قراءة ابن عباس ، وضم التاء][٣] قراءة علي رضي الله عنه ، وكان يقول : والله ما عَلِمَ عدو الله ، ولكن موسى هو الذي عَلِم ، فبلغ ذلك ابن عباس فاحتج بقوله تعالى : ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل :١٤] ، على أن فرعون وقومه كانوا قد عرفوا صحة أمر موسى[٤] .

وقال الزَّجَّاج : [الأجود في القراءة فتح التاء؛ لأن عِلم فرعونَ][٥] بأنها آيات من عند الله أوكد في الحجة[٦]؛ فموسى يحتج عليه بما علم هؤلاء بما علم موسى ، وأما من ضم التاء فحجته ما ذكرنا عن علي .

فإن قيل : كيف يصح الاحتجاج عليه بعلمه ، وعلمه لا يكون حجة على فرعون؟

فالجواب : أنه لما قيل له : ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء :٢٧] ، قال موسى : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ ، فكأنه نفى ذلك ، وقال : لقد علمتُ صحةَ ما أَتَيْتُ به

---

(١) انظر : السبعة ٣٨٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٨٣ ، وعلل القراءات ١/ ٣٣٠ ، والحجة للقراء ٥/ ١٢٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٣١ ، والتبصرة ١٤١ ، والنشر ٢/ ٣٠٩ .

(٢) انظر : المصادر السابقة .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٤) ورد بنحوه في معاني القرآن للفـَّراء ٢/ ١٣٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٠١ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٨٤ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٢٢ب ، وانظر : تفسير الرازي ٢١/ ٦٥ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٧٠ـ٣٧١ ، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم ، من دون رد ابن عباس رضي الله عنه . قال أبو حيان ٦/ ٨٦ : «وهذا القول عن علي ـرضي الله عنهـ لا يصح؛ لأنه رواه كلثوم المرادي ، وهو مجهول» .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د)

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٦٣ بنصه . وعبارته الأجود غير جيدة؛ لأنها تقتضي انتقاص القراءة الأخرى السبعية .

علماً صحيحاً؛ علم العقلاء[١] ، وفي قوله : ﴿مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ دليل على قول من يقول : إن الآيات التسع كانت آيات من التوراة ، وهو ما رُوي عن صفوان بن عسال[٢] عن يهوديين سألا رسول الله ﷺ عن قوله : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾ ، فقال رسول الله ﷺ : «لا تشركوا بالله ، ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا ، ولا تسحروا ، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان فيقتله ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تقذفوا مُحْصَنَة ، ولا تفروا من الزحف ، وعليكم خاصة ألا تعدوا في السبت ، قال : فَقَبَّلا يديه ورجليه وقالا : نشهد أنك نبيٌّ»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ . قال الكلبي : وإنِّي لأعْلَمُك يا فرعون[٤] ، ﴿مَثْبُورًا﴾ قال ابن عباس : ملعوناً[٥] .

---

(١) ورد في الحجة للقراء ٥/ ١٢٣ ، بنحوه ، وتفسير الطوسي ٦/ ٥٢٦ ، بنحوه .

(٢) صفوان بن عسال ـرضي الله عنهـ صحابي من بني الرَّبَض بن زاهر المرادي ، سكن الكوفة ، غزا مع النبي ﷺ اثنتي عشرة غزوة ، وروى عن النبي ﷺ أحاديث عدة ، روى عنه عبدالله بن مسعود ، وزر بن حُبَيْش ، وعبدالله بن سَلِمَة .
انظر : الاستيعاب ٢/ ٢٧٩ ، وأسد الغابة ٣/ ٢٨ ، والإصابة ٢/ ١٨٩ .

(٣) أخرجه بنحوه ابن أبي شيبة ٧/ ٣٢٩ ، وأحمد ٤/ ٢٣٩ ، والترمذي (٣١٤٤) ، كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة بني إسرائيل ، وقال : حسن صحيح ، والنسائي : تحريم الدم والسحر ٧/ ١١١ ، والطبري ١٥/ ١٧٢ ، بنصه وبنحوه من طرق ، والطبراني ٨/ ٨٣ ، والحاكم ١/ ٩ وصححه ، وأبو نعيم في الحلية ٥/ ٩٧ ، والبيهقي في الدلائل ٦/ ٢٦٨ ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٩٩ ، بنصه مع زيادة في آخره ، والماوردي ٣/ ٢٧٧ ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٥٢٧ ، بنحوه .
قال ابن كثير ٣/ ٧٥ : «وهو حديث مشكل ، وعبدالله بن سَلِمَة في حفظه شيء ، وقد تكلموا فيه ، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات ، فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون ، وعليه فالحديث لا دلالة فيه ، فضلاً عن كونه ضعيفاً» .

(٤) ورد بلا نسبة في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٨٦ ، وهو قول أكثر المفسرين ، كما قال ابن الجوزي ٥/ ٩٤ .

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ١٧٥ ، بلفظه من طريق سعيد بن جبير ، ومن طريق ابن أبي طلحة (كلاهما صحيحة) ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٠٣ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٨٦ ، والثعلبي ٧/ ١٢٢ب ، أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٧١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق .

وقال قتادة : مهْلَكاً[١] ، وقال مجاهد : هالِكاً[٢] .

قال الفرَّاء : المثبور : الملعون المحبوس عن الخير ، والعرب تقول : ما ثَبَرك عن هذا؟ أي ما منعك منه وما صرفك[٣] .

وروى أبو عبيد عن أبي زيد : ثَبَرْتُ فلاناً عن الشيء : رَدَدْتُه عنه[٤] .

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي : المَثْبُور : الملْعُون المطْرود الـمُعَذَّب[٥] ، هذا وجه قول ابن عباس .

وأما وجه قول مجاهد وقتادة ، فقال الزَّجَّاج : ثُبِرَ الرجل فهو مثبور إذا أهلك[٦] ، والثبور الهلاك ، قال شمر : ومَثَلٌ للعرب : إلى أُمِّه يأوي من ثُبِر؛ أي مَن أُهلِك[٧] .

قال أبو عبيد : والمعروف في الثبور الهلاك ، والملعون هالك[٨] .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٩١ ، بلفظه ، والطبري ١٥/ ١٧٦ ، بنحوه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٠٣ ، بلفظه ، وتهذيب اللغة (ثبر) ١/ ٤٧١ ، بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٣٨٦ ، بلفظه ، والماوردي ٣/ ٢٧٨ ، بنحوه .

(٢) تفسير مجاهد ١/ ٣٧١ ، بنحوه ، أخرجه الطبري ١٥/ ١٧٦ بلفظه من طريقين ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٠٣ ، وتهذيب اللغة (ثبر) ١/ ٤٧١ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٢٢ب ، والطوسي ٦/ ٥٢٨ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٢ ، بنصه تقريباً .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (ثبر) ١/ ٤٧١ ، بنصه .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (ثبر) ١/ ٤٧١ ، بنصه .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٦٣ ، بنصه .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (ثبر) ١/ ٤٧١ ، بنصه ، انظر : اللسان (ثبر) ١/ ٤٦٩ ، وموسوعة أمثال العرب ٢/ ٦٥٠ .

(٨) لم أقف على مصدره .

١٠٣. قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ﴾. قال ابن عباس: يريد فرعون[١] ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾؛ أي يخرجهم، يعني: موسى وقومه بني إسرائيل، ومضى تفسير الاستفزاز في هذه السورة [آية: ٦٤]، ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: أرض مصر[٢].

قال أبو إسحاق: جائز أن يكون استفزازهم إخراجهم منها بالقتل وبالتنحية، وهذه الآية وما بعدها تسلية للنبي ﷺ إذ قصَّ عليه -في إِثْر ما ذكر من تكذيب قومه وهمهم بإخراجه- قصة فرعون، وما همَّ به من استفزاز موسى وبني إسرائيل من أرض مصر، حتى أهلكه الله تعالى وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم، لذلك أظهر نبيه محمداً[٣] ﷺ على المشركين، ورده إلى مكة ظاهراً عليهم، فأنجز وعْدَه، ونصر عبده.

١٠٤. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾. قال ابن عباس: يريد القيامة[٤]، ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾؛ أي جميعاً، في قول مجاهد وقتادة[٥].

وقال ابن عباس: يريد من كل موضع[٦].

---

(١) ورد بلا نسبة في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٣أ، والطوسي ٦/ ٥٢٩، والبغوي ٥/ ١٣٥، وابن الجوزي ٥/ ٩٥.

(٢) ورد بلفظه في تفسير هود الهواري ٢/ ٤٤٦، والثعلبي ٧/ ١٢٣أ، والطوسي ٦/ ٥٢٩، والبغوي ٥/ ١٣٥.

(٣) ساقطة من (أ) و(د).

(٤) انظر: تنوير المقباس ٣٠٦، وورد بلا نسبة في تفسير مقاتل ١/ ٢٢٠ب، والطبري ١٥/ ١٧٦، والسمرقندي ٢/ ٢٨٦، والثعلبي ٧/ ١٢٣أ، وهذا هو قول الجمهور.

(٥) تفسير مجاهد ١/ ٣٧١، بلفظه، أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٩١، بلفظه عن قتادة، والطبري ١٥/ ١٧٧، بلفظه عنهما من طرق، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٠٤، عنهما، وتفسير هود ٢/ ٤٤٦، عن مجاهد، والثعلبي ٧/ ١٢٣أ، والماوردي ٣/ ٢٧٨، عن قتادة.

(٦) ورد في تفسير الماوردي ٣/ ٢٧٨، بمعناه، وفي تفسير الطبري ١٥/ ١٧٧، عنه من طريق العوفي (ضعيفة): جميعاً.

وروى منصور عن أبي رَزين[١] : من كل قوم[٢] .

قال الفرَّاء : من هاهنا وهاهنا[٣] .

وقال الزَّجَّاج : من كل قبيلة[٤] .

وروى عمرو عن أبيه : اللفيف : الجمع العظيم من أخلاط شتى ، فمنهم الشريف والدني ، والمطيع والعاصي ، والقوي والضعيف[٥] .

وقال المبرِّد : الأكثر عند العرب أن اللفيف إنما يقال للمختلطين من كل شكل ، وكل شيء خلطته بشيء فقد لففته ، ومنه قيل : لَفَفْتَ الجيوشَ إذا ضربت بعضها ببعض ، والتفت الزحوف[٦] .

والمعنى : جئنا بكم من قبوركم إلى المحشر أخلاطاً ، يعني جميع الخلق؛ المسلم والكافر والبر والفاجر .

١٠٥. قوله تعالى : ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ ، الحق نقيض الباطل ، وهو الثابت الذي لا يزول ، كما أن الباطل : الزائل الذاهب ، وأراد بالحق هاهنا : الدين الحق والأمر الحق ، وهو ما كان عليه محمد ﷺ ، والكناية في : ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ للقرآن ، ومعناه : أنزلنا القرآن بالأمر الثابت والدين القائم ، قال أبو علي الفارسي : (الباء) في : ﴿وَبِٱلْحَقِّ﴾ في موضع الحال من الضمير في

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ١٧٧ بنصه ، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٠٤ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٢ ، بنصه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٦٣ ، بنحوه .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (لفف) ٤/ ٣٢٨١ ، بنصه .

(٦) لم أقف عليه ، وورد نحوه بلا نسبة في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٣أ ، والطوسي ٦/ ٥٢٩ ، والفخر الرازي ٢١/ ٦٦ .

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ ، يعني أنه بمعنى : مع ، كما تقول : نزل بِعُدَّته ، وخرج بسلاحه ، والمعنى : أنزلنا القرآن مع الحق .

وقوله تعالى : ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ . قال : يحتمل الجار فيه ضربين؛ أحدهما : أن يكون التقدير نزل بالحق ، كما تقول : نزلت بزيد ، والثاني : أن يكون حالاً من الضمير الذي في نزل ، هذا كلامه[1] ، وعلى القول الأول : الحق محمد ﷺ؛ لأن القرآن نزل به عليه ، وعلى القول الثاني : معناه نزل مع الحق ، كما قلنا في قوله : ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ .

١٠٦. قوله تعالى : ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ يَنْتَصبُ قرآناً بإضمار فعل ، مثل الذي ظهر[2] ، قال أبو علي : (وَقُرْآناً) يحتمل أمرين؛ أحدهما : أن يكون محمولاً على ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ ، كأنه قال : بالحق أنزلناه وأنزلنا قرآناً ، فانتصابه على أنه مفعول به ، والوجه الآخر : أن تعطفه على ما يتصل به كأنه : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وذا قرآن وصاحبَ قرآن[3] ، فحذف المضاف[4] ، وعلى ما ذكر أبو علي -في القول الثاني- يجب أن يكون القرآن نكرة لوصفه له بالجملة من غير الذي ، وقد ذكر في قوله : ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزمر :٢٨]

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) وهذا مذهب سيبويه؛ أن نصبه بفعل مضمر يفسره الظاهر بَعدُ؛ أي وفرقناه قرآناً . تفسير ابن عطية ٩/ ٢١٥ .

(٣) في (أ) و(د) و(ش) : (قرآناً) . وهو خطأ نحوي ظاهر ، والمثبت من (ع) وموافق لما في المصدر .

(٤) المسائل الحلبيات ٢٩٨ ، بنصه . وهذا القول فيه تكلف وبعد عن ظاهر القرآن الواضح ، وظاهر الآيتين أن الله -تعالى- وصف القرآن الكريم بثلاث صفات ، أنه كله حق لأنه نزل من عنده ، والثاني : أن جميع ما فيه حق لا مرية فيه ، والثالث : أنه جاء محكماً مفصلاً وواضحاً بيِّناً ، أو أراد وصفه بأنه نزل منجماً مفرقاً بحسب الوقائع والأحداث . أملاه عليَّ الدكتور فضل عباس؛ أحد علماء الأردن المعاصرين .

أنه يجوز أن يكون نكرة[١] ، وذلك غير جيد لتنكير[٢] الاسم العلم[٣] ، و﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ : فَصَّلناه ، قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٤] .

وقال سعيد بن جبير عنه : نزل القرآن كله ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء السفلى في السنين التي نزل فيها[٥] .

وقال قتادة : كان بين أوله وآخره عشرون سنة[٦] ، وهو معنى قوله : ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ ، وقال السدي : قطعناه آية آية وسورة سورة ، ولم ننزله جملة[٧] ، والاختيار عند الأئمة : فرقناه مخفَّفاً[٨] ، وفَسَّره أبو عمرو : بَيَّنَّاه[٩] .

---

(١) المصدر السابق ٢٩٧ ، بنحوه .

(٢) في (أ) و(د) و(ش) : (لنكير) ، والمثبت من (ع) .

(٣) وهذه إشارة إلى أنه من القائلين بأن القرآن علم مرتجل ، وهي مسألة خلافية بين العلماء في أصل القرآن ، هل هو مشتق أو علم مرتجل؟ انظر : مناهل العرفان ١/ ١٤ ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم ١٧ ، ومباحث في علوم القرآن ١٦ .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٧٨ ، بلفظه من هذه الطريق (صحيحة) ، وورد بلفظه في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٣أ .

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ١٧٨ ، بنحوه من طريق عكرمة (حسنة) ، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٥٣٠ ، بنحوه . انظر : تفسير الرازي ٢١/ ٦٨ ، عن ابن جبير .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٩١ ، بنصه ، والطبري ١٥/ ١٧٨ ، بنصه ، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٥٣٠ ، بنصه .

(٧) ورد في تفسيره الوسيط ٢/ ٥٥٩ ، بنصه ، وهو في معنى قول ابن عباس وقتادة السابقين .

(٨) قرأ بها السبعة وقراء الأمصار عامة ، انظر : تفسير الطبري ١٥/ ١٧٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٨٤ .

(٩) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٠٥ ، بلفظه .

وقال الفرَّاء : أحكمنـاه[١] وفصَّلناه ، كما قـال : ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان :٤]؛ أي يُفَصَّل[٢] .

قال أبو عبيد : والتخفيف أعجب إليَّ؛ لأن تفسيره : بيَّنَّاه ، ومن قرأ بالتشديد[٣] لم يكن لـه معنى إلا أنه أُنزل متفرقاً ، والتأويـل الأول أعجب إليَّ وأشرق ، هذا كلامـه[٤] ، وحصل من هذا أن معنى الفَرْق تفصيل يتضمن التبيين ، والتفريق لا يتضمن التبيين ، ولهذا فسروا هاهنا وفي قوله : ﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾ [الدخان :٤] بالتبيين .

ومما يرجح التخفيف مـا روى ثعلب عن ابن الأعرابي أنه قال : فرقتُ أفْرُقُ بين الكلام ، وفَرَّقتُ بين الأجسـام[٥] ، ويدل على هذا قوله ﷺ : «البَيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا»[٦] ، ولم يقل : يفترقا ، والتفرق مطـاوع التفريق ، والافتراق مطاوع الفرق ، ومعنى : ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ على تؤدة وتَرَسُّل ، قاله مجاهد[٧] .

---

(١) في النسـخ جميعها : (حكيناه) ، والصواب ما أثبته؛ لأنه هو المناسب للمعنى والمقابل لقوله : فصلناه ، وقد ورد في المصدر والتهذيب : «أحكمناه» .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٣ ، بنصه تقريباً ، انظر : تهذيب اللغة (فرق) ٣/ ٢٧٧٨ .

(٣) أخرجها الطبري عن ابن عباس ١٥/ ١٧٨ ، ونسـبت في القراءات الشـاذة لابن خالويه ٨١ إلى أُبيٍّ وابـن عبـاس ومجاهد ، وأوردهـا ابن جني في المحتسـب ٢/ ٢٣ ، ونسـبها إلى عـلي وابن عباس وابن مسـعود وأُبيٍّ -رضي الله عنهما- والشعبي والحسن وقتادة وغيرهم . وفي الإتحاف ٢٨٧ ، قرأ بها ابن محيصن . وزاد ابن عطية ٩/ ٢١٦ أن في قراءة ابن مسـعود وأبي زيـادة كلمة (عليك)؛ أي فَرَّقْنَاه عليك لتقرأه ، وكلتا الروايتين قراءة شاذة كما هو ظاهر .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (فرق) ٣/ ٢٧٧٨ بنصه .

(٦) أخرجه بلفظه أحمد ٢/ ٩ ، عن ابن عمر ، والبخاري (٢٠٧٩) ، كتاب : البيوع ، باب : إذا بيَّن البيِّعان عـن حكيم بن حزام ، والدارمـي : البيوع ، في البيعان بالخيـار ٢/ ٣٢٥ ، عن حكيم ، والطبراني في الكبـير ٣/ ١٩٩ ، عن حكيـم ، والحاكم : البيوع ، البيعان بالخيار ٢/ ١٦ ، عن سـمرة بن جندب ، والبيهقي : البيوع ، المتبايعان بالخيار ٥/ ٢٦٩ ، عن ابن عمر .

(٧) تفسـير مجاهد ١/ ٣٧١ ، بمعناه ، قال : على ترتيل ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٩١ ، بلفظه ، والطبري ١٥/ ١٧٩ ، بلفظه وبمعناه ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٠٥ ، وتفسـير هود الهواري ٢/ ٤٤٦ ، والماوردي ٣/ ٢٧٩ ، والطوسي ٦/ ٥٣١ .

قال الفرَّاء : يقال : مَكُثَ ومَكَثَ ومَكِثَ ، ويقال في الفعل : مَكُث ويَمْكُث ومَكَث يَمْكَث[١] ، والفتح قراءة عاصم في قوله : ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[٢] [النمل :٢٢] ، قال : فَرَّقَه الله في التنزيل ليفهمه الناس ، فقال : ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾

وقوله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ قال ابن عباس : [نجوماً بعد نجوم ، وشيئاً بعد شيء[٣] .

١٠٧ـ١٠٨ . قوله تعالى : ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا۟﴾ قال ابن عباس][٤] : ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة ، ﴿ءَامِنُوا۟﴾ بالقرآن[٥] ، ﴿أَوْ لَا تُؤْمِنُوا۟﴾ وهذا تهديد؛ أي فقد أنذر الله ووعد[٦] وبَلَّغَ الرسول ، فاختاروا ما تريدون ، كما قال : ﴿فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل :٥٥] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾؛ أي من قبل نزول القرآن ، قال مجاهد : هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أُنزل على محمد ﷺ خرُّوا سجداً[٧] .

---

(١) ورد في تهذيب اللغة (مكث) ٤/ ٣٤٣٣ مختصراً ، وورد في تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٦٨ مختصراً ، ومكث مثلثة الأول بمعنى اللُّبْث والإقامة ، انظر : إكمال الإعلام بتثليث الكلام ١/ ١٥ ، و«الدرر المبثَّثة في الغرر المثلثة ١٩٠ .

(٢) انظر : السبعة ٤٨٠ ، والحجة للقراء ٥/ ٣٨٠ ، والمبسوط في القراءات ٢٧٨ ، والتيسير ١٦٧ .

(٣) لم أقف عليه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٧٩ـ١٨٠ ، بمعناه عن الحسن وقتادة ، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٥٣١ ، وورد في الوسيط ٢/ ٥٥٩ ، بنصه غير منسوب .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

(٥) ورد بلا نسبة في تفسير مقاتل ١/ ٢٢١أ ، والطبري ١٥/ ١٨٠ ، والوسيط للواحدي ٢/ ٥٥٩ .

(٦) في (أ) و(د) : (ووعده) ، والمثبت من (ش) و(ع) .

(٧) أخرجه الطبري ١٥/ ١٨١ ، بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٣أ ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٥٣٢ ، بنحوه .

وقال ابن عباس : منهم زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل[١] ، وعلى هذا ليس المراد بقوله : ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أهل الكتاب ، وإنما هم طلاب الدين .

وقوله تعالى : ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ . قال ابن عباس في رواية الوالبي : يخرون للوجوه[٢] ، وهو قول قتادة[٣] .

وقال في رواية عطاء : يريد : يسجدون بوجوههم وجباههم وأذقانهم[٤] .

قال أبو إسحاق : والذَّقَنُ مجمع اللَّحْيَيْنِ[٥] ، وهو عضو من أعضاء الوجه ، وكما يبتدئ المبتدئ يَخِرُّ ، فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض الذَّقَنُ[٦] ، وعلى هذا إنما خص الذقن بالذكر ؛ لأنه أقرب أبعاض الوجه إلى الأرض ، وهو هاهنا عبارة عن الوجه .

---

(١) لم أقف عليه ، وورد بلا نسبة في تفسير البغوي ٥/ ١٣٦ ، وابن عطية ٩/ ٢١٧ ، والفخر الرازي ٢١/ ٦٩ .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ١٨٠ ، بلفظه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) ، وورد بلفظه في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٩ ، والثعلبي ٧/ ١٢٣أ ، والماوردي ٣/ ٢٨٠ ، والطوسي ٦/ ٥٣٢ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٧٢ وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٩٢ ، بلفظه ، والطبري ١٥/ ١٨٠ ، بلفظه من طريقين ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٨/ ٢٠٥ ، وتفسير الجصاص ٣/ ٢٠٩ ، والماوردي ٣/ ٢٨٠ ، والطوسي ٦/ ٥٣٢ .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٦٠ بنصه بلا نسبة .

(٥) في (أ) و(د) : (للجبين) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو الصحيح والموافق للمصدر . انظر : المحيط في اللغة (ذقن) ٥/ ٣٧٥ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٦٤ ، بنصه .

وروى عبدالرزاق عن معمر قال : قال الحسن : لِلِّحى[١] ، وعلى هذا القول : الأذقان عبارة عن اللِّحَى ، وخصت بالذكر؛ لأن المعنى أنهم يضعونها على الأرض للسجود تواضعاً لله تعالى ، واللِّحْية تُلْقى بالإكرام والتنظيف ، فإذا أذلوها في التراب فهو غاية التواضع ، واللام هاهنا بمعنى على ، كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الحجرات :٢]؛ أي عليه ، والعرب تقول : سقط فلان لفيه؛ أي على فيه ، قال الشاعر :

فخرَّ صريعاً لليدينِ وللفمِ[٢]

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٩٢ ، بلفظه ، والطبري ١٥/ ١٨٠ ، بلفظه ، وورد بلفظه في تفسير الجصاص ٣/ ٣٠٩ ، والماوردي ٣/ ٢٨٠ ، والطوسي ٦/ ٥٣٢ .

(٢) صدره :

تناولهُ بالرُّمحِ ثُمَّ اتَّنَى لَهُ

نسب إلى جابر بن حُنَيٍّ التَّغْلِبي في المُفَضَّليات ٢١٢ ، وشرح شواهد المغني ٢/ ٥٦٢ .

ونسب إلى ربيعة بن مُكدَّم في الأغاني ١٦/ ٧٥ برواية :

وهتكتُ بالرمحِ الطويلِ إهابَهُ فهوى . . . . . .

ونسب إلى عصام بن مقشعر البصري في معجم الشعراء ١٠١ برواية :

دلفتُهُ بالرمحِ منْ تحتِ بزهِ

ونسب إلى الأشعث الكندي في الأزهية ٢٨٨ برواية :

تناولْتُ بالرُّمْحِ الطَّويلِ ثِيَابَهُ

وورد بلا نسبة في أدب الكاتب ٥١١ ، وتفسير الزمخشري ٢/ ٣٧٨ ، والقرطبي ١٠/ ٣٤١ ، ورصف المباني ٢٩٧ ، والجنى الداني ١٠١ ، ومغني اللبيب ٢٨٠ ، وشرح الأشموني ٢/ ٣٨٨ .

(تناوله بالرمح) : طعنه ، (اتَّنَى) : أراد اثتنى فأدغم الثاء في التاء ، فأبدلها تاءً ، ويروى انثنى ، (خرَّ) : سقط . شرح اختيار المفضل ٢/ ٩٥٥ .

والمعنى أنهم يبادرون إلى السجود فيسقطون على الأذقان أولاً إذا وقعوا بالأرض إلى أن نصبوا[١] جباههم على الأرض للسجود؛ لأن الذقن ليس من أعضاء السجود، ويدل على هذا[٢] قوله: ﴿يَخِرُّونَ﴾، ولم يقل: يسجدون؛ لأنه أراد مسارعتهم إلى ذلك حتى إنهم ليسقطون ويقولون في سجودهم: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾؛ أي ينزهونه ويعظمونه، ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾؛ أي وعده بإنزال[٣] القرآن وبعث محمد ﷺ، وهذا يدل على أن هؤلاء كانوا من أهل الكتاب؛ لأن الوعد ببعث محمد ﷺ سبق في كتابهم، فهم كانوا ينتظرون ذلك الوعد.

وذكر الليث وجهاً آخر في قوله: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾، فقال: العرب تقول إذا خَرَّ الرجل فوقع على وجهه: خَرَّ للذقن، وكذلك الشجر والحجر إذا قلبه السيل يقال: كبه السيل للذقن[٤]، ويدل على ما ذكره قول امرئ القيس يصف سيلاً شديداً[٥]:

يَكُبُّ على الأَذْقَانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ[٦]

---

(١) هكذا في النسخ جميعها، والعبارة قلقة، ولعلها (يصيبوا) من الإصابة، وهي الأنسب للسياق.

(٢) في (أ) و(د) و(ش): (أن هذا)، والمثبت من (ع).

(٣) في (أ) و(د): (بأنزل)، والمثبت من (ش) و(ع).

(٤) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٦٩.

(٥) في (أ) و(د): (سبيلاً شديد)، والصحيح المثبت من (ش) و(ع) لغويّاً ونحويّاً.

(٦) وصدره:

وأضْحى يَسُحُّ الماءَ عن كلِّ فيقةٍ

ديوانه ١٢١، وورد في أساس البلاغة (ذقن) ٢٩٩، واللسان (كهبل) ٧/ ٣٩٤٥، (ذقن) ٣/ ١٥٠٦. (الفيقة): المدة ما بين الحلبتين، (كنهبل): أصله كَهْبَل والنون فيه زائدة، وهو شجر عظام من العِضاه، وقيل: صنف من الطَّلح قصار الشوك، والمعنى: كأنه يقول: إن المطر يسح ويسكن أخرى، يكب على الأذقان دوح الكنهبل، يقتلع شجر الكنهبل من أصوله، ويلقيه على أم رأسه لشدة سحه وهيجه.

فلما استعمل ذلك في الشجر إذا سقط واستعير له الذقن ، كان ذكره في الإنسان الذي له الذقن أولى .

وقوله تعالى : ﴿سُجَّدًا﴾ حال[١] مقدرة ، المعنى : يَخِرُّون مقدرين للسجود؛ لأن الإنسان في حال خُرُورِه لا يكون ساجداً ، قاله أبو إسحاق في قوله : ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[٢] [مريم :٥٨] ، ومثله : ﴿هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة :٩٥] ، وقد مرَّ .

قال أبو إسحاق : و(إن) و(اللام) في : ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ دخلتا للتوكيد[٣] ، ومضى الكلام في مثل هذا في مواضع .

١٠٩. قوله تعالى : ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ أعاد هذا لأن الأول للسجود ، والثاني لغير السجود ، ولكن للذِّلة والخشوع عند استماع القرآن ، يدل عليه قوله : ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ ، ويجوز أن يكون تكرير القول دلالة تكرر الفعل منهم .

وقوله تعالى : ﴿يَبْكُونَ﴾ معناه الحال ، ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾؛ أي القرآن ، ﴿خُشُوعًا﴾ : تواضعاً ، وذكرنا معنى الخشوع في أوائل سورة البقرة[٤] .

---

(١) في (أ) و(د) و(ش) : (قال) ، والمثبت من (ع) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٣٥ ، بنصه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٦٤ ، بنصه .

(٤) آية [٤٥] .

١١٠. قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ﴾. قال ابن عباس: إن رسول الله ﷺ قال وهو ساجد ذات ليلة: يا رحمن، فسمعه أبو جهل وهم لا يعرفون الرحمن، فقال: إن محمداً ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر مع الله يقال له: الرحمن، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ﴾[1]؛ أي قل يا محمد: ادعوا الله يا معشر المشركين[2]، ﴿أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾؛ أي إن شئتم قولوا: يا أله، وإن شئتم قولوا: يا رحمن.

﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾. قال أبو إسحاق: أعلمهم الله أن دعاءهم الله ودعاءهم الرحمن يرجعان إلى واحدٍ، فقال: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ المعنى أي أسماء الله تدعوا ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[3].

وقال المبرِّد: يقول إذا دعوتم الله الرحمن فإنما تدعون واحداً، يعني أن تَخْيِيره[4] بين أن يُدْعى الله وبين أن يدعى الرحمن إنَّما هو لأنهما واحد، يَدلُّ على هذا: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[5] قال النحويون: (أي) في الكلام تقع في ثلاثة مواضع؛ أحدها: الاستفهام، والآخر: الجزاء، والثالث: الخبر[6]، فإذا كان استفهاماً أو جزاءً لم تَحْتَج إلى صلة، وعمل فيها ما بعدها، ولم يجز أن يعمل فيها ما قبلها إلا ما يَجُرُّ، وسنذكر ذلك عند قوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ [الكهف: ١٢]

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ١٨٢، بنحوه من طريق أبي الجوزاء (ضعيفة)، وورد بنحوه في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٣ب، والماوردي ٣/ ٢٨١، والطوسي ٦/ ٥٣٣، وأورده المؤلف في أسباب النزول ٣٠٢، بنحوه بلا سند، وأورده السيوطي في الدر، واللباب ٥/ ٣٤٨، ١٤٢ وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) في النسخ جميعها: (يا معشر المؤمنين)، والصواب ما أثبته، كما في الطبري ١٥/ ١٨٢، وابن كثير ٣/ ٧٧، وسياق الكلام يدل عليه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٦٤، بنصه.

(٤) في (أ) و(د) و(ش): (يختبره)، والمثبت من (ع).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) ذكر في الأزهية: أنها تأتي على ستة أوجه: تكون جزاءً، واستفهاماً، وخبراً، وتعجباً، ونداءً، ونعتاً فيه معنى المدح، انظر: حروف المعاني للزَّجَّاجي ٦٢، والأزهية ١٠٦، ومغني اللبيب ١٠٧.

إن شـــاء الله ، وإذا كانت خبراً احتاجت إلى صلة نحو صلة الذي ، ويعمل فيها ما قبلها وما بعدها سوى صلتها ، كقولك : لأضربن أيهم في الدار .

قال الفرَّاء : العرب تقول أيٌّ وأييَّان وأيَّان ، إذا أفردوا (أيّاً) أنَّثُوها وجمعوها ، وأنَّثُوها فقالوا أيَّة وأيَّتان وأيَّات ، وإذا أضافوها إلى ظاهر أفردوها ، وذكَّروا فقالوا أيُّ الرجلين؟ وأيُّ المرأتين؟ وأيُّ الرجال؟ وأيُّ النســـاء؟ وإذا أضافوا إلى مُكَنَّى المؤنث أنثوا وإلى مُكَنَّى المذكر ذَكَّـــروا ، فقالوا أيُّهما وأيَّتهما للمرأتين ، قال الله عز وجل : ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ ، وقال زهير في لُغة من أنَّث :

وزوَّدُوكَ[1] اشتياقاً أيَّةً سَلَكُوا[2]

يُرادُ أيَّةُ وجْهة ، فأنَّثها حين لم يُضِفْها ، ولو قال : أيّاً سلكوا ، بمعنى أيُّ وجهة ، كان جائزاً ، ويقول لك قائل : رأيتُ رجلاً ، فتجيبه أيّاً؟ ويقول : رجلين ، فتقول : أيَّـين؟ وفي الرجال : أيُّون؟ وفي المرأة أيَّة؟ وفي النســـاء أيَّات؟[3] و(ما) في قوله : ﴿أَيًّا مَّا﴾ صلة ، كقوله : ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ﴾ [ص :١١] ، و ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون :٤٠] ، و ﴿مِّمَّا خَطِيٰٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ [نـوح :٢٥] ، و ﴿تَدْعُواْ﴾ في موضع جزم بأي؛ لأنه من حروف الشرط والجزاء ، يقول أيُّهم يعط أعط ، وعلامة الجزم في تدعوا سقوط النون التي تثبت للرفع في يفعلون ، وجواب الشرط (الفاء) في قوله : ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ .

وقولـــه تعـــالى : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ . روى ســـعيد بن جبير عـــن ابن عباس في هذه الآية قال : «كان رســـول الله ﷺ يرفـــع صوته بالقرآن ،

---

(١) في (أ) و(د) و(ش) : (زودك) ، والمثبت من (ع) وهو موافق للديوان .

(٢) وصدره :

بانَ الخليطُ ولم يأْوُوا لَمن تَرَكوا

شرح ديوان زهير ١٦٤ ، وورد في الخزانـــة ٥/ ٤٥٣ . الخليط : المجاور لك في الدار ، (ولم يأوُوا) : لم يرحموا ، (وأيَّةً سلكوا) أيَّ جهة سلكوا فأنت مشتاق .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (أي) ١/ ٢٤١ نقل طويل مع تصرف يسير .

فإذا سمعه المشركون سَبُّوه وسَبُّوا من جاء به ، فأوحى الله إليه : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمعه المشركون فيسبوه ، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ فلا يسمع أصحابك ، ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾؛ أي أسمعهم القرآن أحياناً يأخذوا عنك»[١] ، وهذا قول قتادة والسدي[٢] ، واختيار أبي إسحاق ، قال : المخافتة : الإخفاء ، والجهر : رفع الصوت .

وكان النبي ﷺ إذا جهر بالقرآن سبَّ المشركون القرآن ، فأمر الله ألَّا يعرِّض القرآن لسبهم ، وألَّا يخافت مخافتةً لا يسمعها من يصلي خلفه من أصحابه فقال : ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾؛ أي اسلك طريقاً بين الجهر والمخافتة[٣] ، ويقال : خَفَتَ صوته يَخْفِتُ خُفُوتاً وخُفَاتاً ، إذا ضَعُفَ وسكن ، وصوتٌ خَفِيتٌ؛ أي خَفِيضٌ ، ومن هذا يقال للرجل إذا مات : قد خَفَتَ؛ أي انقطع كلامه ، وخفت الزرع إذا ذَبُلَ ولَانَ ، وزرع خَافِت ، والرجل يخافت بقراءته : إذا لم يبين قراءته برفع الصوت ، وقد تخافت القومُ إذا تشاوَرُوا بينهم[٤] ، وقال الجعدي :

ولَسْتُ وإنْ عَزُّوا عليَّ بِهَالِكٍ ... خُفاتاً ولا مُسْتَهْزِمٍ ذاهبِ العَقْلِ[٥]

---

(١) أخرجه بنحوه من طريق سعيد أحمد ١/ ٢٣ ، والبخاري (٤٧٢٢) ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ ، ومسلم (٤٤٦) في الصلاة ، باب : التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية ، والطبري ١٥/ ١٨٤ من طرق ، والطبراني في الكبير ١٢/ ٥٥ ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٠٧ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٢٣ب ، والماوردي ٣/ ٢٨١ ، وأخرجه المؤلف في أسباب النزول ٣٠٣ ، بنحوه .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٩٢ ، بنحوه عن قتادة ، والطبري ١٥/ ١٨٦ ، بنحوه من طريقين عن قتادة .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٦٥ ، بنصه تقريباً .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (خفت) ١/ ١٠٦٤ ، بنحوه ، انظر : المحيط في اللغة (خفت) ٤/ ٣١٣ ، والصحاح ١/ ٢٤٨ ، واللسان ٢/ ١٢٠٨ .

(٥) شعر النابغة الجعدي ٢٢٥ ، وورد في تهذيب اللغة (خفت) ١/ ١٠٦٤ ، واللسان (خفت) ٢/ ١٢٠٨ . (خفاتاً) : ضعفاً وتذَلُّلاً ، (مستهزم) : جزوع .

يقول : لست أهلك خفاتاً؛ أي ضعفاً لمصاب من أُصبت به منهم ، وإن كانوا أعزة ، ولكني أتصبَّر وأتجلَّد ، هذا الذي ذكرنا في الجهر والمخافتة بالصلاة مذهب أكثر المفسرين[١] ، ومعنى الصلاة في هذا القول : القراءة ، وذلك أن الصلاة لا تصح إلا بقراءة ، فسميت القراءة صلاة ، كما سميت الصلاة قراءة في قوله : ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [آية :٧٨] ، وقد مرَّ . وفي الآية قول ثان؛ وهو أن المراد بالصلاة الدعاء ، وهذا قول أبي هريرة وعائشة ومجاهد[٢] .

قال أبو هريرة في الآية : يعني بذلك الدعاء والمسألة[٣] .

وقالت عائشة : هي في الدعاء[٤] ، وروي هذا مرفوعاً : أن النبي ﷺ قال في هذه الآية : «إنما ذلك في الدعاء لا ترفع صوتك ، فتكثر ذنوبك ، فيُسمع منك ، فتُعيَّر به»[٥] ، وهذا قول إبراهيم وابن عباس في رواية عطاء[٦] ، كل هؤلاء قالوا : في الدعاء ، وعلى هذا : الصلاة الدعاء ، والجهر به منهي عنه ، وكذلك الإسرار الذي هو إخفاء ، والمستحب منه ما بين ذلك ، وحدُّه أن يُسْمِع نفسه[٧] ، كما روي

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ١/ ٢٢١أ ، والطبري ١٥/ ١٨٤ ، والسمرقندي ٢/ ٢٨٧ ، والثعلبي ٧/ ١٢٣ب ، والماوردي ٣/ ٢٨١ ، والطوسي ٦/ ٥٣٤ ، وقد رجحه الطبري لصحة الإسناد الذي روي به عن صحابي وهو ابن عباس من طريق سعيد ، ولأنه أشبه الأقوال بما دلَّ عليه ظاهر التنزيل .

(٢) تفسير مجاهد ١/ ٣٧٢ بلفظه ، أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٢٠٠ ، بلفظه ، والطبري ١٥/ ١٨٤ ، بلفظه من طرق عن مجاهد ، وورد بلفظه في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٤أ ، والطوسي ٦/ ٥٣٤ .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٧١ ، وابن الجوزي ٥/ ١٠١ .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٢٠٠ ، بلفظه ، والطبري ١٥/ ١٨٣ ، بلفظه من طرق ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٠٧ ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٨١ ، والطوسي ٦/ ٥٣٤ ، وأخرجه المؤلف في أسباب النزول ٣٠٤ ، بلفظه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٧٥ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٥) لم أقف عليه مسنداً ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٤ ، بنحوه ، والفخر الرازي ٢١/ ٧١ ، بنصه .

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٢٠٠ ، بلفظه عن ابن عباس من طريق عكرمة (حسنة) ، وعن عطاء ٦/ ٩٧ ، والطبري ١٥/ ١٨٤ ، بلفظه عن ابن عباس من طريق العوفي (ضعيفة) ، وعن عطاء ، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٥٣٤ ، بلفظه عن ابن عباس وعطاء ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٣٧ ، والخازن ٣/ ١٨٤ فيهما عن إبراهيم .

(٧) يؤيِّده ما رواه الشيخان عن أبي موسى ـرضي الله عنهـ قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس =

عن ابن مسعود أنه قال : لم يخافت من أسمع أذنيه[١] ، وفي الآية قول ثالث ، وهو ما روى منصور عن الحسن ومعمر[٢] عنه قال : لا تُراء بعلانيتها ولا تسيءْ سريرتها[٣] ، وهذا قول ابن عباس في رواية الوالبي ، قال : يقول : لا تصل مراءاة للناس ، ولا تدعها مخافة للناس[٤] ، وعلى هذا القول : الجهر بالصلاة هو إعلانها مراءاة ، والمخافتة بها تركها مخافة أو إساءتها سرًّا ، على ما قال الحسن .

١١١ . قوله تعالى : ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآية . قال رسول الله ﷺ في هذه الآية : «إنها آية العزة» ، وكان يعلمها الصغير من أهله والكبير[٥] .

وقال قتادة : كذَّب الله بهذه الآية اليهودَ والنصارى وأهلَ الفِرَاء عليه[٦] .

= يجهرون بالتكبير ، فقال النبي ﷺ : «أيها الناس اربعوا؛ [أي ارفقوا] على أنفسكم ، إنكم ليس تدعون أصمَّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم» . أخرجه البخاري (٢٩٩٢) ، كتاب : الجهاد ، باب : ما يكره من رفع الصوت في التكبير ، ومسلم (٢٧٠٤) ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب : استحباب خفض الصوت بالذكر واللفظ له .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٢٠٠ ، بنصه ، والطبري ١٥/ ١٨٨ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٧٦ .

(٢) في النسخ جميعها : (مغيرة) ، والصواب ما أثبته من تفسير عبدالرزاق والطبري .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٩٣ ، بنحوه من طريق معمر ، والطبري ١٥/ ١٨٧ ، بنصه من طريق منصور ومعمر وعوف ، وورد بلفظه في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٤أ ، والماوردي ٣/ ٢٨١ ، والطوسي ٦/ ٥٣٤ .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٨٧ ، بنصه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) ، والطبراني في الكبير ١٢/ ٢٥٦ ، بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٤أ ، بنصه ، أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٧٥ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٥) لم أقف عليه مسنداً ، وأخرج الطبري ١٥/ ١٨٩ ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يعلِّم أهله هذه الآية؛ الصغير من أهله والكبير ، وفي تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٤أ ، قال معاذ رضي الله عنه : قال النبي ﷺ : آية العز : ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ . انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٣٤٥ ، وابن كثير ٣/ ٧٨ .

(٦) في (أ) و(د) و(ش) : (عنه) ، والمثبت من (ع) والوسيط ، وقد ورد قولُ قتادة في تفسير الوسيط ٢/ ٥٦٤ ، بنصه ، انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٣٤٥ بلا نسبة .

وقولــه تعــالى : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ . قال ابن عبــاس : لم يكن له وليٌّ ينصره ممن استذله[١] .

وقال مجاهد : لم يحالف أحداً ولم يبتغ نصر أحد[٢] ، فليس له حليف من خلقه ولا ناصر ، يعني : أنه لا يحتــاج إلى ولاء النصرة والمحالفة ، وإنما يحتاج إلى ذلك من يُســتذلُّ ويُقْهر ، وهو العزيز القهار ، وهو معنى قول أبي إسحاق : لم يحتج أن ينتصر بغيره ، ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾؛ أي عَظِّمه تعظيماً عظمةً تامةً[٣] .

* * *

(١) ورد بمعناه في تفســير الزمخشري ٢/ ٣٧٩ بلا نسبة ، والقرطبي ١٠/ ٣٤٥ ، عن الحسن بن الفضل ، والخازن ٣/ ١٨٥ بلا نسبة .

(٢) تفســير مجاهد ١/ ٣٠٤ بنصه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٨٩ بنصه من طريقين ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٧٦ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وفيه : «لم يخف أحداً» .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٦٥ ، بنصه .